

# فِكْرٌ وَفَنٌ









أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ

بَيَّنَّا هَآؤُلَآئِكَ لَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ

سُورَةُ قَاتِ آيَةُ ٦



HABEN SIE NICHT DEN HIMMEL  
ÜBER SICH ANGESCHAUT,  
WIE WIR IHN ERBAUT UND  
GESCHMÜCKT HABEN  
UND ER KEINE LÜCKEN HAT?

SURE 50, VERS 6



# فِكْرُوفِن

العدد الخامس ١٩٦٥ العام الثالث

يصدرها: الدوت تايلو و انامارى شيميل

## الفهرست

- ٤ حول تفتح الانسان، مقتطفات من اعمال هايڤريش بستالوتزى
- ٦ هل نعاني ازمة حضارية، بقلم ادوار دشرانغر
- ١٨ اسطورة وحيد القرن فى الشرق والغرب
- ٣٤ توفيق صائغ: بضع اسئلة لاطرحها الى الكركدن . (Auszug) Fragen, dem Einhorn zu stellen.
- ٤٦ وحيد القرن ومدورته؛ مسرحية اذاعية لايڤريد باخير
- ٥٧ ورقة من تاريخ الاستشراق فى النمسا: يوسف فون هامر - بورجستال؛ بقلم انامارى شيميل

يقدم الناشر ودار النشر شكرهم لكل من شرفهم بمعونته فى تحضير هذه المجموعة  
وبدون مساعدتهم لكان من المحال ان تحصل هذه المجموعة على شكلها الحالى الجميل  
نشدد القراء الكرام ان يداوموا فى ارسال معاوتتهم وآرائهم القيمة ونحن لهم من الشاكرين

ترجمات: Dr. Muhammad Ali Hachicho, Köln; Dr. M. A. Ibrahim, Winterthur; Dr. Arnold Hottinger, Beirut; Magdi Youssef, Köln.



# FIKRUN WA FANN

Herausgeber:

Albert Theile und Annemarie Schimmel

## الفهرست

٧١ مما استجد في علم الفلك، عن اودو بكر، بقلم محمد عبده ابراهيم

٨٦ عبر الحدود: مولانا جلال الدين الرومي

٨٨ وفيات: Ernst Kühnel, Paul E. Kahle, Kurt Erdmann

٩٤ تاريخ: معرض الفنون العراقية القديمة في كولونيا

٩٦ طلائع الكتب

دار النشر: Übersee-Verlag, Hamburg 36, Neue Rabenstr. 28, Bundesrepublik Deutschland  
تظهر مجلة "فكر وفن" العربية موقتا مرتين في السنة - الاشتراك: ١٠ مارك ألماني. - النسخة الواحدة: ٦,٠٠ مارك ألماني؛ ثمن الاشتراك المحفّض للطلبة:  
٣ مارك ألماني، النسخة الواحدة: ماركان. - تقدم طلبات الاشتراك إلى دار النشر  
تصنع الكليشيات: Chemigraphische Kunstanstalt Friedrich Heitges, Hamburg  
الطبعة: Druck: J. J. Augustin, Buchdruckerei, Glückstadt . في سنة ١٩٦٥ بطرف © 1965 by Albert Theile  
ادارة التحرير: Adresse der Redaktion: Albert Theile, Unterägeri, Zug, Switzerland



# حول تفتح الانسان

مقتطفات من أعمال

هاينريش بستاوتز

كان التربوي السويسري الكبير: هاينريش بستاوتز الذي عاش بين عامي ١٧٤٦ و ١٨٢٧. يضع مهمة تربية النشء في مقدمة واجبات الدولة. فالبشرية المثقفة في رأيه هي البشرية الحقة التي «يعم خيرها العالم». ولعل مقتطفات التي اخترناها من أعمال بستاوتز (حيث يعد أهمها كتابه: «لينهارد وجيرترود» ومؤلفه المعنون: «كيف تعلم جرترود أطفالها؟») جديرة بأن تبعثنا على التأمل والتفكير.. وإليك بها:

«إن تفتح إحدى طاقاتنا بصورة متحيزة بلحانب دون سواه ليس بالتفتح الحقيقي ولا الطبيعي وإنما هو ثقافة سرابية لا تعدو أن تكون بمثابة المعدن الرنان والحرس المصلصل للثقافة البشرية ولكنها ليست بالثقافة البشرية ذاتها..»

\*

«وإني لست أنكر أن هذه الوسيلة قد تؤدي إلى إيجاد صناعات للثياب وللأحذية وتجارة ومحاربين من نوع جيد، ولكني لأقر أنه في إمكان هذا النهج أن يخرج صانعا للثياب أو تاجرا تتحقق فيه سمات الانسان بالمعنى الرفيع لهذه الكلمة.»

\*

«لابد أن تشمل الوسائل التعليمية في مجموعها على كل مامن شأنه أولا: أن يوقظ أحاسيس القلب وينفث فيها الحياة، ثانيا: أن يطور ويشكل طاقاتنا الروحية والنفسية، ثالثا: أن ينظم ويوجه سلوكنا الخارجي النابع من تلك المشاعر التي أوقظت والطاقات الروحية التي شكلت وتبلورت، بحيث يؤدي كل ذلك في النهاية إلى تناسق طاقة تعبيرنا الخارجي وكياننا الباطني مع كافة ظروف وواجبات حياتنا.»

\*

«والآن بقدر ما يتحقق للتربية أن تبعث الحياة من جديد في طبيعة النشء الانسانية، في كل من ملكاتها المنسجمة مع بعضها البعض، وبقدر ما يتيسر لها أن تدرب هذه الملكات وتشغلها، بقدر ما ينمو في نفوس النشء ذلك الاحساس الواعي بالقيمة الباطنة الناجمة بالضرورة عن شحذ القدرات البشرية وتدريبها على نحو متناسق. وهكذا يقترب الانسان بصورة جوهرية من الدرجة التي تجعل في إمكانه أن يدرك أنه ليس مجرد كائن شهواني ترابي فحسب، وأن طاقاته ليست مجرد طاقات أرضية، بل يبدأ على العكس - في التعرف على القيم الالهية الرفيعة التي تشمل عليها طبيعته، وفي اعتبار نفسه كائنا إلهيا، وتقدير ملكاته وطاقاته على أنها ملكات وطاقات سموية. وهو بذلك يخطو متقدما نحو المستوى الذي يتيح لمطالب الطبيعة السامية في الانسان أن تفتح وتزدهر في قوة وحيوية منتصرة على طغيان الشهوة البدائية. وهو في غمار إحساسه بسمو ذاته يخلق بها مرتفعاً عن التراب العالق بوجوده الأرضي وعن محيط بيئته الأرضية..»

\*

«الله قريب حيثما يظهر الناس المحبة لبعضهم البعض.»

\*

«حيث ينعدم الحب يسود الموت والفساد ظهر البسيطة. فأفضل قوى الانسان لا تلبث أن تجذب وتذبذب إن لم يحب المرء أخاه..»

ترجمة: مجدى يوسف

كريستيان رولفس Christian Rohlf (١٨٤٩ الى ١٩٣٨): ازهار بيضاء (Calla). نشكر ادارة متحف Museum am Ostwall في مدينة دورتموند لانعامها علينا بكتيشه هذه اللوحة.







# هل نعانى لازمة حضارتنا؟

بقلم إدوارد شبرانغر

إدوارد شبرانغر: فيلسوف وعالم نفسى وتربوى. ولد فى السابع والعشرين من الشهر السادس من عام ١٨٨٢ فى ضاحية «جروس ليشترفلده» بالقرب من برلين. وقد استهل «شبرانغر» حياته العلمية كدرس بجامعة برلين (عام ١٩٠٩) ثم انتقل عام ١٩١١ إلى جامعة «لايبتزج» ولكنه عاد ثانية إلى برلين فى عام ١٩٢٠ حيث درس بجامعة حتى عام ١٩٤٥. وقد قضى «شبرانغر» الفترة بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٣٧ كأستاذ زائر فى اليابان. وفى عام ١٩٤٤ اعتقل فى برلين لأسباب متعلقة بثورة الشعب الألمانى على هتلر فى العشرين من الشهر السابع من تلك السنة. وتقلد «شبرانغر» بعد الحرب منصب مدير جامعة برلين غير أنه اضطر لأسباب سياسية إلى مغادرة هذه المدينة حيث عمل أستاذا بجامعة توبنجن فى عام ١٩٤٦. وقد وضع «شبرانغر» أسسا جديدة لعلم النفس فتحت أبوابا جديدة لفهم الشخصية وتطورها. كما وضع فى بحوثه الفلسفية البناء الفكرى والحضارى للحياة. أما فى مجال التربية والتعليم فقد حظت أعمال شبرانغر على قدر كبير من الاهتمام. ونحن نذكر هنا من بين مؤلفاته العديدة: «سيكولوجية المراهقة» (الطبعة الأولى فى سنة ١٩٢٤ والطبعة الخامسة والعشرين فى عام ١٩٥٨) و «أشكال الحياة» (الطبعة الأولى فى عام ١٩٣١ والثامنة فى سنة ١٩٥٠). وقد ترجمت مؤلفات هذا العالم الفيلسوف إلى العديد من اللغات الأوروبية والآسيوية حيث حققت أفكاره انتشارا كبيرا فى عالم الفكر.

علينا أن ننظر إليها بمنظار يعلو على منطق التغير والتاريخ. فمن خلال هذا المنظار وحده ممكن وصف التاريخ بأنه ماضى فى سبيله سوى أو الطيب أو الذى ارتأته الإرادة الإلهية، على النحو الذى تصوره الفلاسفة أوغسطين وهيجل وفيشته. إن الخطوط العريضة التى تمر بها حياة الفرد تعود للظهور فى حياة جيل حضارى كامل. وعلى ذلك فإن كافة المفاهيم التاريخية القائمة على التجربة مستمدة من واقع الحاضر الملموس الذى من خلاله نلخص الماضى والمستقبل والحاضر معا وبقبضة واحدة ثم نضفى معنى ودلالة على هذا «الكل» الجديد. وهكذا فإن أى حقبة مغايرة لن تلبث أن تدرك معنى التاريخ على نحو مغاير. بينما لايجزؤ سوى الفلاسفة على خوض الغياهب الوعرة حينما لا يقنعون بمجرد أن نخبروا أفكار الانسان المتبدلة بل يتجاوزونها إلى تأمل أفكار الله ذاته. وهو الأمر الذى لم تعد تتجاسر عليه الفلسفة الحديثة!

مما تقدم يتبين لنا ان «بداهة الاحساس بالحاضر» تظل مرتبطة بالمنظور الثلاثى الأوجه للوجود الزمنى. وأنا نفتقد إلى المعيار المطلق الذى يمكننا من الحكم على أزمة ما نعانىها فى حقبة حاضرة بكونها أشد أو أفسى مما سبقها من الأزمات التى نعرفها نحن معشر المؤرخين. على أنه ليس فى مقدورنا أن نتعرف بوساطة منحى معد سلفا لمجرى التاريخ عما إذا كان إحساسنا المعاصر بشدة الأزمة التى نعانىها فى ظل حضارتنا الغربية\*، يعتمد على أساس

يعانى الناس دوما ذلك القطاع الزمنى الذى يعنى «الحاضر» بالنسبة لهم على أنه أزمة. ومن خلال صيغة الزمان الذى يغلف وجودنا فى هذا العالم ينجم الايقاع الأصلى للحياة. أما «الحاضر» فينطوى على قدر من رهبة الاشراف على عتبة هوة لا قرار لها. ولو أننا التفتنا إلى الوراء لنلقى نظرة على ذلك «الحاضر» لشعرنا بتناقضه مع الأمن الذى كنا نرفل فيه فى طفولتنا. ومهما كان ماضينا مترعا بالآلام فقد صار فى القليل مقرا على نحو جلى لا يحتمل لبسا أو غموض، بل ومن المحتمل أن تكون آثاره قد زالت وجروحه قد طابت. بينما نجد المستقبل على النقيض من ذلك. فهو ما زال مبهم المعالم وما من أحد يدرى ما إذا كان مجراه سيتبدل إلى أسوء أو أفضل. أما اللحظة التى يلتقى فيها الماضى والمستقبل، تلك اللحظة التى تجول معنا وتلازمنا دوما، فهى التى نطلق عليها: حاضرننا. حاضرننا الذى أبدا لا يكف عن التهديد. فالاحساس بالوجود فى إطار «الحاضر» يؤدى دوما إلى افتقاد مقومات السعادة والكمال. وعلى الرغم من أن الانسان يتوق إلى مستقبل أفضل إلا أنه بهاب المجهول ويخاف المصير والموت. وهنا تحمل لفظة الأزمة، التى تعنى فى الأصل الفرقة والانفصال، معنى الوضع القلق المتوتر الذى لا يمكن ولا يصح أن يظل على هذه الصورة.

كل منا يدعو حاضره: الزمن العصيب. وكلنا يصفه كذلك من خلال أبعاد منظوره التاريخى و «الوجودى». ذلك أن الايقاع الأصلى للوجود فى هذا العالم يجلب معه هذا الاحساس من تلقاء ذاته. على أننا لو رغبتنا أن نصدر حكما موضوعيا على فترة ما بكونها أسوء من سواها أم لا، لتعين

\* من الواضح هنا أن مؤلف هذا المقال يحاول أن يعالج الأزمة الحضارية التى يعانىها «الغرب» ولذا كان من الأصوب أن نطلق على عنوان هذا المقال: هل يعانى الغرب أزمة حضارية؟ (المترجم).



من الحقائق الموضوعية من عدمه. كما أنه لا يتأتى لنا إصدار حكم علمي إلى حد ما على مدى صدق هذا «الاحساس» إن لم نلجأ إلى تحليل البناء الداخلي للحضارة والوقوف على مفاصل حركتها ثم نطبق بعد ذلك هذه «الصورة الداخلية» أو هذا «الفهم الجديد» على الوضع الحضارى الراهن. أما الاتجاه الذى نضيفه — نحن البشر — على حركة التاريخ فيتوقف بالدرجة الأولى على إرادة المستقبل التى تحملنا على جناحها.. ورغم ذلك، فنحن لاننكر أنه تبعاً لتوزيع القوى على نحو معين يمكن التنبؤ بما سيحدث حتماً فى المستقبل. إلا أن الطاقة التى تحمل «نزوعنا» فى التحرك تجاه الأمام تلعب دورها هى الأخرى فى هذا المجال. وأينما وجد «النزوع» فلا مناص من بزوغ «الوجوب» فى أى صورة من الصور. ولعله من الحدير بنا أن نلقى الضوء هنا على ظاهرة هامة، ألا وهى أن بعض الفوضى والاضطراب قد أصاب ذلك «الكيان العام الحى» \* وأنه ليس من السهل على الجهود البشرية استعادة النظام الذى بددته تلك الفوضى. لاشك أن معالجة هذا الموضوع بالتفصيل أمر لا قبل لنا به هنا لعظم ضخامته. فما من قارئ ينتظر من مقال واحد كهذا سوى استخلاص بعض وجهات النظر التى يجب متابعتها بالتفصيل فيما بعد.

كما نعتز لدى الكائنات العضوية على جوانب القوة من جهة ومواقع الحوار والوهن من الجهة الأخرى، كذلك يمكننا الوقوف على عناصر الضعف التى ينطوى عليها البناء الروحى الفطرى لأى حضارة من الحضارات. إن كل حضارة ذات خصائص ذاتية تميز أبنائها وأتباعها لاتعدو أن تكون «تجربة» تجرى بواسطة جماعات من الناس (الشعوب والأقوام). ويجوز خلال هذه التجربة أن تلعب طبيعة الأرض دورها (نظرية شبنجلر Spengler عن روح الحضارة) كما يصح فى حالات أخر أن تؤدى بعض العوامل التاريخية التى تحدد مصير قوم من الأقوام إلى ضغط الحريات وخنقها (نظرية «توينبى» Toynbee عن التحدى والاستجابة) كما يمكن للصدفة التى لاسبيل إلى تفادىها أن تلعب هى الأخرى دورها فى هذه التجربة. وعلى أى الحالات فإن الحضارة تظل بمثابة الدلالة الروحية والثقافية التى تطبع بها عدة أجيال عالمها المحيط بها كما تنطبع هى ذاتها بتلك الدلالة الروحية (حيث أن هذه الأجيال تعتبر بدورها موضوعاً لتشكيل الاطار الحضارى). وهنا تكمن أولى علامات الخطر التى تنطوى على التعصب

\* ذلك أن كل حضارة عبارة عن نتاج للحياة الروحية يعلو على مستوى الأفراد وينوب فى الجماعة.

والاندفاع فى جانب واحد دون سواه، الأمر الذى يترتب عليه ضعف تناسق الكل. ذلك أن الحياة فى جميع صورها عبارة عن كل ذى وظائف موزعة على نحو لا يسمح لأحد الأعضاء أن يظل خاملاً أو مفتقراً إلى التغذية. ولعلنا نعرف فى هذا الخصوص قوانين الحياة المتعلقة بعالم الحيوان وجسد الإنسان. إلا أننا لا نعرف هذه القوانين أولاً نلتم بها على النحو الكافى فيما يتصل بذلك الكيان الروحى العام الذى يعلو على الأفراد والذى ندعوه «الحضارة». من أجل هذا فإن الحضارة — كل حضارة — لا تعدو أن تكون تجربة غير واضحة المعالم يقوم بها جماعة من الناس. وليس فى استطاعة أحد أن يتنبأ سلفاً بما إذا كانت تلك «التجربة» قادرة على العيش لأمد طويل من عدمه. فربما تؤدى بعض الأحداث الحضارية ذات المزايا السطحية إلى خسائر فادحة بعد مرور عدة قرون من الزمان. وقد يكون مرجع تلك الازراء إلى التركيز على جانب واحد دون سائر الجوانب، وهو الأمر الذى نعرف نظائر له فى الكائن الحى العضوى الذى يؤدى اقتصره على نشاط واحد إلى إلحاق الأضرار به.

من البديهي أنه ما من كائن حى خال من الصراعات الداخلية. حتى أن هيجل Hegel قد جعل من التناقضات والتوترات النفسية الباطنية «مبدأ دياكتيكيا للحياة» \*. أما نحن اليوم فلسنا على استعداد لأن نفهم المسألة على أنها مجرد قانون دياكتيكى تمضى تبعاً له الأفكار والمفاهيم فى حركة دائبة تماشى رغم تناقضاتها الداخلية مع وحدة الروح المطلق وصفات الله الحسنى. فالفلاسفة الذين يأخذون بنظرية القيمة يحدثوننا عن «الصراع بين القيم». ذلك الصراع الذى لا يمكن تفاديه، والذى يؤدى — لو أخذنا به على العكس من النظرية الهيجلية — إلى افتراض تعريض الكل إلى أخطار بالغة. فلو حدث مثلاً أن كبنت قيم معينة على الرغم من الأهمية الكبرى للدور الذى تلعبه فى تحقيق الحياة البشرية فإنه يترتب على ذلك توتراً حاداً، ولا يلبث الكل أن ينهار.

إن الحضارة الانسانية فى جميع حالاتها لاتعدو أن تكون تجربة تتفاعل مع العلاقات اللامتغيرة فى العالم، كما تراعى فى الوقت ذاته القوانين المتعلقة بتكوينها الخاص. ففى مجال الأداء البشرى يصدق على الدوام قانون الآثار الجالبية

\* ينص مبدأ الحركة الديالكتيكية للحياة عندهيجل على وجود صراع بين «الموضوع» These «ونقيضه» Antithese «يؤدى إلى «الجامع بينهما» Synthese ثم لا يلبث أن يصبح هذا «الجامع بينهما» موضوعاً من جديد فى مقابل نقيض له وهلم جرا. ولتوضيح ذلك نضرب مثلاً ببذرة النبات (موضوع) التى تدفن فى باطن التربة (نقيضه) وينجم عن تفاعل الاثنين بزوغ «الشجرة» (الجامع بينهما). (المترجم)





تيودور ويرنر، سبعة عشر، ١٩٥٩ Theodor Werner, XVII نشر اكاديمية الفنون الجميلة ومطبعة اخوان هارتمان في برلين لانعامها علينا بكلية هذه اللوحة.



غير المرغوب فيها حيث لقبه «فيلهم فونت» Wilhelm Wundt بقانون عدم تجانس الأهداف. ونحن نفضل أن ندعوه هنا بقانون عدم تجانس التأثيرات. وكمثال على ذلك نجد أن قانون المجالات الخاصة بالكيان العام (الذى يسمو على الفرد) داخل إطار الكل الحضارى، لا يلبث أن يصطدم على نحو لا يمكن توقعه سلفاً بأولئك الذين ينطوون تحت لواءه أو بعبارة أخرى بالأفراد الذين يحملون الحضارة وتحملهم. وهكذا يحدث هنا مثلاً حدث فى قصة جوتيه الشهيرة للساحر الصغير Zauberschling عندما استطاع بمادته السحرية أن يسيطر على القوى الخفية ويجندها لخدمته بينما نسي المادة اللازمة لطردها. أى أنه بذلك قد أصبح — هو نفسه — بمثابة الحلقة الضعيفة فى سلسلة المؤثرات. وهكذا تتبدل القدرة النافعة إلى معاناة مؤلمة.

إن الموضع المعرض للخطر فى كل حضارة هو ذلك الذى يكمن فى العلاقة بين القوى التى تعلو على الفرد وتزداد تكاثفاً على مر الأيام (الموضوعيات) والأفراد الذين يعيشون معها جنباً إلى جنب. فعلى هؤلاء الأفراد أن يتحملوا عبء الماضى الذى مازال أثره يتدفق فى الحاضر، حتى لو كانوا لا يرون جدواً سوى فى «بعض» ما خلفه ذلك الماضى. وهنا تعبر المعادلة السابق ذكرها والتى تقول بأن حامل الحضارة محمول منها فى نفس الوقت، عن تلك العلاقة ذات التناقض الظاهرى بين القوى الفكرية (المدعمة تاريخياً) والأفراد المعاشين لها. ذلك أن الإطار الضخم للحضارة يحمل هؤلاء الأفراد الذين يترتب عليهم بدورهم أن يحملوه بمعنى أن يستوعبوه ويتقبلوه ويواصلون بناءه، وإلا حدث انشقاق. وعلى كل حضارة أن تكون وتنشئ الأنماط الفردية المناسبة لها. وهو الأمر الذى ينطوى على مهمتها التى يحتملها وضعها التاريخى، تلك المهمة الثقيفية التى تعرف باسم «التربية والتعليم». غير أنه قد يحدث فى هذا المجال أن تؤدي المطالب الحضارية إلى نوع من الضغط الشديد. ذلك أن قابلية الإنسان للتشكيل لها حدود لا تتعداها سواء من الناحية النفسية أم الجسدية.

لم تبحر حتى الآن إلا فى القليل إمكانية توجيه الحضارة حسب خطة موضوعية. وإن كان من الثابت سلفاً أن الفرد بصفته فرداً لا يستطيع أن يوجه المسار الحضارى مهما عظمت عبقريته. ولكنه يستطيع ذلك فى حالة واحدة ألا وهى أن يقوم بهذه المهمة عن تكليف مسبق من أجهزة توجيهية كبرى.

لطالما كانت من الخصائص المميزة لحضارة الغرب الأوروبى

\* المقصود هنا بالتأثرات هو ما تخلفه المؤثرات ..

فى رأى مؤرخى العصور الوسطى، أنها ذات بناء مزدوج القمة. حيث تقاسمت قيادتها قوى عالمية كانت أقصاها فكرة الامبراطورية من جهة والعالم الدينى أو بعبارة أدق الكنيسة الرومانية من جهة أخرى. بينما طالب كل منهما بمجالات عالمية. لذا كان من الطبع أن يترتب على التنافس الذى لا معدى عنه بين هاتين السلطتين حدوث توتر دائم. إلا أنه من خلال هذا التوتر قد نجمت دينامية داخلية ميزت الحضارة الغربية عن أى طرز من أطرزة الحكم الدينى المطلق أو الدول العلمانية.

ومنذ عصر الإصلاح الأوروبى وتأميم السياسة حسب خطة موضوعية تبدل ازدواج القمة إلى تعدد القمم. فمالبت أن اتجهت قيادة الحضارة برمتها إلى أيدى الدول. وقد نحت هذه الحركة فى أول عهدها إلى دعم الحكم الملكى، ثم بدأت بعد ذلك فى تعزيز الاتجاهات القومية التى كانت قد ظلت تعمل «تحت الأرض» لفترة طويلة. والحدير بالذكر أن فكرة المطلق قد لعبت الدور القيادى فى توجيه الحضارة فى كلتى الحالتين، بغض النظر عما يمكن أن تكون قد تعرضت له من مناهضة عنيفة. حتى إذا ما تطلعتنا خطوة أخرى إلى الأمام لوجدنا أن الأمر لم يتوقف على الصراع الدائر بين الكنيسة العالمية (الكاثوليكية) والدول الكبرى والعقائد الكنسية التى بدأت تظهر آنذاك. ذلك أنه قد اعتلت مسرح الحضارة فى القرن الثامن عشر — الذى تميز بحركة الاستنارة والثورة الفرنسية — سلطتان جديدتان هما العقل العام و«المجتمع». ولعله ليس على سبيل الصدفة المجردة أن رفعت الثورة الفرنسية فى غمار اندفاعها هاتين السلطتين — العقل والكيان العام — إلى مرتبة التأليه. وإذا كان ينطوى مفهوم السلطة الأخيرة على معنى الانسانية، فانما يقصد به على وجه التحديد «المجتمع» التأثير على النظام الاقطاعى القديم. وقد سار منذ القرن التاسع عشر كلا من الاتجاهين القائلين بالعقل العام وبالمجتمع يداً فى يد وجنبا إلى جنب. حيث نجم عن اتحادهما بزوغ المجتمع الموجه على أساس علمى. وهكذا صار علم الاجتماع عالمياً. كما ارتبط بأقوى فروع هذه الحركة شعار القائل «بأن الدولة فى طريقها إلى الاندثار»..

لم تتحقق نبوءة هذا الشعار، وأغلب الظن أنها لن تتحقق فى المستقبل كذلك. ولعله فى مقدورنا — بعد أن نأخذ من الحيلة كفايتنا — أن نصيغ القانون الذى يفسر حركة التاريخ على النحو التالى: كلما ظهرت ضرورة القيام بأعباء جديدة ضخمة تتعلق بالتوجيه الحضارى العام ارتفعت الوظيفة القيادية التى تلقى على عاهل الدولة.



في ضوء القانون السابق يمكننا كذلك أن نستوضح تاريخ الدول ذات الحكم المطلق في أوروبا منذ القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر. فقد أصبح الانتقال من الحياة الإقليمية الضيقة إلى العالم الفسيح ضرورة ملحة في جميع المجالات. وعندما حدث العكس فيما بعد لصالح الحد من النظام الرأسمالي كان لابد من الاستعانة في هذا الصدد بالدولة. على أن هنالك ظاهرة هامة للغاية ألا وهي أنه كلما زاد تعقد الظروف الحضارية ظهرت على مسرح الحياة السياسية اتجاهات مركزية تضع كافة السلطات في يد الدولة. والظاهر أن مهمة التوجيه الحضاري قد غدت من الصعوبة بمكان بحيث أصبحت تتطلب تركيز القوى. أما المتنبذات السياسية فتحتل مركز القيادة العليا وتحاول في هذا العالم المفكك أن تعيد تجميع الكتل من جديد. غير أنه ليس في الامكان توقع أي بصيص من الأمل بصدد تحقيق هذه الجهود إن لم يفتح الباب أمام جميع المذاهب على اختلافها كي تتلاقى وتتشابك. ولقد عرف شبنجلر O. Spengler عودة ظهور الحكم التعسفي بأنه من أهم سمات العصور المتأخرة. وسواء خضع أفراد الناس صاغرين لأنظمة الحكم الدكتاتورية - عن طريق مساهمتهم في النشاط التوجيهي الخاص بتلك الأنظمة - أو قاوموها بدافع من فرديتهم، فإن الأمر في كلي الحالين يتمخض عن أزمة حضارية بالغة الحدة. فالمسألة هنا تدور حول حرية الانسان وكرامته.

لقد أمكن حتى الآن استقراء الظروف الحضارية - التي تلعب دورها في كل حضارة - والتعرف منها على مواضع الخطر. إلا أنه لا معدى لنا عن الإجابة على السؤال التالي الذي يبدو ساذجا للوهلة الأولى: من هو الذي تحيق به أرزاء الأزمة الحضارية؟ - ناهيك عن أن الإجابة على هذا السؤال كثيرا ما تغفل. ترى أسوء حال الفرد تبعا لتلك الأزمة (فقدان السعادة)؟ أم تطرأ الفوضى على حضارة المجتمع (فوق الفردية) بحيث تعجز في النهاية عن تأدية وظائفها عجزا تاما (اختلال وظيفي)؟ أم أن الأزمة الحضارية تنطوي على افتقار دلالة وجود الانسان (فقدان المعنى)؟ من البديهي أنه لا يمكن الفصل بين جوانب الحضارة المفصلة أعلاه (الروح المطبوعة، والروح الجماعية، وروح الفرد)، فهي لازالت متداخلة متمازجة فلا استقلال لأحدها عن سائر الكل. وما لا يتطرق إليه الشك أن الأفراد المعاشين لتلك الوحدة الحضارية هم وحدهم القادرين على الاحساس بما يصيبها من خلل. ذلك أن جهاز الحضارة (مبادئها وتشكيلاتها الجماعية) لا يعي أو يحس. لذا فإن وجود الأزمة الحضارية لابد أن يكون نابعا من التجربة الذاتية التي

يعانيها الأفراد، بشرط أن يكون هؤلاء قد تساموا وتجردوا عن حدود التجربة الحضارية التي يعانونها. أي بشرط أن يكونوا من أهل القيادة الفكرية (الحضارية) أو من كبار فلاسفة التاريخ الحضاري أو أن يكون لديهم قدرة على الاحساس الاستبطاني بما إذا كان الطريق الذي تسلكه الحضارة يحقق معنى الوجود البشري من عدمه.

أما إذا كانت العمليات الحضارية في الغرب مجرد أحداث آلية ميكانيكية لا يلعب فيها الأفراد سوى دور التروس الصغيرة في الآلة الكبيرة، فإنه لا يمكن أن يوجد «الصحیح» أو «الخطأ». ذلك أن ما يقتصر دورانه على مبدأ العلية لا يمكن أن يؤدي إلى المسئولية. فالمسئولية لا تتوفر إلا إذا توفرت الإرادة وحق الهدف. أي أن القضية تكمن - بعبارة أخرى - في إرادة الحضارة. ونحن نستطيع أن نتوقع من الآن أنه فيما لو اعتبرت إحدى الجماعات الحضارية أن «تعدى» إحدى الحضارات على «حدود» حضارة مغايرة أمر مصري محتوم يحدث بصورة «آلية»، لكانت كل مقومات تلك الجماعة الحضارية معرضة سلفا للانهايار، ولكان مآلها منذ البداية إلى السقوط في وهدة الأزمة. فإنها بذلك - أي تلك الجماعة - تكون قد تنازلت تماما عن القيام بأي دور قيادي في توجيه الحضارة حتى بالنسبة للمجالات الصغرى التي كان من الممكن المشاركة في توجيهها. إننا نحن أبناء هذا العصر نحس كما لو كانت عجلة القيادة قد انزلقت من بين أيدينا منذ أمد بعيد. ومن هنا ندرف العبرات \*

إن الأمر يعتمد إلى حد بعيد على كيفية فهم أبناء الحضارة - أي حضارة - لجوهر وجودهم. فهم إذا ما تخلوا عن وضع هدف لحياتهم اعتقادا منهم أنه لا جدوى من النزوع الذاتي طالما أن المصير سيستلحقهم سواء أرادوا أم لا، فإنه من المحتمل أن يمضي الجهاز الحضاري لفترة ما بدرجة يمكن احتمالها، بل وربما أتى ببعض المكاسب الظاهرية المتواضعة، إلا أن المعنى والهدف من حياة الفرد وحياة الكل يكون قد تهدد من جذوره. لذا فإنه من المهم أن نكشف عن الموضع الذي انبعث منه هذا الاتجاه الفكري. ولعله يظهر أكثر ما يظهر في المذاهب الفلسفية، طالما أن هذه المذاهب تقوم - حسب طبيعتها - بدور القيادة الفكرية. وهي تلعب هذا الدور بصفة خاصة في عصر تسوده الفكرة القائلة بتوجيه المجتمع عن طريق العلم. أما العقائد الفلسفية فلا تلبث أن تنتقل تدريجيا من محيط الطبقة المفكرة في المجتمع إلى وعي

\* اختار المؤلف العبارة اللاتينية الشهيرة: Hinc illae Lacrimae التي ترجمتها الحرفية: من أجل هذا كانت هذه العبرات.



أبسط العامة وأبعدهم عن أمور الفكر. ومن الطبيعي أن تزول العلل والمسببات في هذه المرحلة الأخيرة. إذ يفكر «المرء» على هذا النحو طالما أنه الأسلوب «الشائع» لفهم الأمور.

لقد طرأ التحول الرئيسى على الفلسفة الغربية في اللحظة التي اعترف فيها بشرعية أحد واجبها دون الواجب الآخر. فعلى الفلسفة من جهة أن تعالج وتكمل الإرث العقائدى الدينى، وأن تلخص — من الجهة الأخرى — المعارف المستقاة من بحوث مختلف العلوم داخل إطار نظرى أوسع وأشمل. وهكذا فإن الفلسفة تصبح في الحالة الأولى مبحثاً فيما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)، وفي الحالة الثانية «تجميعاً» للمعارف المستقاة من التجارب. على أنه لا يمكن التنبؤ سلفاً بما إذا كانت حفرتا النفق اللتان تبدآن هنا من طرفين عكسين سوف تؤديان إلى الالتقاء معاً وتكوين صورة كاملة الرتوش عن العالم. ومهما كان الأمر فانه لا مجال للشك في أن الكشف عن «القيم» التي تخضع لها الحياة البشرية من مهمات ما بعد الطبيعة. فان نوع القيم التي نؤمن بها أمر يتعلق بالعقيدة. بل وعلى الرغم من المحاولات الحديثة لتصميم نظريات قيم تتوفر فيها سلفاً صفة الثبات والصحة، إلا أن هذه النظريات لن تصبح أبداً من الأمور المعرفية الخالصة. وعلة ذلك أن وجهات النظر القيمة تتطلب طاقة «المثابرة»، إذ أنه لا تكفى هنا بداهة الإدراك المعرفى. لقد أعلن الاتجاه العلمى المدعو بالمذهب الوضعى رفضه للدين والميتافيزيقا باعتبارهما من الصيغ البالية لتفسير الكون. وإذا كان هذا المذهب يتمثل في أوضح صورة في قانون المراحل الثلاث للعالم الفرنسى «أوجست كونت» Comte، فهو لا يعترف سوى بثمار العلوم التحليلية التعميمية. ولعله قد غاب عن هذه الفلسفة (الوضعية) أنها قد استبعدت بشكل حاسم قاطع في غمار بدايتها التي عاصرت نداء الحرية للثورة الفرنسية تأمل ما للقيم والأهداف من وزن وأهمية، بينما راح الوضعيون يقصرون منهجهم في خطوطه العريضة على المعرفة العلمية للوسائط الخاضعة لقانون العلية. وقد ظهر هذا الاتجاه على نحو أشد ما يكون وضوحاً في المحاضرة الشهيرة التي ألقاها «ماكس فيبر» Max Weber عام ١٩١٩ تحت عنوان «العلم كمهنة». حيث جرد «فيبر» العلم من حق إصدار الأحكام أو صيغ الصفة الشرعية على وجهات النظر التقييمية. فالعلم عند «فيبر» لا يحدد لنا سوى عن الامكانيات المتاحة لتحقيق أهداف الإرادة — ذات القيمة الأكيدة — تبعاً لقانون العلاقات السببية بين الوسائط. ليس في استطاعتنا في هذا المقام أن نوضح بصورة عابرة

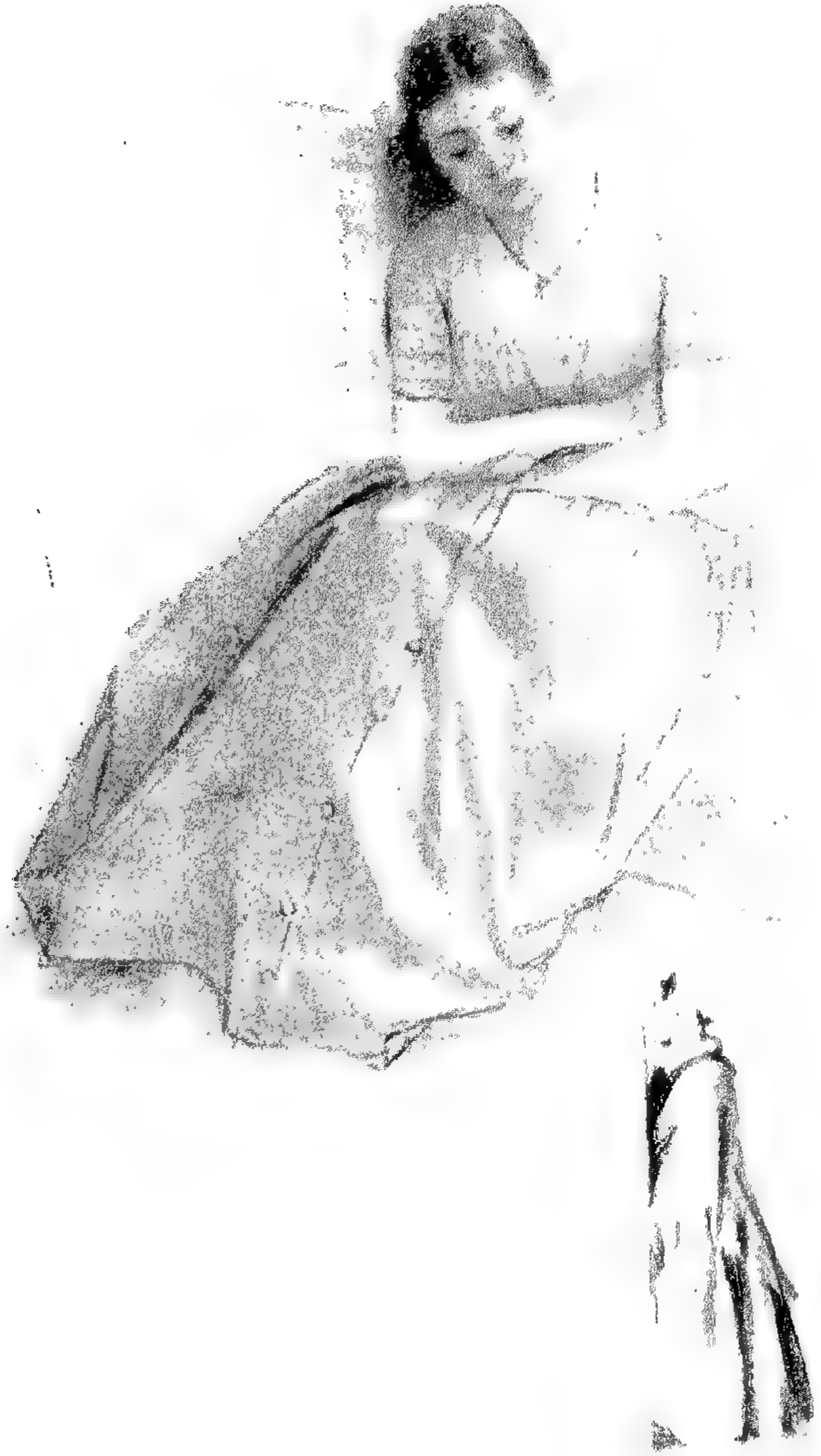
مواضع اللبس والغموض في المفهوم الاصطلاحي المتعلق بالحدود الفاصلة بين «العلم» و «الفلسفة». تلك الحدود التي تلعب دورها هنا أيضاً. وباختصار، لقد ظل الفكر الهندسى الحديث نموذجاً ومثلاً أعلى للفكر الذى يوجه الحضارة وحركة المجتمع. وليست مهمة هذا الفكر نقد الأهداف — إذ عادة ما تعطى هذه الصلاحية للخبر الفنى (التطبيقي) — بل انتخاب الوسائط على ضوء المنهج العلمى. لقد تخلى الانسان عن الإرادة الأصلية منذ أن أصبح هدفه الأوحد منحصراً في حساب ما سيحدث في المستقبل. لذا فقد اكتسب عادة جديدة ألا وهى ألا «يريد» سوى ما يستطيع القيام به (تكنيكياً)، بينما توقف عن إرادة «ما ينبغي» عليه. ذلك أنه لا يمكن التعرف على الـ «ما ينبغي» إلا بواسطة النظرة المتأملية العميقة التي تعبر عنها لغة التصوف أو الايمان المطلق أو ما بعد الطبيعة. ففى باطن كل من هذه الأسس الثلاثة تكمن جذور كل إرادة حضارية أصيلة.

تنطوى كل حضارة على تجربة. وهى تشق لنفسها طريقاً جزئياً متحيزاً. ومن المؤكد أن انتخاب هذا الطريق لن يتم من بين عدد لا نهاية له من الامكانيات. إلا أن العبء لن يلبث أن يقع على جانب واحد من الجوانب المتعددة للحياة، حتى إذا ما طرأ تطور زائد على هذا الجانب بزغت إن آجلاً أو عاجلاً بعض أعراض الاضطراب التي تمخضت عن عدم إيجاد المتنفس اللازم لتحقيق الشروط الطبيعية للحياة.

ولقد تمكنت الحضارة الغربية من تطوير سيطرة العقل البشرى على الطبيعة إلى حد بعيد، وما ترتب على ذلك من إمكان توجيهها جزئياً. ولعلنا لسنا بحاجة هنا إلى العودة لمعالجة هذا الموضوع الذى قتل بحثاً في العديد من المناسبات. إلا أننا لانوافق على رأى القائل بأن ما نعانيه من أزمة حضارية راهنة نابع عن هذه القضية وحدها (سيطرة العقل على الطبيعة). بل حتى لو افترضنا أن «التكنيك» العقلى المذكور قد كشف عن آثاره الضارة بالجسد والنفس والروح فاننا لانكون — على الرغم من ذلك — قد أشرنا إلى الموضع الذى يكمن فيه الداء الفعلى.

إن الخطأ الأكبر في هذه التجربة الحضارية يرجع إلى أن حركات المجتمع قد خضعت للتوجيه «التكنيكى»، أى بعبارة أخرى للعقل. ذلك العقل الذى كشف النقاب عن خاصيته ذات القيمة الجلية ألا وهى القدرة على تأمل الأهداف الفعلية لحياة الكل وحياة الفرد. ومن هنا صار العقل عنواناً لحرية الانسان. إلا أنه ما أن عجز العقل عن تحديد أهداف هذه الحرية حتى فقد معنى وجوده. بينما حل





ادولف فون منتزل: من كتيب الرسوم (١٨٤٦)

نحقق تقدماً أصيلاً. والواقع أننا لانبث بواسطة هذا الأسلوب أن نقع في شبكة السببيات. فهذه هي عاقبة تحرر نظام الوسائل من التوجيه عن طريق أهداف تجعل له معنى ودلالة.

إن عملية تبديل العالم إلى شبكة لا نهاية لها من السببيات إنما تنجم عن الطريقة الاصطناعية لتوليد الطاقة وتصاحبها بصورة مستمرة. ولأن كانت هذه الظاهرة قد حققت ثماراً يانعة في أول عهدها، فقد صارت تجلب الآن سلسلة من الآثار الجانبية غير المرغوب فيها. أما تلك الثمار اليانعة فقد تمثلت في توفير المزيد من طاقة الإنتاج لدى الإنسان والحيوان عن طريق استغلال طاقات الطبيعة الميتة. أضف

مكانه البحث العلمي — الذي لا يفرغ — عن السببيات المجردة. فقد أصبحت المسألة هنا بلا نهاية ولكن بمعنى «اللانهاية السيئة» التي حدثنا عنها «هيجل». والواقع أن جميع الشعوب التي أخذت بهذا الأسلوب العلمي قد صارت تخضع للاندفاع الجارف الذي يحمل بفخر الشعار القائل: أن البحث العلمي ضرورة ماسة. ولكننا لاندري أو لم نعد ندري على الإطلاق أي غاية مثلى تلك التي تؤدي إليها ضرورة البحث العلمي؟. إن الأمر هنا لا يعدو أن يكون على النحو الذي سبق أن فصلناه: فنحن نفعل الكثير من الأمور لمجرد أنه في مقدورنا أن نفعلها. ونحن لانتوانى عن توسيع قدراتنا بلا هوادة إذ نعتقد أننا بهذه الوسيلة سوف





ادولف فون منتزل : من كتيب الرسوم (١٨٤٦)

و «وسائله» — على حين بغتة — القدر الذى اعتاد أن يتمرس به أخلاقيا. فعندما تطرأ مثل هذه التغيرات المفاجئة يجب أن تتولد طاقة جديدة من نوع آخر، بحيث لا تنتظم كعضو بسيط داخل شبكة السببيات وإنما تضع لنفسها أهدافا مستقلة، فضلا عن أنه من المحتمل أن تعوق عملية الدوران الرتيب الذى لا غاية له. وينتسب العرف العام (الأخلاق) إلى هذا النوع الأخير من الطاقات التى عليها أن تنمو، على الأقل، بنفس الدرجة التى يتكاثر بها إمداد طاقات الطبيعة الصماء إذا ما اتصل إنتاجها على ذلك النحو الرائع الذى كانت عليه «ثمارها اللانعات» فى البداية. إلا أن الأمر لا يحدث على هذه الصورة. فالإنسان ميال

إلى ذلك أن عمليات تخزين الطاقة قد استلزمت إنشاء مخازن المثونة التى يلجأ الإنسان إلى الاستعانة بمحتواها فى أى وقت كان دون ما حاجة إلى انتظار الريح والأمطار. . على أنه إذا ما اقتصر تفكير الإنسان على البحث عن العلل والأسباب ترتب على ذلك اتجاه جهاز الدوافع النفسى إلى الآلية التى تحمل الأخطار بين طياتها. فكلما اضطرب المرء إلى تشغيل طاقته الشخصية فى تنفيذ مشاريعه كلما تحلى بالحرص والحذر. (إذ يصل الأمر إلى أننا نصيغ عباراتنا بقدر أكبر من التأمل والتعقل حينما ندونها بأيدينا عما إذا أمليناها شفاها.) ولعل الأساطير الشعبية مليئة بالأمثلة التى تنبؤنا بمدى الأذى الذى يصيب الإنسان إذا ما فاقت «إمكانياته»



بطبعه إلى المخاطرة «بامكانياته» و «احتياجات طاقته» دون ضابط أو رابط، كلما كان استحواده عليها سهلا ميسورا. أى أنه «يتغنى» كل ما «يستطيع». أما الرقابة على قيمة ما يبغيه فلا تلبث أن تصبح ضعيفة متهودة. حيث لا يقتصر ضعف الرقابة هنا على «التوفير» بمعناه الاقتصادي وإنما يتعداه بالدرجة الأولى إلى تمحيص الفرد لذاته من الوجهة الأخلاقية وإدراكه الداخلي لما «يجوز» له أن يتغنى - وبدرجة أعلى - لما «يجب» عليه ابتغاء. إن إغراء القوة والسلطان معروف منذ أمد الدهر. فنحن نعثري في كتاب «جورجياس» Gorgias لافلاطون على الحكمة الأخلاقية: «إن ما أقدر عليه فهو طيب أيضا». ولعله من السهل العثور على أمثال قائل هذه العبارة في عصرنا نحن. ذلك أن جميع الامكانيات بغض النظر عن نوعها يشعر دوما بالأمن وهو ما يمكن ترجمته إلى العبارات التالية: «إني مسلح ضد جميع الظروف، فإمن مكروه سيلحق بي». وربما كان المرء في هذه الحالة محميا إلى درجة ما من عوائل الزمن، ولكنه يصبح محميا بدرجة أقل من أسلوب «إساءة الاستعمال»، الذي يقع في مجال الأخلاق. فكما اعتاد المرء أن يفكر على أساس «المسببات» لا «المسؤوليات» كلما قلت خايته من «سوء الاستعمال». فالاحساس بالمسؤولية لا يتأتى إلا عن طريق الاصغاء إلى صوت الضمير.

لو أردنا أن نعبر عن الحكمة الماثورة التي تحظى بالمرتبة الأولى من الأهمية في عالمنا (الغربي) لقلنا: «لا بد أن أكون مسلحا ضد أى طارئ غير منتظر، وليس فقط ضد الظروف التي تمر بنا في العادة. وبذلك أكون حرا وقويا في جميع الأحوال». من السهل أن نلاحظ في هذه العبارة أن محور التفكير كان محصورا في «الامكانيات»، بينما لم يمس بحال الغايات الأخلاقية الضرورية. لا بد إذن أن يظهر هذا الاتجاه المتحيز على شكل اضطراب وخلل حيث يتخذ في أول الأمر صورة العواقب الجانبية غير المرغوب فيها. ذلك أنه على الرغم من كافة الحسابات المسبقة فإن «الامكانيات» تتطور من تلقاء ذاتها حسب قوانينها الخاصة التي لم تكن في الحسبان. وهكذا تدور الأحداث في لفاتها الفارغة داخل جهاز الحضارة (الآلي) الذي ابتكره عقل الانسان! على أننا نلبث أن نعي في نهاية الأمر أن أى حضارة يستبعد منها العامل الأخلاقي تفقد لتوها معنى وجودها. بل أنها تعجز فوق ذلك عن إسعاد أبنائها.

\* يذكر المؤلف كثال على ذلك زهادة استهلاك المياه وما تؤدي إليه من تشجيع للناس على التهذيب بالماء طالما أنه متوفر وميسور في كل وقت.

إن الموضع الذي تكمن فيه علة الأزمة الحضارية الزاحفة على الغرب في هذه الأيام يمكن أن يعرف بواسطة الجملة التالية التي تعبر عن تحيز الحضارة الغربية وفقدانها لمعناها ودلالاتها بصفة مستمرة:

إن حضارتنا الراهنة (الغربية) هي نظام التصرف الذي لاحد له في الامكانيات التي لا نهاية لها.

لا شك أن هذه الصورة أو هذا المشروع الحضاري متناسق «في حد ذاته»، إلا أننا لا بد أن نعترض عليه من جديد. فإن الاستقرار على قيمة غائية للمضمون الباطن للحضارة ولتوجيه مسار الحياة قد كاد هنا أن يضيع في بلعة من النسيان. وبالعجب! فإن هذا الموضع الذي بات فارغا هو الذي يضغظ اليوم على أنفاسنا!

يتبين لنا من الاطلاع على «المعادلة العامة» لتوزيع القوى في الحضارة الغربية أن ثمة سباقا عنيفا كان لا بد أن يبدأ مع المكان والزمان من جهة، ومع قوى الطبيعة والمجتمع من الجهة الأخرى. فأينما اتجهنا وجدنا أن الأمر متوقف على مقدار الضخامة، أى على الكم على حساب الكيف. وهكذا انتصر «الاستمرار السيئ اللانهائي» في كافة الميادين. إلا أن أسوأ ما في الأمر أن هذا التقدم الذي لانهاية له لا هدف له.

ولعله من المفيد أن نوضح هنا أن نظرية «ماركس» في تفسير حركة التاريخ والمجتمع لم تتأثر تماما بفروض الاتجاه العلمى الوضعى الذي بلغ ذروته في الشعار القائل: «الرويا من أجل المعرفة، والتنبؤ (الرويا المسبقة) من أجل الاعداد والترتيب». فالمعروف أن «ماركس» قد احتفظ بالكثير من معالم فلسفة أستاذه «هيجل». وهو يرى - أى ماركس - أن وجهة الأحداث التاريخية والاجتماعية مقررة سلفا، ولكن ليس بطبيعة الحال على النحو الذي عناه هيجل. فماركس يؤكد أنه لا وجود لحرية تستطيع أن تحول وجهة التيار الذي يتجاوز حدود الأفراد ويدفعهم إلى المضي معه. أما ذلك التيار - أو ما يطلق عليه ماركس بحركة المجتمع والتاريخ - فيمضى حسب قانون دياكتيكي جدلي. وإن كان يرى هنا «سومبارت» Sombart أن النظرية الماركسية تختلط بصورة غير واضحة بقانون العلية. إلا أن المهم في هذا الصدد هو أن مسار التاريخ - عند ماركس - يتقدم شاخصا نحو هدف معين. فهو يحمل بين طياته حركة واتجاها هادفا مائة بالمائة. بل أن هذا المسار التاريخي ليس بحاجة إلى من يسر دفته فهو يوجه نفسه من تلقاء ذاته. حتى إذا ما أراد فرد أو طبقة اجتماعية أن تغير المجرى الطبيعي لتطور التاريخ فإن مثل هذه المحاولة لا تعدو أن تكون - حسب ماركس -



مغامرة يائسة. إذ لا يمكن أن يترتب عليها سوى «عقوبة السقوط». أما القانون الماركسي الذي يفسر حركة التاريخ فمهدف إلى تحقيق المجتمع العالمي الخالي من الطبقات، والذي ينعم فيه الجميع بالحرية والمساواة. على أنه لا يمكن بحال أن تهيأ للفكر حرية أصيلة قبل أن يتحقق هذا الوضع الاجتماعي أو بمعنى أدق: قبل أن تبلغ الحركة الديالكتيكية التاريخية هدفها من تلقاء ذاتها. ونحن نلاحظ هنا بوضوح صورة مفهوم الحرية عند «سبينوزا»، الذي يشابه تعريف الحرية عند «هيجل». فهيجل لا يعترف بحرية الفرد الذي يحكم بوحى من ضميره، وإنما يقصر اعترافه على انضمام مشيئة الفرد إلى مشيئة الله، وإقبال الفرد بمحض اختياره على الانتظام داخل خطة الكون الكبير. أما المطلق عند «ماركس» فهو ليس «الله» وإنما هو تلك الحركة الهادفة — حركة ذلك «الكائن الكبير» الذي تمخضت عنه الثورة الأوروبية الأولى، أو إن شئت فقل حركة المجتمع أو الوجود العام (الذي يعلو على الفرد). تلك الحركة التي لا يفلت منها أحد، ولا قبل لأحد بأن يضنى عليها اتجاهها مغايرا لمسارها الذي ينبع من داخلها ويحركها من تلقاء نفسها.

إذا كان من الممكن بعد ذلك أن نسمى نتيجة التطور الحضارى الذى يتدفق بغزارة فى الاتجاه المذكور آنفا: حرية، فمن الواضح أن المقصود بهذه الحرية شىء مختلف تماما عن تلك التى نبحث عنها فى الأعماق الميتافيزيقية للفرد. فمن خلال تلك الحرية الفردية وحدها يمكن أن تتولد الالتزامات الأخلاقية. أما العالم العصرى فقد غالى فى العزوف عن مراقبة أهدافه والتزاماته بالدرجة الكافية من الاهتمام. حتى إذا ما أراد أن يستعيد اهتمامه بتمحيص تلك الغايات والواجبات، كان عليه أن يتحمل مشقة الحصول على ضمير. ولا يوجد الضمير إلا فى نفس الفرد. الأمر الذى تترتب عليه فورا مشكلة جديدة: فترى هل تتخذ أحكام وقرارات جميع الضمائر وجهة واحدة بحيث تنجم عن ذلك إرادة موحدة. لاشك أن العبء الملقى على كاهل الدولة يكون شاقا عسيرا، إن هى أرادت أن تحقق ما أطلق عليه «روسو»: الإرادة العامة. تلك العبارة التى يمكن أن ترجم إلى: «الإرادة الأصيلة العادلة التى تعلو على النزعات الفردية».

يجدر بالذكر أنه كثيرا ما يذكر إسم «الضمير» فى غمار الخلافات الكبيرة فى عالمنا الحديث. ذلك أنه إذا ما أغفل تحكيم الضمير فى السياسة، فإن الدعوة إلى الحرية لن تختلف كثيرا عن طلب الراحة. أما توجيه الحضارة بوحى من الفكر الهندسى المجرد (المعرفة فى سبيل التنبؤ، والتنبؤ

من أجل التنظيم) فلا يتعلق إلا بالاختيار الموفق للوسائل والامكانيات. ولاشك أنه من الممكن عن طريق هذا التوجيه الأخير تحسين الكثير من مرافق الرفاهية العامة. إلا أننا لا نستطيع هنا أن نلمس الجوهر الأخلاقى للحضارة. وحيثما تفتقد الحضارة إلى المطلق فإن حرية الإنسان تصبح نوعا من الكماليات.

كيف إذن حال تلك الحرية — حرية الفرد — التى نعتبرها السمة المميزة للعالم الغربى؟ ذلك العالم الذى صار أخيرا يدعوا نفسه: العالم الحر.

لا يجوز أن يغيب عن أذهاننا أن لكل نوع من الحضارات طراز معين من الأفراد ينتسب إليها، وهوقادر على احتمالها بل وراغب فى ذلك. أما إذا انطأأت شعلة الإرادة النوعية للحضارة تدخلت المتندبات السياسية كى توفر على الشعوب التى ماعت حضارتها جهد التعبير عن مشيئتها أو بعبارة أصح: ضرورة الانتقاء بين الطريقين. إن مصير الغرب لن يودى سوى إلى أحد غايتين: فاما أن يلتقى بنفسه فى أحضان الحكام المطلقين الذين يجيدون فن «تلجيم» الجماهير، وإما أن يتنازل عن قدر من راحته فقدم من جديد طاقات العرف والأخلاق بمالها من دورضابط لنزعات الفرد وأهوائه، على الاستغلال النافع لطاقات الطبيعة.

طال النقاش فى ميدان فلسفة الحضارات حول ما يمكن اعتباره بناء سفليا، وما يمكن تعريفه على أنه بناء علوى للحضارة. حتى إذا ما أردنا أن نأخذ بهذه النظرية ذات الطبقتين، فانه لا مفر من أن ننسب دور البناء السفلى فى هذا المقام إلى سلسلة الأفراد الذين يواصلون تناسلهم. ذلك أن الحدث البيولوجى شرط مسبق لكل ماعداه. فلولم يولد العدد الكافى من الناس لصارت الحضارة مهددة بخطر «الاضمحلال والزوال». ومن الجائز فى هذه الحالة أن تضم إليها بعض «حملة» السمات المتقاربة من حضارات الشعوب الأجنبية المساوية لها. فالأفراد هم الذين يتعين عليهم أن «يحملوا» حضارتهم ويحتملوا سواء كان جسدياً أم نفسياً أم أخلاقياً. ولعلنا لسنا بحاجة إلى أن نعود فنوضح مدى خطورة البيئة الصناعية على الأحوال الصحية.

لفترض أنه قد أصبح من المستطاع استبعاد المخاوف والهموم المشار إليها عن طريق الاجراءات الصحية الكافية. إلا أنه لن تلبث أن تبرز مشكلة أخرى قلما تصبح موضعا للحديث فى الوقت الحاضر نظرا لأن مجرد الإشارة إليها تعد منافاة للديمقراطية. ويمكن صياغة السؤال الذى تضعه هذه المشكلة على النحو التالى: ترى هل سيتوفر فى المستقبل العدد الكافى من الموهوبين اللازمين لتغطية المطالب



الحضارية المستمرة النمو؟ ولما كان من المتعذر قياس المواهب إلا على أساس الانتاج الكامل، فانه لامعدي لنا عن الاستعانة بانطباعاتنا التي نجنيها في نطاق كل من التجارب الميدانية المحددة، عندما نحاول أن نشخص مدى تكرار عدد الموهوبين وتوزيعهم الصحيح في شعب من الشعوب. كما أنه من الممكن تقنين المعارف والمواهب، بل واكتسابها\* شعوريا على حد تعبير «شلايرماخر». على أنه من المتعارف عليه في جميع ميادين الفكر أن الأمر يتوقف على أن «تدور إحدى الأفكار بخلد أحد الأشخاص». أما أكثر تلك الأفكار وروابطها فيقع في مجال الشعور. لذا فانه كلما اشتد الطلب على الفكر المنطقي المجرد، كلما ضمير ميدان الخيال. ورغم ذلك فان الخيال قابع في نطفة الصناعات التطبيقية كافة. وإن كانت ضرورة توزيع العمل تضر بالقدرة التصورية الكلية.

إن جميع وجهات النظر التي عاجلناها حتى الآن تدور برمها حول العنصر الرئيسي في هذا المقال: الوجهة الأخلاقية للإرادة الحضارية. فكل حضارة يمكن مقارنتها بعملية البناء التي تبذل المحاولات بطريقة خاصة لتشكيل حياة لها جوانبها القيمة. أما الأحياء الذين يتبدلون على عملية البناء بصفة مستمرة فلا بد أن يكونوا مؤيدين لهذه الطريقة التي تجمع بها القيم أثناء عملية البناء فمن المهلك ألا يتقبلوا أو لا يدركوا الغاية التي تنطوي عليها فكرة حضارتهم، ومن المنذر بالخطر أن يعجزوا جسديا عن احتمال حضارتهم، ولكنه من المميت ألا يعودوا إلى تزويد حضارتهم بالطاقات الأخلاقية.

لا يبدأ انحلال الحضارة ببدء انهيار العرف العام. بل هو يعلن عن نفسه مقدما من خلال الأسلوب الفردي في الحياة، الذي ينتشر في كافة المراحل الأخيرة من تاريخ الحضارة. ومهما سلك الفرد في هذه الآونة حياة كلها نظام واعتدال، فانه لا يعاوده الاحساس بالمشاركة في مسئولية «الكل». بل أننا لو عدنا إلى أيام ما قبل ظهور النبوة القائلة «بانحلال الغرب»\*\* لتذكرنا كيف كان معلمونا في المدارس الثانوية ممتدحون نموذج العقل العام في الحضارات القديمة. وهم في ذلك لم يقتصرُوا على تمجيد الفكر الأثيني وإنما تعدوه إلى فضائل مواطني الحضارتين الاسبرطية والرومانية. وكثيرا ما كانت هذه الدروس تبث نداء متواضعا «لحب الوطن». ذلك النداء الذي صرنا نحجل من الذكرى التي خلفها وراءه

\* Anbilden وهو تعبير خاص يستعمله «شلايرماخر» للدلالة على اكتساب القيم شعوريا دون امتصاصها أو الامتزاج بها.  
\*\* أطلق هذه النبوة الفيلسوف الألماني أوزفالد شبنجلر.

بعد أن صرنا مسئولين عن القومية المطلقة التي لا حدود لها. على أنه لا يجوز أن ننسى أن الشعب والوطن والدولة ليست — على حد قول فيشته Fichte — سوى الأطر الخارجية التي يتشكل داخلها المعنى الأسمى لوجود البشرية. ومن أجل هذا المعنى الأرفع، الذي يشترك فيه الجميع، يجب أن يكون الفرد على استعداد لتقديم التضحيات، خاصة وأن المجتمع الديمقراطي المنظم يتطلب من هذه التضحيات ما هو أكثر بكثير من تلك التي يحتاج إليها المجتمع الخاضع لنظام الحكم الملكي حيث يسير أموره الفئة البيروقراطية.

نحن نعلم تماما ما يتطلبه ضمير الفرد. كما أننا نشعر بالمسئوليات التي علينا أن نتحملها في نطاق عملنا. ولكن هذا لا يكفي. إذ على الفرد أن يتعلم ماهية ضمير الحضارة ومسئوليتها. وينجم هذا الاستطراد بصورة مباشرة عن الفكرة القائلة بأنه على كل شخصية حرة أن تحمل حضارتها وبالتالي أيضا دولتها. ولقد خضنا هذه التجربة بأنفسنا. أما الآن فلا بد لنا من المحافظة على المعنى العميق الذي تنطوي عليه. على أن تحقيق ذلك أمر لا علاقة له بالتكنيك\*. إذ لا يمكن في هذا الصدد أن يقدم أروع فكر هندسي أية معونة. فالمسألة هنا لا تتعلق بتحصيل الوسائل والامكانيات وإنما بقيم الوجود. وإن كافة الوسائل نسبية، أي أنها منسوبة إلى الهدف منها. وهذا الهدف محدد سلفا. أما نوعية الأهداف التي نضعها لأنفسنا فهي التي تقرر نفع أو ضرر «التكنيك». ولكن المسألة متوقفة في نهاية الأمر على نوعية الأهداف التي يتعين علينا أن نضعها نصب أعيننا. فان الصلة بالمطلق لا تبدأ إلا بعد أن يشق هذا الوعي طريقه من جديد إلى عالم الظهور. ونحن نعني بعبارة (المطلق) المنبع الذي يصدر عنه المعنى الأساسي للوجود. حيث تدعوه لغة الدين: «الله».

إذا كان بناء الحضارة يقوم إذن على كاهل الأفراد الأحرار، فانه لا بد أن ينشط في داخل كل شخصية ناضجة منظم أخير يدل على أن مرجعها إلى المطلق. ومما يستحق الذكر أن كلمة «مرجع» بالألمانية Rückbezug، Rückbindung تعني باللاتينية Religio (١) وعلى ذلك فان كل حضارة لاتنهض على أسس أصيلة من الاقتناع الديني تزول عنها صفة التجربة. فاذا كان من المستطاع إجراء التجارب

\* المقصود هنا بالتكنيك مجموعة الاجراءات التي تضع الطبيعة بعد تغييرها في خدمة الأغراض البشرية بناء على المعرفة الدقيقة بقوانين الطبيعة. ولان معنى هنا بالتكنيك قواعد الفن وأصوله حسب المعنى الشائع في الأوساط المثقفة بالعالم العربي. (المترجم)



على جهاز الوسائل والامكانيات فان ذلك لا يمكن أن يحدث بالنسبة لمصير الانسان.

إن الضابط الأخلاقي لا يوجد سوى في قرارة النفس المتصلة بالله. ذلك أنه مهما ألحت الضرورات الخارجية فان الحرية تتخذ مسارها دوما نحو ذلك الوجود الداخلي الذي لا يجوز أن يغيب عن وعينا. ويستوى بعد ذلك أن يجوز لنا إطلاق عبارة «المعرفة» على المطلقات التي تشعبت جذورها في كياننا الباطني، وبالتالي إمكان التجاسر على إقامة علم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، أو أن نتحدث عن الانفتاح الداخلي، عن التصوف الذي تنسلخ عنه كل علوم ما بعد الطبيعة. ومهما كان الأمر فانه لا يصح أن يظل هذا الموضوع فارغا. كما أنه لن يصبح «ممتلئا» لو حل فيه الفكر الوضعي واستحوذ عليه. فكل ما سيحدث هو الدوران الرتيب لعجلة إنتاج الوسائل والامكانيات دون هدف أو معنى.

ولطالما ردد «تيودور ليت» Theodor Litt تحذيره من أن يرفع أحد صوته بالشكوى من كوننا نعاني أزمة حضارية دون أن يبين لنا - في نفس الوقت - الطريق لعلاج هذه الأزمة. فالواقع أنه من السهل الانتقاد والتجريح. أما إن لم يترتب على ذلك الانتقاد سوى زيادة التشكك والضياح، فالأفضل في هذه الحالة لصاحب النقد أن يحتفظ بحكمته لنفسه!

إذا ما كانت عملية تطور المجتمع الغربي بماله من حضارة وثقافة تعلو حقيقة على مستوى الفرد، بينما تتجه بفضل حركتها الداخلية الموجهة نحو هدف ناجح مفيد، فانه لا مناص من انتظار ما ستمخض عنه هذه «العملية» أو الانضواء تحت لواها عن طيب خاطر إلى أن يتحقق الهدف المنشود في

يوم من الأيام. إلا أن هذا النوع من «الرؤيا المسبقة» هو أسوأ ما يمكن أن نتصوره. فبواسطته تصبح القيم الأخلاقية قد استبعدت من العالم، وبذلك يغدو كل نوع من المشاركة في العمل أو النشاط خارجا عن نطاق كافة المعايير الأخلاقية. ولعلنا لسنا بحاجة إلى تعديد الأمثلة المفجعة التي يتجسم فيها «تعسف وجور مبدأ المصير».

أما إذا كان هنالك احتمال عودة الحرية التي تقف في مواجهة الظروف الحضارية السائدة، فانه لابد هنا أيضا من استبعاد «الحساب المسبق». ذلك أنه لا يمكن لنا أن نحسب سلفا ما سيحدث في المستقبل إلا بالنسبة لسلسلة من الامكانيات الميتة على أقصى تقدير. بل حتى في هذا المجال لا يتعدى الانسان حساب امكان الحدوث الذي سبق أن حدثنا عنه «ماكس فيبر». ففي اللحظة التي يصير فيها سلوك الانسان الذي ينبغي ويريد موضوع حسابات مسبقة بالضرورة، فان هذه الحسابات لا يمكن أن تصح إن لم يستبعد كل قرار أخلاقي من ذات الانسان، وإن لم يهبط به إلى مستوى الآلة أو الجهاز النفسي الآلي، على نحو شبيه بما فعل به مكيا فيللي.

ما من أحد يستطيع أن يتنبأ من الآن بما إذا كانت القيم الأخلاقية المتصلة «بإرادة» الحضارة ستعود قبل فوات الأوان أو بعده. فكل ما نستطيع أن نفعله هو التحذير. وإن الهزات العنيفة التي خلفتها آخر التطورات التكنيكية في صدور الناس ونفوسهم لتستحق منا كل الاهتمام بل وأقصاه. إذ يجب على النفوس أن تفتتح من جديد للصوت الالهي. فعلينا أن «نريد» عن عزيمة حقة. أما نجاح كافة الأمناني والرغبات فقابع في راحة يد عليا . .

ترجمة: مجدى يوسف



صندوق من خشب الزيزفون. وكان هذا النوع من الصناديق الطريفة يستعمل في القرون الوسطى كتعبير عن حب العاشقين، وكثيرا ما نثر فيها على صورة وحيد القرن. (موطنه بازل، القرن الخامس عشر).

نشكر ادارة المتحف التاريخي في مدينة بازل لتصريحها لنا بنشر هذا التصوير.



# أشكركم على حبكم العلم

## عن الشرق والغرب

عثرنا في النسخة الثالثة لمجلة «حوار» المنشورة في بيروت على شعر لتوفيق صائغ اسمه «بضع اسئلة لا طرحها الى الكركدن»، وجمع المؤلف في هذه القصيدة الرموز والتشبيهات الجارية في تقاليد الشرق والغرب حتى اننا نجد فيها ذكريات ما كتبه الجاحظ في «كتاب الحيوان» على الكركدن وما اضاف اليه الدميري، وكذلك الرموز المسيحية التي عبرت عن الحيوان الخرافي ذي القرن الواحد وهي تعتبره مثالا للبكارة والطهارة والعفة. ولم ينس هذا الموثيق القديم الشعراء الالمان في ايامنا هذه، وتشغل اسطورة الحيوان ذي القرن الواحد كثيرا منهم ومن الادباء في الولايات المتحدة وفي فرنسا حتى الآن، كما سنرى فيما يأتي. وقد دفعتنا قصيدة الشاعر اللبناني واشعار الشعراء الالمان واقاصيص الادباء في الغرب على العموم الى البحث في تأريخ هذا الحيوان الخيالي في عننة الشرق وتقاليد الغرب.

وقد نشر الاستاذ ر. ايتنجهاوزن R. Ettinghausen. في سنة ١٩٥٢ كتابا اسمه The Unicorn يبحث فيه عن تصاوير الكركدن في الفنون الاسلامية، وسمح لنا الاستاذ المذكور بان نستخلص من كتابه هذا ما قد يلفت انتباه قرائنا الكرام، وله الشكر الجزيل. ونحن نورد هناك خلاصة لبحوث الاستاذ ايتنجهاوزن مضافا اليها بعض المعلومات عن تأريخ الحيوان المقرن في صنعة الغرب وادبه.

سنة ١١٦٨/٥٦٤) ومثله محفور على آنية من البرنز المرصع في ايران في الفترة نفسها تقريبا؛ ونجده ايضا على إناء من الزجاج معمول في سوريا في القرن الرابع عشر كما نراه منحوتا في قصر قونيا القديم، او على حقة مصنوعة من سن الفيل موطنها اسبانيا. وهذه الحيوانات المقرنة كلها مجنحة مشيرة الى ماهيتها الخيالية وإلى ان الرسام او الفنان لم يخيل له تصوير كركدن حقيقي.

فما الذي كان العرب في ذلك العصر يعرفونه في باب الحيوان باسم ذي القرن الواحد؟ وقد اطلقوا عليه عدة اسماء: كركدن، كركند، خرطيط، خرتوت، ابو قرن، ام قرن. وكلمة «كركدن» مشتقة من كلمة هندية، ومن المعلوم ان هذا الحيوان اكثر ما يوجد في الهند. ولا شك ان علماء العرب أخذوا بعض المعلومات عن رسائل اليونانيين في علم الطبيعة؛ واول من وصفه هو طبيب يوناني اسمه كتيسياس Ktesias وقد اقام مدة طويلة عند ملك ايران في حوالى سنة ٤١٦ الى ٤٠١ ق م وسمى الحاكم اليوناني (الذي اخذ عنه ارسطو) هذا الحيوان «الحمار الهندي»، وهذا التعبير موجود

نقرأ في «كتاب الحيوان» للجاحظ انه قال: «وما اكثر من ينكر ان يكون في الدنيا حيوان يسمى الكركدن ويزعمون ان هذا وعنقاء مغرب سواء، وإن كانوا يرون صورة العنقاء مصورة في بسط الملوك واسمها عندهم بالفارسية سيمرك . . .»

وتدل هذه الاشارة الى ان الكركدن الذي «له قرن في جبهته» يعتبره كثير من الناس غير حقيقي، وهو من نسج الخيال، مثل «وحيد القرن» او «الحصان المقرن» في القرون الوسطى في اوروبا. وفي استخدامنا لتعبير «الكركدن» في هذا المقال فاننا نستخدم هذه الكلمة بالمعنى الخيالي الاسطوري في الغالب. قد ذكر الجاحظ ان للكركدن في رأى بعض الناس قرابة بالعنقاء، كلاهما موجود اسماء مفقود جسما ومن الممكن ان تنعكس هذه المناسبة الخرافية في التصاوير الاولى للكركدن التي نصادفها في الصنعة الاسلامية. فهناك حيوان ذو قرن واحد منحوت على جدار المدرسة القديمة في حلب (المبنية







المنراء ووحيد القرن، إحدى المنسوجات الستة حول هذا الموضوع وهي محفوظة الآن في متحف كلوفى فى باريس. موطنها فرنسا أو الفلمنك، حوالى عام ١٥٠٠. شكر دار نشر براون Braun فى مدينة مولهاوزن لانعامها علينا بكتليشه هذه اللوحة.





الكركدن والفيل، قاشاني، موطنه إيران (القرن الثالث عشر). المتحف الاسلامي، برلين.

نقرأ في حكاية السندباد البحري مع السندباد الحمال حكاية السفرة الثانية: وفي تلك الجزيرة صنف من الوحوش يقال له الكركدن يرى فيها رعياً مثل ما يرى البقر والجاموس في بلادنا ولكن جسم ذلك الوحش أكبر من جسم الحمل ويأكل العلق وهو دابة عظيمة لها قرن واحد غليظ في وسط رأسها طوله قدر عشرة أذرع وفيه صورة انسان.

هذا هو سبب فقدان ذى القرن الواحد فانه قد غرق في البحر، وقال اخرهم لا بل كان وحيد القرن متفاخرا للغاية حتى انه ابى دخول السفينة مع الحيوانات الاخرى فهلك ... ومن الادباء المسلمين من وصفه بيدن الاسد، او جسم الغزال، او مشابها للفيل، ولم يذكر الجناحان في متن ما . اما من اشهر الخرافات التي حكيت في الكركدن وايضا في حيوان مسمى بالسناد - ويؤتى الى هذه الخرافة الشاعر توفيق صائغ - ما نقله الجاحظ ومن يليه:

«وقد قالوا في ولدها وهو في بطنها قولاً لولا انه ظاهر على السنة الهند لكان اكثر الناس بل كثير من العلماء يدخلونه في باب الخرافة. وذلك انهم يزعمون ان ايام حملها اذا كادت ان تتم، واذا نضجت وسحبت وجرت وجرى وقت الولادة فربما اخرج الولد رأسه من ظبيتها فأكل من اطراف الشجر، فاذا شبع ادخل رأسه، حتى اذا تمت ايامه وضاق به مكانه وانكرته الرحم وضعت مطيقاً قويا على الكسب والحضر والدفع عن نفسه.»

واخبر الجاحظ ايضا قرائه المتحيرين ان

«اقل الخلق عددا وذو الكركدن لان الانثى تكون نزورا وايام حملها كثيرة، وهي من الحيوان الذي لا يلد الا واحدا.. وهي مع ذلك تأكل اولادها ولا يكاد يسلم منها الا القليل لان الولد يخرج سويا نابت الاسنان والقرن شديد الحافر.» وزاد الدميري على هذه المعلومات حكاية اخرى أخذها عن القزويني قائلا: «يبقى ولد الكركدن في بطن امه اربع

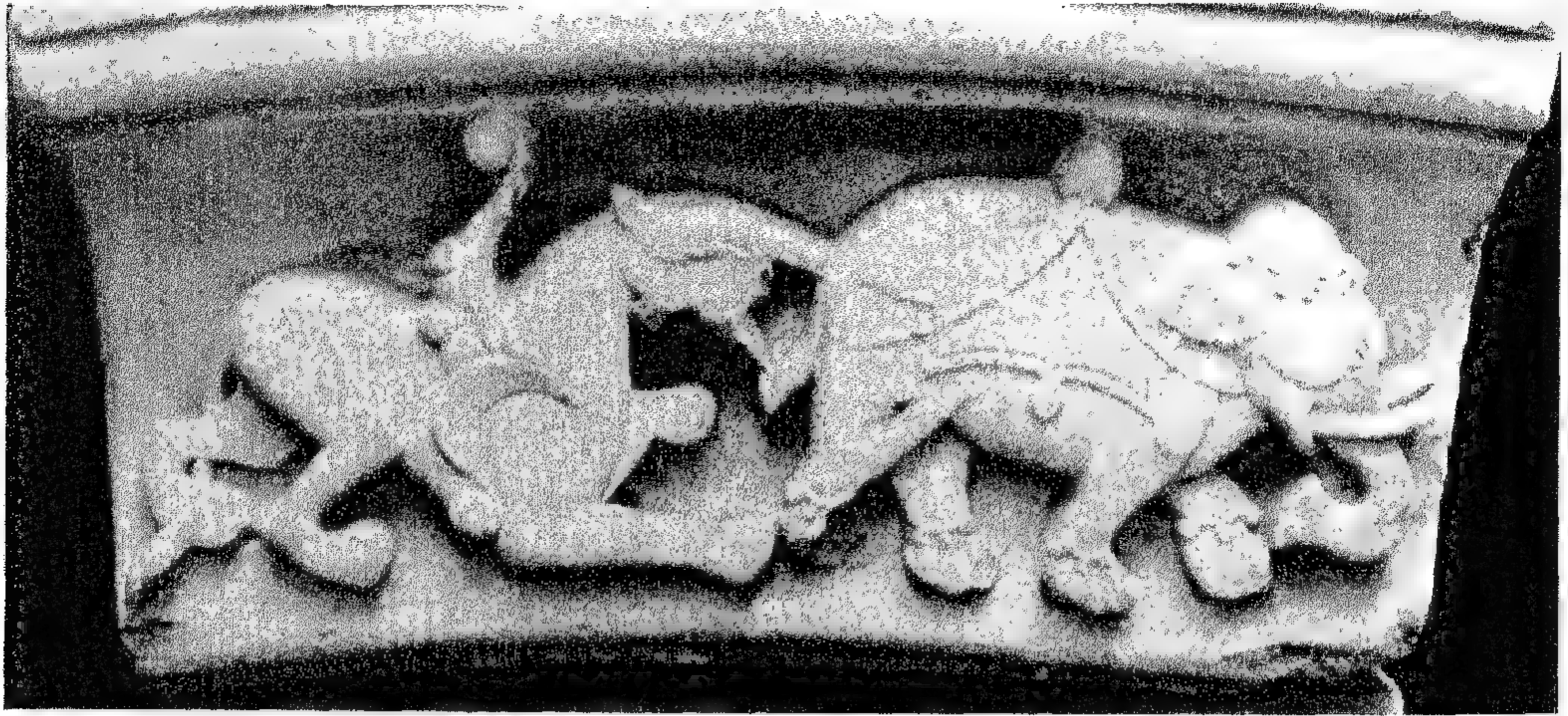
في كتاب الجاحظ ايضا. وقال كتيبياس المذكور: «إن للحمار الهندي جسماً ابيض، ورأساً قرمزيًا، وعينين زرقاوين، وعلى جبهته قرن حديد طوله ذراع.» وذكر المؤلف اليوناني ايضا فضائل القرن المذكور (الذي سيأتى ذكره فيما بعد)، ومن هذا الوصف اشتقت التقاليد التي تتخيل وحيد القرن على صورة حصان جميل، وهذا هو الغالب في الغرب. وقال القلقشندي عندما ذكر الجليل الوحش: «الكركدن ويسمى الحمار الهندي»

اما في صور المخطوطات العربية، مثلاً «عجائب المخلوقات» للقزويني و «منافع الحيوان» لابن جنيش. فللكركدن اشكال مختلفة، وعرف السياح مثل البيروني وابن بطوطة الكركدن الحقيقي كجاموس مقرن او قالوا ان «الكركدن رأس بلا بدن»، ورسمه الرسامون كما كان يوحى لهم خيالهم ولكننا لا نجد في هذه الآثار العلمية ما هو مخرج بل نرى الكركدن حيوانا ذا شكل غريب على رأسه قرن مستقيم او منح. وكثيرا ما كان وصف هذا الحيوان بعيدا عن الحقيقة كما قال الدميري:

«حيوان طوله مائة ذراع وأكثر من ذلك له ثلاثة قرون قرن بين عينييه وقرنان على اذنيه يطعن الفيل . . .»

ويذكر طوله الهائل كذلك بعض التقاليد اليهودية إن قيل انه لم يتمكن له دخول سفينة نوح عند الطوفان لفرط طوله . . . وقد انتشر هذا الاعتقاد ايضا في الغرب في اثناء القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر وزعم بعض العلماء ان





الكركدن والفيل، موطنه قونيا، تركيا، (القرن الثالث عشر، العهد السلجوقي) متحف قونيا.  
ان هذا الوحش المسمى بالكركدن يحمل الفيل الكبير على قرنه ويرعى به في الجزيرة والسواحل ولم يشعر به ويموت الفيل على قرنه ويسبح دهنه من حر الشمس على رأسه ويدخل في عينيه فيرمى فيرقد في جانب السواحل فيجىء له طير الرخ ويحمله في مخالبه ويروح به عند اولاده ويترقبهم به وبما على قرنه . . . ونجد هذه القصة ايضا حتى في اوروبا اثناء القرن الخامس عند مؤلف الكنيسة ايسيدور الاشبيلي. وقد ظلت في كتب السفر الاوروبية الى القرن السابع عشر.

لمقامات الحريري. وهذا الطرز — اى الكركدن والفيل — موجود حتى في الصنعة الهندية حوالى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد كما نفهم من الخواتم المصنوعة في مدينة موئنجو دارو في منطقة السند وان لم يقاتل الكركدن الفيل بل يقومان معا فحسب. اما حكاية قتالها التي تجرى ايضا في حكايات سندباد البحرى فكانت معروفة في الغرب كذلك، ذكرها مؤلفو الكنيسة القديمة، مثلا ايسيدور الاشبيلي، وكذلك «كتب الحيوانات» في القرون الوسطى حتى ان الشعراء الاوروبيين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر اشاروا اليها في بعض قصائدهم. وعندما اهدى السلطان الهندى المظفر رئيس كانبى كركدنا حقيقيا الى ايمانويل ملك البرتغال احضر الملك فيلا وناطحها ولكن الكركدن لم يبال بالفيل بل انصرف . . . (وكان هذه الواقعة في ٣ حزيران ١٥١٥).

والقتال مع الكركدن من اعظم ما حكى عن مشاهير الابطال في اساطير الشرق، وذكر الفردوسى الشاعر الايراني في كتاب «شاه نامه» قتال البطل بما سماه «كركد» واذا قرأنا هذه الكلمة بضم الكاف الاولى فهي الذئب، او بفتح الكاف الاولى فهي الكركدن وهذا المعنى اقرب الى ما قصده الشاعر.

لان الظفر على الكركدن من اعظم صور الانتصارات البطولية الاسطورية ولذلك نرى احيانا في المنياثورات الايرانية الكركدن المطيع في موكب ذى شأن في حضور

سنتين واذا تم له سنة يخرج رأسه من بطن امه فيرمى الشجر مما يصل اليه واذا تم له اربع سنين وقع من بطن امه وفر كالبرق حتى لا تدركه فتلحسه بلسانها لان لسانها فيه شوك كبير غليظ اذا لحسته ازال لحمه عن عظمه في لحظة واحدة . . .» وكرر سائح البرتغالى في القرن السابع عشر مثل هذه الكلمات في «وحيد القرن» الذى ادعى ان رآه في بلاد الحبش.

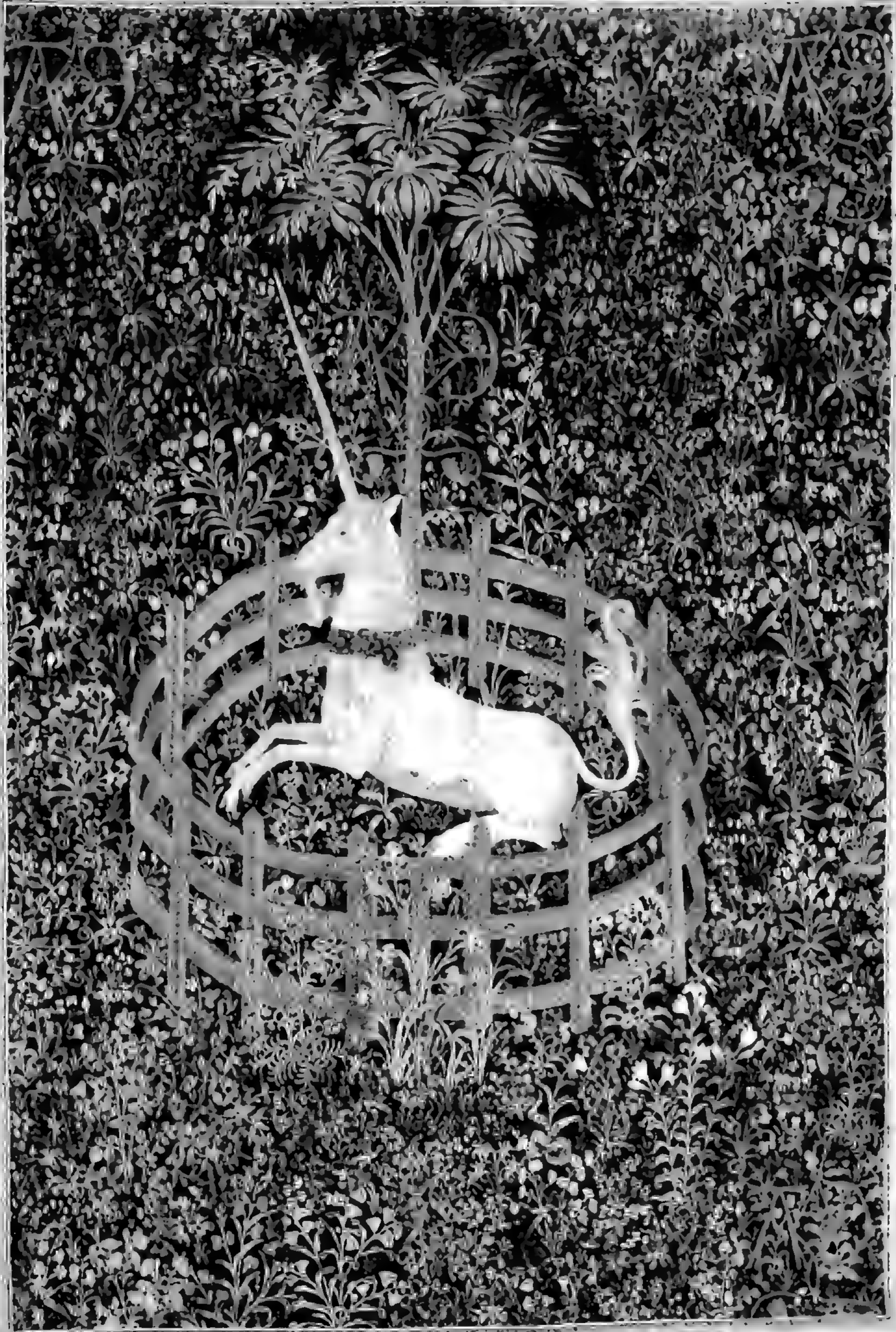
وصار الكركدن مشهورا عندهم لانه يخيف الحيوانات كلها على ما قال الجاحظ:

«تزعج الهند ان الكركدن اذا كانت ببلاد لم يرح شىء من الحيوان شيئا من اكناف تلك البلاد حتى يكون بينه وبينها مائة فرسخ من جميع جهات الارض هيبه له وخضوعا له وهربا منه . . .» واضاف نفس المؤلف قائلا:

«و العوام تضرب المثل في الشدة والقوة بالكركدن، وتزعم انه ربما نطح الفيل فرفعه بقرنه الواحد وسط جبهته، ولا يشعر بمكانه ولا يحسن به حتى ينقطع على الايام. وهذا القول بالخرافة اشبه.»

ولكن هذه الخرافة كانت معروفة في العالم باسره: نرى على كثير من آثار الصنعة الاسلامية الكركدن (مجنح كان ام غير مجنح) يعقب الفيل؛ وكان هذا الموضوع محبوبا في صنعة الدولة السلجوقية، يظهر على قاشانيات ملونة من ايران والاناصول وعلى صحون البرنز من معمولات الشام وعلى بساط منقوش في مخطوطة مؤرخة سنة ١٣٣٥





وحيد القرن المجروح في الحديقة؛ قطعة منسوجة موطنة للفيلسوف أوغرنسا، أواخر القرن الخامس عشر.  
نشكر إدارة المتحف Metropolitan Museum في نيويورك لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.



سليمان النبي الذي كان ذا قوة سرية في سحر الحيوانات وإلحان، أونرى الحيوان المتوحش في بعض الرسوم رفيقا لبليقيس عند سفرها الى قصر سليمان. حتى ان رواية قدمة وردت في «اسكندنامة» لنظامي الشاعر الايراني (المتوفى سنة ١١٨١) نقلت ان افلاطون وهو الساحر الكبير ظفر على الكركدن بوساطة قوته المغناطيسية . . .

لاشك ان الكركدن من «اشراف السباع وساداتها وكبارها؛ وروؤسائها» وان كان بعض الناس قد اشتبهوا في وجوده فقال الجاحظ:

«والذي يثبت الكركدن ان داود النبي ذكره في الزبور حتى سماه»

واشار بذلك الى المزمар الثاني والعشرين وغيره من المزامير حيث ذكر حيوان مقرن؛ وقد ترجم المترجمون اليونانيون للزبور هذه الكلمة بكركدن، «وحيد القرن» وهو في الحقيقة رثم او نوع من الجاموس.

وكل من كتب في الكركدن كتب ايضا في وصفه المميز اى قرنه الوحيد وخصوصيتها السرية، وقال فيه الجاحظ:

«قرن الكركدن اغلظ من مقدار ذراع، وليس طوله على قدر غلظه، وهو اصلب واكرم من قرن الفيل».

واضاف قائلا: «فاذا قطعه ظهرت في مقاطعه صور عجيبة، وفيه خصال غير ذلك لها يطلب».

اما الدميري ويبالغ على عادته فقد قال:

«له قرن واحد عظيم في رأسه لا يستطيع لثقله ان يرفع رأسه . . . واذا نشر قرنه طولا تخرج منه الصور المختلفة بياض في سواد كالطاوس والغزال وانواع الطير والشجر وصور بني آدم وغير ذلك من عجائب النقوش يتخذون منه صفائح على سرر الملوك ومناطقهم ويتغالون في اثمانهم».

وان كانت الرواية الاولى بعيدة عن الحقيقة ولكنه محق اذ قال: «اما في الصين فيتخذون من قرن الكركدن مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها اربعة الاف مثقال ذهباً . . .»

هذه الرواية مأخوذة من كتاب اخبار الهند والصين المكتوب في القرن التاسع م. ومن المعلوم ان اهل الصين كانوا يقدرّون قرن الكركدن غاية التقدير، وتوجد حتى الآن بعض هذه المناطق القيمة من سلالة تانك Tang الصيني (من ٦١٨ الى ٩٠٧ م) في متاحف الشرق الاقصى. وكان علماء اليونان قد ذكروا الكؤوس المصنوعة من قرن الكركدن وقالوا انه من ملك احدها فلا يصبه تشنج المعدة ولا الصرع ولا يعمل فيه الزهر؛ وقال عالم اخر مضيفا على تلك المعلومات ان هذه الكؤوس لا توجد الا عند الملوك ولا حق لصيد الكركدن الا للملوك.

وجمع الدميري هذه الروايات الغريبة وبحث عن الشعبة التي لها هذه الخواص العجيبة قائلا:

«على رأس قرنه شعبة مخالفة لانحناء القرن وهي لها خواص عجيبة وعلامة صحتها ان يرى منها شكل فارس ولا توجد تلك الشعبة الا عند ملوك الهند ومن خواصها حل كل عقد فلو اخذها صاحب القولنج بيده شفى في الحال والمرأة التي ضربها الطلق ان امسكتها بيدها تلد في الحال وان سحق منها شئ يسير وسقى المصروع افاق وحاملها يأمن من عين السوء ولا يكبو به الفرس واذا تركت في الماء الحار عاد باردا . . . ويتخذ من جلده التجافيف فلا تعمل فيها السيوف . . .»

ولم يزل هذا القرن السحري يثير تخيلات الخلق في الشرق حتى ان الدميري الف مقالة في حيوان ذي قرن واحد اسمه «شادهوار» قال فيه مستندا الى القزويني:

«له قرن عليه اثنتان وسبعون شعبة محبوبة فاذا هبت الريح سمع لها اصوات حسنة فتجتمع بسبب ذلك الحيوانات . . .» اما المفعول الالهم لهذا القرن فهو أنه يصنى الماء من كل ما نجسه من قدارة او سم واشتهرت هذه الفكرة في التراجم الشرقية لكتاب فيسيولوجوس وفي رسالة كوسماس اليوناني الذي زار بلاد الحبش حوالي عام ٥٥٠ م، ولذلك سعى الملوك والاكابر في القرون الوسطى الى الحصول على قسم من هذا القرن القيم (وهو في الحقيقة قرن الحوت) لثلا يوثر فيهم السم. وصار وحيد القرن الشعار الاكثر استعمالا في الاجزائانات في القرنين السادس عشر والسابع عشر لان قرنه عد الترياق المطلق الذي كان يباع باعلى الاثمان، وساد الظن بأنه حتى الماء الذي مسه قرن الحيوان الاسطوري لمدة، سيكون دواء مفيدا للأمراض كلها (eau de licorne) والف المؤلفون كتبوا رسائل في هذا القرن، انكر بعضهم قوته السحرية ودافع بعضهم عنها. قال ماريني الطبيب الذي نشر كتابه في مدينة البندقية سنة ١٥٦٦ ان اطباء العرب قد بالغوا في الحكايات عن قوة قرن الكركدن والفد زهر التي يزعمون انه يعالج كل الامراض؛ ولكنه في الحقيقة لا يوجد شئ من ذلك في قانون ابن سينا الذي كان يستعمل في ذلك الوقت في اوروبا. — وان ضعف الايمان بقوة هذا القرن وفضيلته فيما بعد فقد ظل اثر ذلك في باطن الشعور الانساني، ونشر مؤلف اميركي منذ بضع سنوات قصة يحكى فيها كيف يصنى وحيد القرن ينبوعا حين وقع الوباء على سكان فلسطين (Th. Buchanan, The Unicorn).

ومن الممكن ان نرى في هذه الروايات أثراً من الدين الزردشتي القديم الذي يذكر في بعض متونه «حمارا ذا قرن





ستار منسوج من الكتان والصوف عليه ذوا القرن الوحيد يقومان بجانب شجرة، وهي مثال لشجرة الحياة أو شجرة الكون التي عرفت في الاساطير منذ زمن الاشوريين.

متحف مدينة فلنسبورج. — تصوير: الدكتور سالشو Dr. Salchow كولونيا.  
مأخوذ عن فهرس معرض Folklig Konst i Tyg och Lera الذي قامت به ادارة الفنون الالمانية، كولونيا.





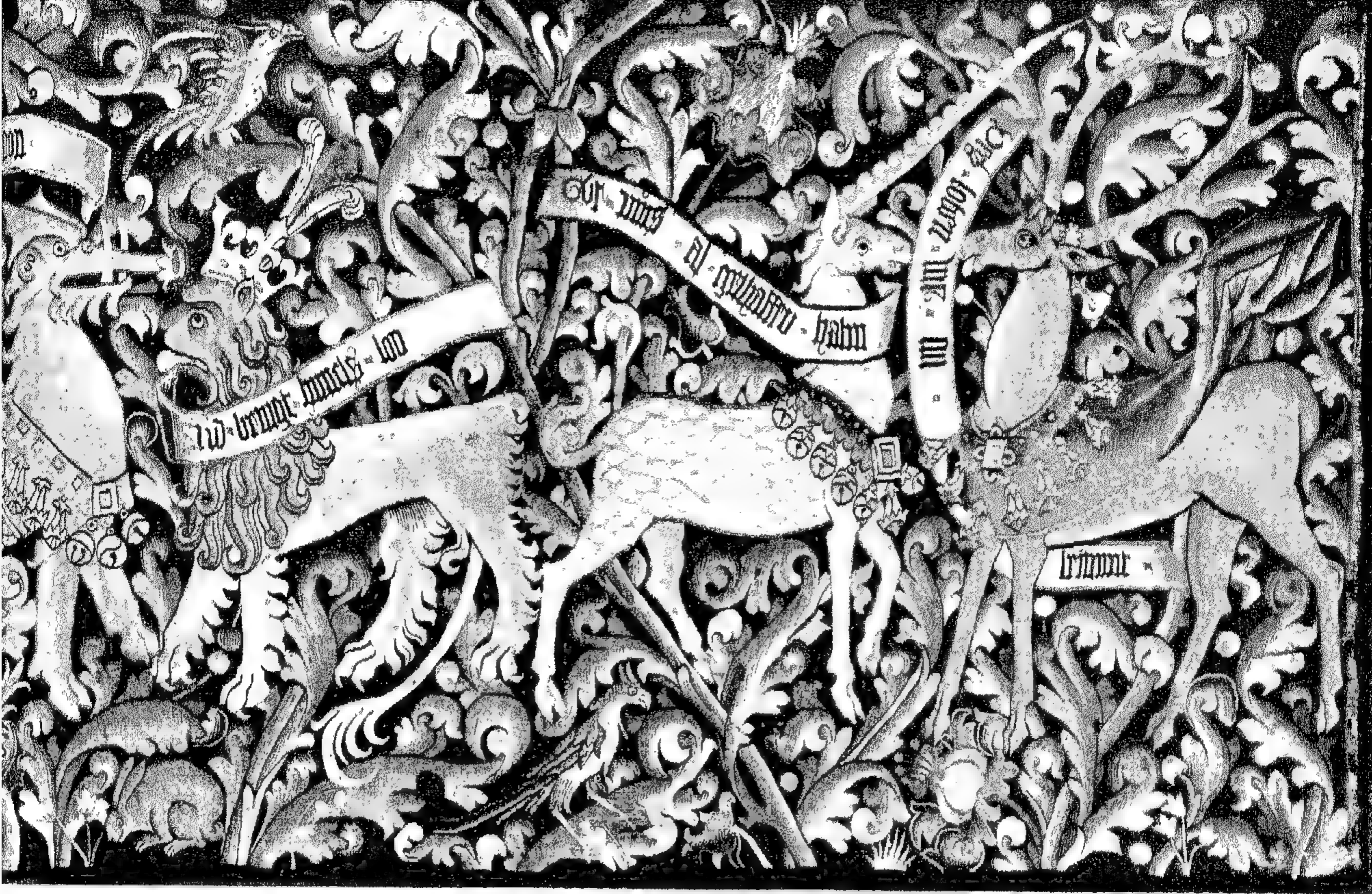
صندوق مصنوع من سن الفيل، موطنه اسبانيا (القرن الحادى عشر) وهو محفوظ فى كاتيدرائية بابلونا، اسبانيا.

ذهب يصنف المياه» - ونذكر الحمار الهندى الذى عرف كتنسياس بوجوده اثناء اقامته فى ايران.

اما قرن الكركدن المشهور لاوصافه السحرية فنجدده مصورا فى الشرق والغرب كقرن طويل مستقيم بيد ان الكركدن غير الخرافى له قرن اعرج قصير بالنسبة. وكثير مما قيل فى قرن الكركدن فى القرون الوسطى يوافق قرنا آخر مختلفا عنه جنسا وهو قرن الحوت ذى القرن او «كركدن البحر» اى Narwhal وهذا القرن - وهو السن اليسر للحوت المذكور - طويل طوله اكثر من ذراع حتى يبلغ اطوله مترين ونصف

وهو مستقيم حديد كما يرى فى الصور القديمة لآبى قرن، وهو الذى كان يستعمل كأوان. وتعلمنا المصادر التاريخية ان هذا القرن البحرى المشابه لقرن الحيوان الخرافى وجد فى اسواق الشرق الاسلامى وكان معروفا فى الغرب حوالى سنة ١٢٠٠، وقيل ان هارون الرشيد بعث بقرن من هذا الجنس الى شارلمان سنة ٨٠٧، وادعى بعضهم ان القرن الطويل الذى كان محفوظاً فى خزانة الملوك الفرنسية فى كاتيدرائية سان دنيس St. Denis ونقل بعد ذلك الى متحف كلونى Cluny فى باريس هو القرن التاريخى





نسيج مصنوع من الصوف؛ موطنه بازل، حوالى سنة ١٤٨٠. نشكر ادارة المتحف التاريخى فى مدينة بازل لانعامها علينا بتصوير هذا النسيج.

«تعبيره فى المنام، فانه ملك عظيم جائز وقيل ان رؤيته تدل على الحرب والمخادعة مع حقارته وعجمته ودناءة اصله وربما كان مسلطا بماله وولده...»

اما فى الاداب الغربية والتقاليد الغربية التى نشأت فى الزمن نفسه فقد اعتبر الحيوان ذو القرن الواحد مثالا عليا للقوة الالهية، ونادرا ما نصادفه كمثال الشدة. عندما قرأ اباء الكنيسة المسيحية اخبار الكركدن كما جاءت فى التوراة والزبور أولوا القرن الواحد لهذا الحيوان الذى ذكره ايضا الحكماء اليونان رمزا جميلا لوحدة الله وقوته الواحدة. ونرى فى بساط منسوج حوالى سنة ١٤٨٠ فى سويسرا كركدنا مكتوبا على لوائه «خلق الله كل شىء»، واعتبروا قرن هذا الحيوان الاسطورى ايضا مثالا لوحدة الدين، او رمزا للانبياء والاصفياء الذين كانوا آمنوا فى وحدة الخالق؛ فصار مثال العصمة وكل ما هو صاف ومعصوم واصبح ايضا رمزا لعيسى المسيح.

ولكن هل توجد فى رسائل العلماء المسلمين ايضا آثار لهذا التقليد، هل تذكر وجود حيوانات ذوات قرن واحد غير

المنسوب الى الخليفة العباسى . . وارسل سلطان عثمانى فى اواخر القرن السادس عشر بائنى عشر قرنا من قرون الحوت ذى القرن الى الامبراطور الاسبانى فيليب الثانى، وقد عثرنا فى خزائن كشيذرات القديس ماركو فى البندقية على احد هذه القرون البحرية وهو مزين بالفضة منحوتة عليه كتابة عربية بخط النسخ، تأريخها ١٤٨٨، ويثبت ذلك انه جاء فى ذلك الزمان قسم من هذه المادة المرغوب فيها من الشرق الاسلامى. ونجد مثله فى خزائن الملوك فى انكلترا (منذ سنة ١٣٠٣) والنمسا، وربما كان يحفظ فى شكله الاصلى الذى يشبه الشمعة العظيمة، او استعمل نغدا لسيف الامبراطور النمساوى او قضيبا له، او عصا للاسقف الكبير، حتى ان ملك الدانمارك قد جعل من هذه القرون سريرا له فى سنة ١٦٦٢. ولقيمته البالغة بيع القرن التام باثمان هائلة فمثلا بيع فى عام ١٦٤١ فى لندن باربعين الف جنيه . . .

هذا وفى الجملة كان الكركدن فى الادب العربى مثالا للقوة والافتراس والقدرة والوحشة وجعل لقرنه قوة سحرية مقبولة عند اهل الشرق والغرب، وعلى ما قال الديميرى فى





لوحة على هيكل كاثدرائية مدينة أرفورت، وهو أول تصوير للصيد المقدس، ترى فيه مريم البتول في الحديقة المقلولة حيث يقدم نحوها وحيد القرن، إيماء لمسيح المسيح، الذي يطارده جبرائيل (حوالي سنة ١٤٢٠). ومن ولاية تورنجيا انتشر هذا «الموتيف» إلى سائر بلدان الغرب وكثيرا ما نُعثر عليه في فنون الكنيسة الغربية فيما بعد. وفي مدينة أرفورت وحدها توجد أربع لوحات تصور الصيد المقدس. نشكر إدارة الكاثدرائية بمدينة أرفورت لانعامها علينا بهذا التصوير.

من السباع والدواب الا هرب». ولا شك ان وصف هذا الحيوان مأخوذ من التقاليد اليونانية للحمار الهندي كما وصفه ايليان Aelian اليوناني «وهو اصفر، سريع العدو، اسود القرن» — اذا هو معجراجنا!

الكركدن المتوحش الهائل؟ قد مضى ذكر «شادهوار» الخرافى، وذكر الديميرى «المعراج» وهو فى الاصل عند القزوينى «المعراج» وهو «دابة عظيمة عجيبة مثل الارنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد اسود لم يرها شئ





صورة ذى القرن الوحيد على غطاء جرة صغيرة مصنوعة من سن الحوت القرن يرى فيه وحيد القرن عند تصفيته للواء. وكانت هذه الجرة محفوظة في متحف قصر جوتا Gotha في إقليم تورينجيا الى ان غابت اثناء الحرب العالمية الثانية. نشكر مديرة المتحف المذكور لانعامها علينا بتصوير قديم لهذا الغطاء.

ساكنة جدا غير ان لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القناص ولها في وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به جميع الحيوان فلا يغلبها شيء ويحتمل لصيدها بأن تتعرض لها فتاة عذراء او صبية فاذا رأته وثبت الى حجرها كأنها تريد الرضاع وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة فاذا هي صارت في حجر الفتاة ارضعتها من ثديها على غير حضور الابن فيها حتى تصبح كالنشوان من الخمر فيأتمها القناص على تلك الحالة فيشدها وثاقها على سكون منها بهذه الحيلة وقال القزويني في الاشكال: الحريش حيوان في حجم الجدى ذو عدو شديد وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدن واكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شيء في عدوه ويوجد في غياض بلغار وسيدجستان»

وقال صاحب «منافع الحيوان» انه يصطاد لا بفتاة باكرة بل بوساطة فاحشة والله اعلم.

اما قول التوحيدى فهو مأخوذ كلمة بكلمة عن الكتاب المشهور المعروف بفسيسيولوجوس Physiologus الذى صنف حوالى سنة ٣٧٠م ويحتوى على معلومات كثيرة

قطعة من القرن الشهير «لوحيد القرن» في كاثيدرائية القديس مرقس ، وهو من الحوت القرن اهداها جواهرى تركى الى امير البندقية سنة ١٤٨٨ ، وتوجد على غلافه الفضى بعض الكتابات العربية.

والحيوان الاعجب في عائلته ذوى القرون هو ما سموه «الحريش» (لا الحريش المعلوم اليوم! وفي عجائب المخلوقات يوجد «الجربس»)، وقال فيه الدميرى استنادا الى ابي حيان التوحيدى:

«الحريش نوع من الحيات ارقط كذا قاله الجوهري وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الاسد ولها قرن واحد في هامتها ويسمى الناس الكركدن وقال ابو حيان التوحيدى هي دابة صغيرة في جرم الجدى



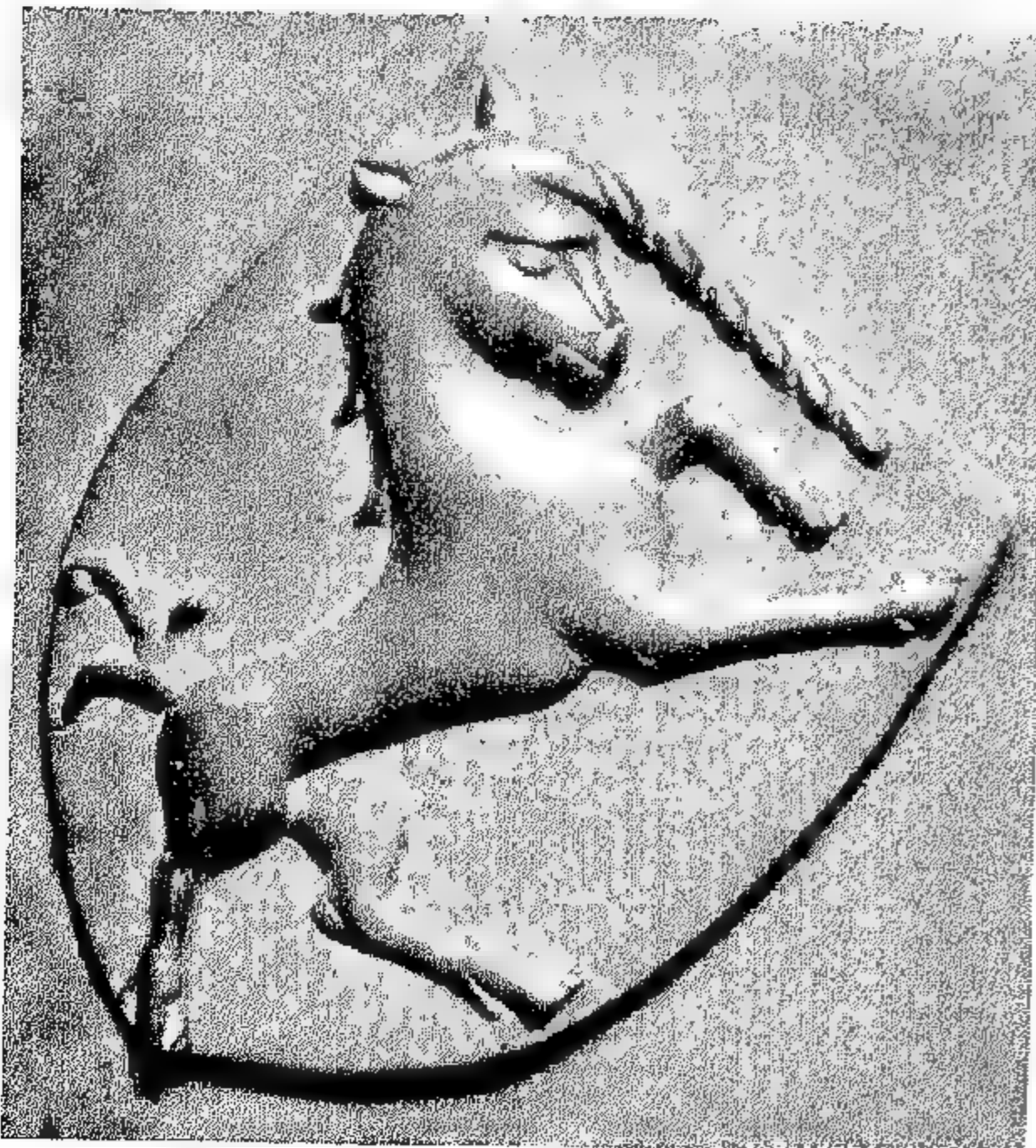




حيوان «الحريش» (أو «الجريس») تصيده عذراء.  
عن كتاب منافع الحيوان الذي دون  
بمراغة، إيران، حوالى سنة ١٢٩٧  
نشكر ادارة مكتبة بيرپونت مورجان  
لاصراحها لنا بنشر هذه الصورة.

الا بقدرة العشق الذى لا فرار منه. ويمثل وحيد القرن فى هذه الحكايات والاشعار الحب العذرى الذى كان جاريا فى الاندلس وفرنسا. وإن ادعى بعضهم ان جمال العذراء يجذب الحيوان المتوحش فقد قال اخرون ان وحيد القرن يشم طيب البنت ويمكن لذلك صيده ايضا بواسطة شاب يرتدى أثواب البنات وتنفوح منه رائحة عطرهن. ومن اول هذه الحكاية من اللاهوتيين قال انه رمز الروح أسكره عطر اليقين.

ولما كان هذا الحيوان الاصيل المصور غالبا فى شكل حصان ابيض جميل معروفا بالعفة والطهارة فان رسمه يوجد ايضا فى كثير من الدروع فى الغرب منذ القرن



عن الحيوانات وخصوصياتها ومعناها. ومن المحتمل ان حكاية «الحريش» الذى لا يصطاده الافتاة قد نقلت من الادب الهندى الى الغرب لانه يوجد هناك فى الروايات القديمة اسطورة شاب مولود من رجل وغزال له قرن واحد على جبينه، ولم يقدر عليه احد غير بنت الملك وهى فتاة جميلة عفيفة وفقت الى أخذه معها حتى أتت به الى قصر الملك. فيحكى كتاب «فيسولوجوس» حكاية «الحريش» وصيده كما حكاها ابو حيان التوحيدي بعد ذلك بستة قرون، الا ان الكتاب القديم اليونانى يعبر عن المعنى السرى لهذا الحيوان الخجول بأنه يدل على عيسى روح الله الذى ود ان يسكن فى حجر البتول مريم الطاهرة. ومن هنا تبتدىء التقاليد المسيحية، وقد اتخذ اباء الكنيسة هذا المثال وصار من اشهر الرموز فى تأريخ الصنعة المسيحية فى اثناء القرون الوسطى.

وكانت حكاية صيد الحيوان المرقن بواسطة عذراء طاهرة عفيفة موضوعاً مشهوراً فى الاداب والفنون الغربية منذ القرن الثانى عشر، حتى احبه الرسامون والنحاتون وشبه بعض شعراء الغرام انفسهم بهذا الحيوان الخرافى لانه جذبتة ايضا طهارة معشوقته وصار كالمدهوش فى حضورها، فان وحيد القرن كمثل الشاعر الحر المتوحش الذى لا يجمع

شعار عائلة كنسيك Knesbeck على صحن العباد فى كاثيدرائية راتسه بوج فى شالى المانيا (حوالى سنة ١٤٤٠). وتزين صورة وحيد القرن لدى الكثير من العائلات الالمانية والنمساوية والسويسرية وكذلك الايطالية شعار الأسرة رمزا لعفة رب العائلة وجسارته.

تصوير: فوتو ماربورج Foto Marburg.



برميا وقتني سياه نام او سحراج حاصيب ا

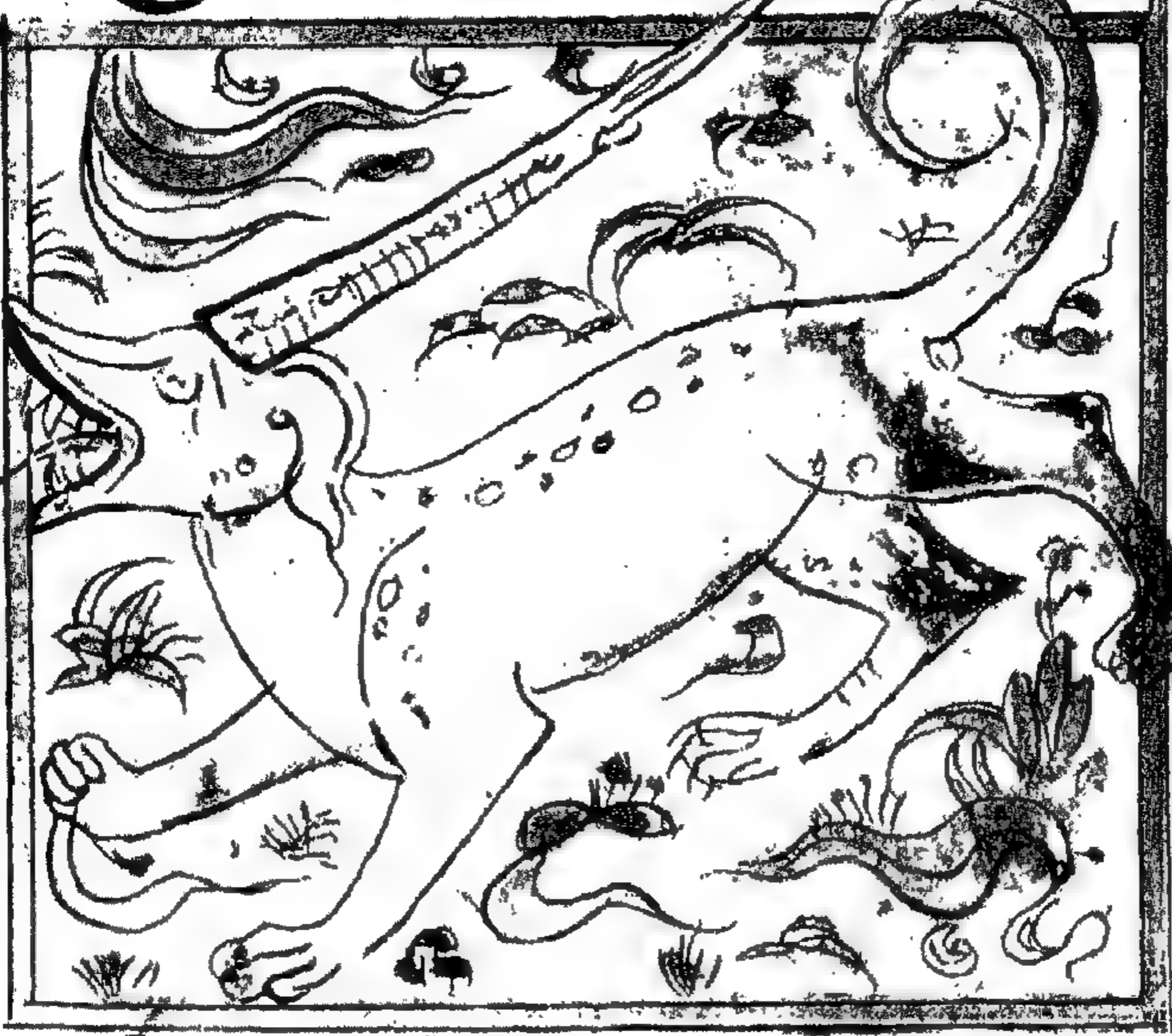
بكريند

بح مرعبد

ابن مع

اوب

وازيه



صورت

٦١

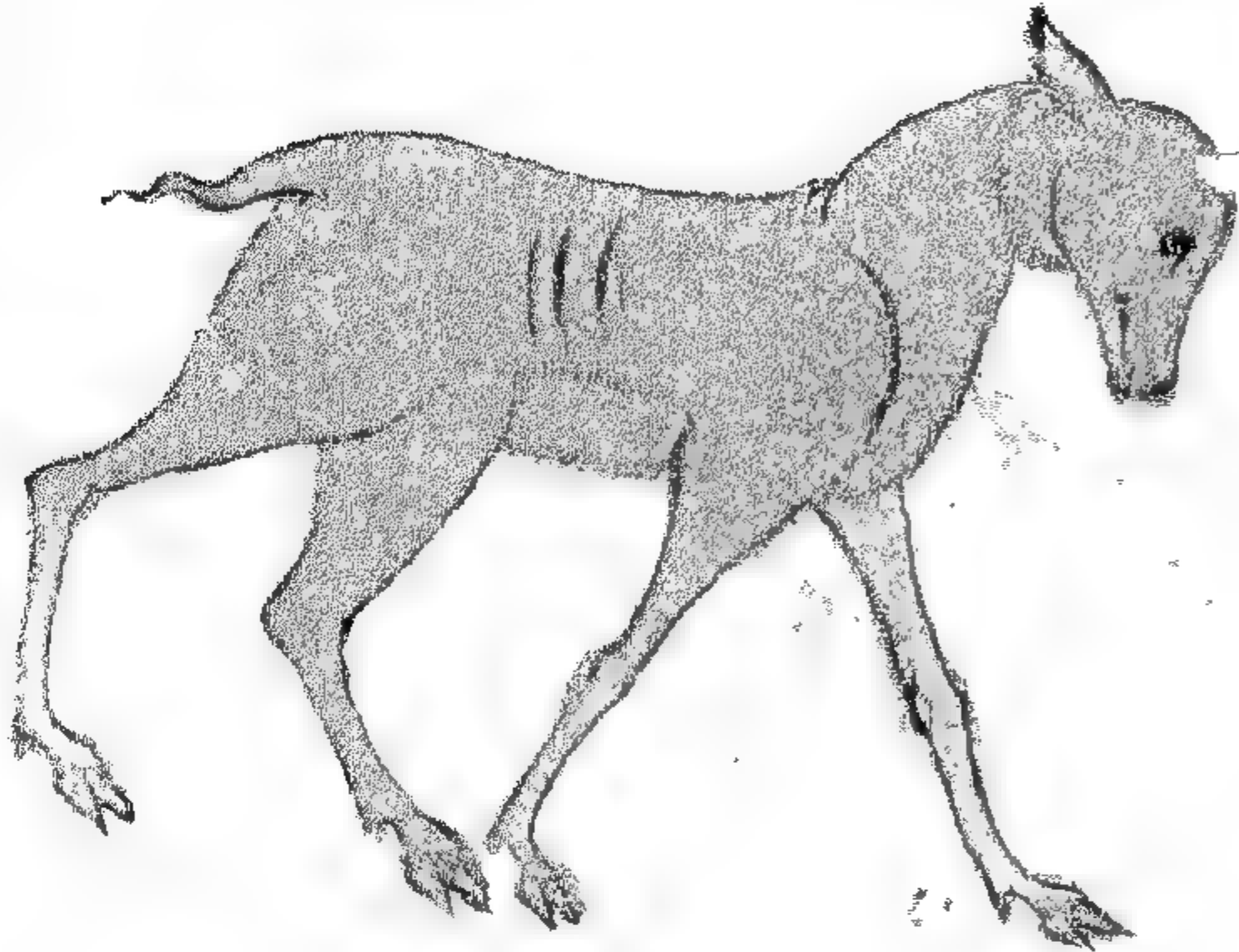
المعراج، من مخطوطة عجائب المخلوقات للقزويني التي دوت في غربي تركستان في اواخر القرن الرابع عشر. نشكر ادارة المتحف الاسلامي في برلين لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.

الصلح بين الليل والنهار، بين الشمس والقمر. والمثال الابدع لذلك يوجد على المنسوجات الجملية الستة المحفوظة الآن في متحف كلوني في باريس والمعمولة في اواخر القرن الخامس عشر. وهناك وحيد القرن الظريف الذي يحمل لواءا عليه ثلاثة اهلة. ووصف هذه الانسجة شاعرنا الالماني ريلكه في حكاية له وصارت لذلك اشهر تمثيل لوحد القرن، ولاشك انها من احسن واطرف ما نسجته يد انسان. وقد الف فيها كثير من المؤلفين رسائل يريدون بها فهم المعنى السري لهذه الرسوم المنسوجة. وقال بعضهم انها نسجت لاجل الامير جم ولد السلطان العثماني محمد الفاتح الذي سجن في فرنسا في اواخر القرن الخامس عشر، ولكننا نفتقر الى البرهان على ذلك. وتوجد سبع قطع منسوجة اخرى معمولة في عين الزمن (وهي الآن في متحف نيويورك) تظهر بابهي الالوان صيد وحيد القرن. واصبح حيواننا هذا اللطيف مثال العفة على الاطلاق حتى اننا نجده في كثير من الرسوم المزينة « لكتاب الاطفار» (trionfi) للمؤلف الايطالي بترارك، وفيها يجر وحيد القرن

الثالث عشر؛ ويعبر هذا الشعار عن عفة حامله وبطولته لان وحيد القرن لايسلم لاحد بل يرجع الموت على القيد. واشهر مثل لتلك الدروع هو شعار انكلترا الذي كان في الاصل شعارا لاسكوتلندا فقط حيث رسم وحيد القرن والاسد معا. اما في الاصل فالاسد ووحيد القرن عدوان منذ قديم الزمان، ويوجد كثير من الرسوم والحكايات الشعبية التي تعالج الصراع بين هذين الحيوانين، مابين قطعتين ايطاليتين منسوجتين محفوظتين في جزيرة آيسولا بلا، وشعر انكليزي للاطفال. وقد عثرنا هناك على رمز قديم للشمس والقمر لأن الاسد هو حيوان الشمس في بابل وغيرها، ووحيد القرن الابيض السريع الفرار منسوب الى القمر وبالحاصة الى الهلال كما كان الرثم في قديم الزمان، ولذلك يصبح رمز الآلهة القديمة مثلا ايزيس المصرية وعشتر البابلية اللتين هما مثال العفة والعشق، وصار بعد ذلك رمزا لمريم البتول. وفي السيميا كان وحيد القرن الابيض رمزا لزأروق وهو سريع التحول غير ثابت. ولاشك ان تمثيل الاسد ووحيد القرن في رسم واحد يمثل التوافق العالمي،



فيها فيسمع منه صوت في غاية الطيب ويجمع الحيوانات حوله لسماع ذلك الصوت ، وذكروا ان



قرن هذا الحيوان امدى الى بعض الملوك فتركه عنده بواب الاتح يري منه فكان يخرج منه صوت خري حتى  
كاد من جماعه قلب على سايه البكا ، ثم وضعوه مع كونه فكان يخرج منه صوت حسن حتى كاد يدهش

شاذموار ، من مخطوطة لعجائب المخلوقات للقزويني ، القرن السادس عشر . (جامعة برنستون) . لشكر البروفسور الدكتور ايتنجهاوزن لانعامه علينا بهذا التصوير .

وقد دافع وحيد القرن عنها ورجع الخاقان الى وطنه . وكتب  
سائح انه شاهد وحيد القرن على جبل الطور في ٢٠ ايلول  
١٤٨٣ ، وادعى غيره انه يوجد حيوانان ذوا قرن واحد في  
حرم مكة . . .

واسم هذا الحيوان مقرون بالشرق ، واجتمعت فيه اوصاف  
الكركدن الحقيقي والحيوانات الاسطورية القديمة ؛ وصار  
هو الحيوان المخصوص بالملوك سواء في الصين ام في جنوبي  
افريقيا . ولكن بعد القرن السابع عشر في عهد الانفتاح  
والسياحات العلمية والاكتشافات العلمية الطبيعية غابت  
التخيلات المشار اليها واحدة بعد الأخرى . ولم يعد احد  
يعتقد بالقوة الترياقية للقرن المشهور ولم يعد الرمز الشفاف  
يستعمل لوصف المسيح وأمه العذراء ، ولم يعد حيا الا في  
احلام بعض الشعراء والرسامين كبوكلين Böcklin مثلا .

ولكن ما يثير الحيرة اننا في أيامنا هذه نرى اهتماما جديدا  
بهذا الحيوان الذي هو الطيف وابهى ما تخيل الانسان من  
المخلوقات الخرافية . نراه يتمشى في تخيلات وقصائد الشعراء  
وفي القصص وفي المسرحيات ، والى فيه بعض العلماء ،

او اربعة او ستة من هذه الحيوانات عربية العفة حيناً ، او  
ان بتولا او شابا طاهر الروح والبدن يركبه حيناً آخر .  
ولا عجب ان هذا الموضوع القديم - اعني صيد ذى القرن  
بواسطة عذراء - أخذ مثالا لمريم البتول وابنها الوحيد الذي  
ارسله الله اليها بطريقة عجيبة سرية . ونجد هذه الفكرة في  
الفن لأول مرة في الربع الاول من القرن الرابع عشر في المانيا .  
ثم انتشرت في عالم الغرب كله دون انكسار ، ونرى ما يقال  
«الصيد المقدس» في رسوم على جدران الكنائس وعلى  
منافذها وعلى رسوم الهياكل وعلى الأواني المستعملة في  
الكنيسة ، وعلى القطع المطرزة وعلى النواقيس . . . ويمثل  
اكثرها مريم البتول جالسة في بستان مزهر وهو البستان  
المقفول الذي وصفه شعر الاشعار في التوراة ، وامام باب  
الحديقة يبدو جبرائيل في زى الصياد .

ومع ان وحيد القرن حيوان خرافي الا أن كثيرا من السائحين  
ادعوا انهم رأوه في بلدان الشرق سواء في بلاد الحبش ام في  
سمرقند ام في تركيا في بستان السراى ام في هندستان حيث  
قابله على ما قالت الاساطير جنكز خان لما اراد فتح المملكة





هاون من مال كاسبار شبار Caspar Sparre صاحب الصيدلية المشاة «وحيد القرن» في مدينة فرانكفورت (سنة ١٦٥٧). نشكر ادارة متحف تاريخ مدينة فرانكفورت Stadtgeschichtliches Museum لتصريحها بنشر هذا التصوير.

Sie nährten es mit keinem Korn,  
nur immer mit der Möglichkeit, es sei ...  
ما أظعموه بحبة من الغلال بل اظعموه بإمكان وجوده ...  
وشبهته شاعرة المانية بالسرور والبهجة لأنها كادا ان يغيبا من  
هذا العالم المملوء بالآلام ... كما قال احد الفلاسفة  
الصينيين ان وحيد القرن لا يظهر الا في حضور العارف  
الكامل - واين العارفون الكاملون في عصرنا هذا؟

مثلا اودل شبارد Shepard الانكليزي كتباً جذابة، والمم  
وصف ريلكه لقطع النسيج المذكورة في متحف كلوني  
كثيرا من الفنانين حتى ان كوكتو Cocteau صنف باليه في  
«العذراء ووحيد القرن». <sup>١</sup> واصبح هذا الحيوان غير الموجود في  
عالم العناصر، المولود من احلام الانسان البراقة، رمزا للقوة  
الخالقة للخيال والتمنى والشوق كما وصفه ريلكه في شعره  
قائلا:





كأس مصنوع من «قرن وحيد القرن» أي من الحوت المقرن، مزين بتصوير وحيد القرن، حوالي سنة ١٦٦٠. كان محفوظاً في خزانة قصر الأمير الكبير لولاية هاسيا إلى أن أُلِف في أثناء الحرب لما أحرق القصر في مدينة دارمشتاد سنة ١٩٤٤. نشكر إدارة متحف Hessisches Landes-museum في دارمشتاد التي أنعمت علينا بتصوير قديم لهذا الكأس المفقود. وكان هذا النوع من الكؤوس مشهوراً في أوروبا لأن الناس كانوا يظنون أن لا أثر فيه للسم. وقد انشد أحد الشعراء الألمان في القرن السابع عشر وأصفاً شربه من كأس مثله في ليلة الفرح والسرور:

Noch indenk jener Nacht, / da wir in lauter Wonne fast versunken, / die Blum des besten Weins / aus Gold und Einhorn trunken.

## HILDE DOMIN · EINHORN

Die Freude  
dieses bescheidenste Tier  
dies sanfte Einhorn  
so leise

man hört es nicht  
wenn es kommt, wenn es geht  
mein Haustier  
Freude

wenn es Durst hat  
leckt es die Tränen  
von den Träumen

البهجة نفسها

هذا الحيوان الحشيم  
هذا الكر كدن الناعم  
ساكن هادئ

لا يكاد يسمع  
في مجيئه وفي ذهابه  
يا حيواني الداجن  
يا بهجتي

واذا عطش  
لعق الدموع  
من الأحلام

## ECKART KLESSMANN · EINHORNJAGD

Auf Merlins verwehten Pfaden,  
Durch Gehölz und Rosenhecken,  
Trabt gedämpft ein Hain von Lanzen,  
Silberwimpeln, Goldstandarten,  
Kupferfarbenen Schabracken.  
Helmbuschschnee bestäubt die Zweige,  
Windspielmeute wittert Spuren,  
Hechelzunge leckt die Hufe  
Pfirsichzarter sanfter Zelter.  
Laubgelächter zittert gläsern  
Nach dem Widerhall der Schritte.  
Zärtlich klirren die Geschirre.  
Bannerträger, Waffenspanner,  
Pagen, Falkner, Bogenschützen  
Spähn umgaukelt nach der Beute:  
Tiefer züngeln die Standarten  
Lichtumblitzt in die Gehölze.  
Schweigen dunkelt zwischen Stämmen,  
Angefacht vom Hörnerblasen  
Sind entzündet alle Rosen.  
Purpurflecken narrt die Meute,  
Sanft hat sich das Wild entzogen  
Und sein schmales Horn bläst monden  
Durch die Verse, die man webte:  
Maschennetz der Zauberspiele,  
Drin die Jäger sich verfingen,  
Eh sie sich im Wald verirrtten.

Aus: Einhornjagd. Gedichte. Deutsche Verlagsanstalt, Stuttgart 1963.



# توفيق صيائغ :

## بضع أسئلة لأطرحها الى الكركدن



في فجرنا الاولى في موكب التسمية ،  
والجحافل تسرى امام المنصة ،  
وكل حيوان كالمستعرضين زوجان ،  
تقدمت الموكب من غير قرين ،  
والكل مكتمل مكثف يمشون بخطو موحد  
قدتهم وحيدا كالقرن في وسط رأسك ،  
مهرولا قلق الخطى تفتش بالعينين ، بالنشيق ،  
على المتعذرة الوجود حتى في جنة العلاء.  
في الفجر الكبير في الموكب الشامل  
وحدك والاله الوحيدان.

ابداً يطاردونك.  
وحوش الغاب ليست اشد عليك من القانصين الرشاق.  
يطاردونك، وتطاردها، معا  
ليحملوا الموت لك لتحمل لها المحبة والعبادة  
ورجلالك لا تتعبان وانفك لا يكل.  
والطرادان لا ينتهيان الا بانتهائك:  
واحدة نهايتها فيها انتهاؤك.

صورة ذى القرن البري وذي القرن  
البحري. عن كتاب نشر في  
فرانكفورت سنة ١٥٤٦.

حيا تلك وتيرة واحدة:  
ما كان حتى النهاية منذ البدء كان قبل البدء كان.  
وُلدت قويا متكاملا سوياً نابت الاسنان والقرن شديد الخوافر،  
وخطفت ممزقا الرحم  
ناشداً الرحم الذي لن تمزق.  
اشهرك في الرحم اشهر حجز مقتنه قوضت بنيانه  
مرة ومرة تستهل سعيك  
وأرجعت اليه لتكمل الفترة التي حكمت.  
بلا اخ بلا اخت بلا حليل او خليل.  
يد امك امتدت اليك  
لالتطعم فاك لتشبع من لحمك الغض فاها.



ولما اقتربت اليها وبشرت قدميك بالراحة  
ورأ سلك بالوسادة وانفك بعير لا يتبخر،  
أزاد في بشرك بشرها  
أأنستك سني ومتاعب السعي لها سنو ومتاعب انتظارها لك،



Bei unserem frühesten Frührot  
beim Festzug der Benennung,  
Als die riesigen Scharen vor den Hochsitz zogen,  
Alle Tiere wie paradierend in Paaren:  
Da gingst du dem Zuge voraus, ohne Gefährten.  
Vervollkommnet alle, zufrieden, zogen im gleichen Schritt;  
Du führtest sie, einsam wie das Horn mitten auf deinem Haupt;  
Eilend, erregten Schrittes suchend mit Augen und Nüstern  
nach IHR, die schwer ist zu finden, und sei's selbst im Paradies.  
In dem großen Frührot im umfassenden Festzug  
Allein du und der Gott nur: beide alleine. . .



Immer verfolgen sie dich.  
Nicht sind die Tiere des Waldes bedrängender als die Jäger, die Schützen.  
Sie stellen dir nach und du: stellst IHR nach,  
Daß sie dir den Tod bringen,  
daß du IHR Liebe bringst und Anbetung,  
daß SIE dir den Tod bringt.  
Deine Füße ermüden nicht, deine Nüstern ermatten nicht.  
Beides Verfolgen endet erst mit deinem Ende,  
Eines ist beider Ziel, in beiden: dein Ende.

صورة ذى القرن البرى وذى القرن  
البحرى. عن كتاب نشر في  
فرانكفورت سنة ١٥٤٦.

Dein Leben war immer gleich:  
Wie es war bis zum Ende,  
wie es war im Anfang,  
wie es war vor Anbeginn.  
Du wurdest geboren stark und vollkommen,  
gleichmäßig treibend Zähne und Horn, mit starken Hufen;  
Und du zerrisest raubend den Schoß —  
suchend den Schoß, der nie aufreißen wird.  
Deine Monate im Mutterschoß, Monde einer Verslossenheit, die du  
haßtest, deren Bau du zerstörtest  
Mal um Mal, deinen Lauf zu beginnen,  
Und wurdest wieder hineingeführt, auf daß  
die verordnete Frist sich vollende.  
Ohne Bruder noch Schwester, ohne Gattin noch Freund.  
Die Hand deiner Mutter streckte sich aus nach dir  
Nicht, deinen Mund zu füttern:  
nein, ihren Mund zu ersätten an deinem zartfrischen Fleisch.

Und als du IHR nahtest und deinen Füßen Ruhe verhießest,  
Deinem Haupt das Kissen und deinen Nüstern Duft, der nie sich verflüchtigt —  
Mehrte da IHRE Freude die deine?  
Die Jahre und Mühen IHRES Wartens auf dich: erkannten sie als  
vertraut dich, und die Jahre und Mühen deines Suchens nach IHR?



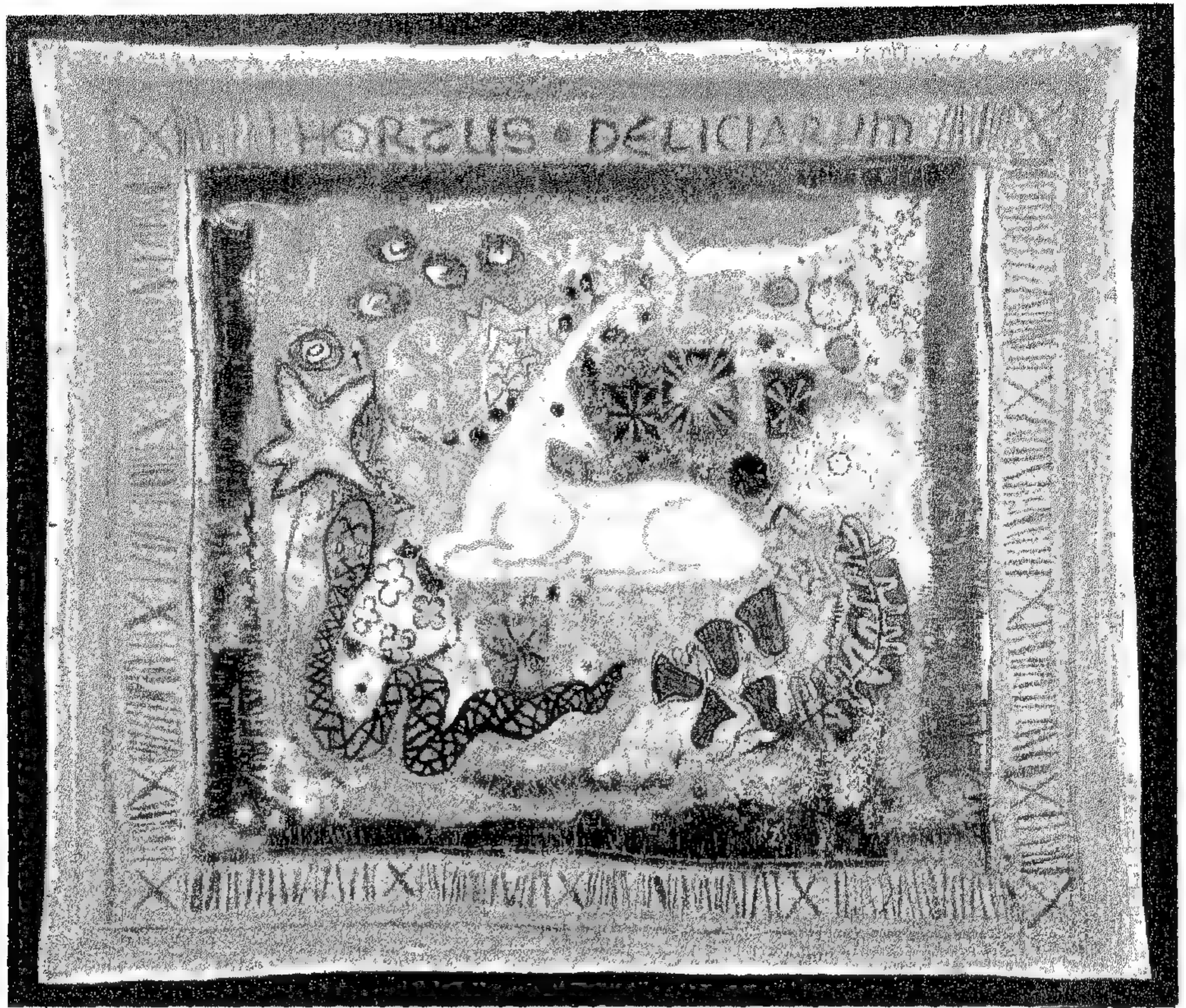


أشعل احتياجك ثم بلله  
 لدى ارتمائك على حضنها اعتناقها لك  
 الصيد في اثرك وانت في اثر عذرائك.  
 واصطدت عذرائك وما الذي اصطادته فيك؟  
 هل صدقت  
 ان هذا الابيض الصغير الطريف الهارع اليها  
 خلف قرن مديد عنيف حيوان خرافي تحقق؟  
 اما خيل اليها وقرنه كاد يحرقها  
 ان الاله الخرافي تحقق وأنه الآن انتقامها  
 وانتقى (يا للزعر المحب)  
 قالبا له ابيه مما انتقى ليظفر باتراب لها في القدم،  
 من البجعة المضحكة المؤخرة او الثور الغليظ مهما تلاطف  
 او مزوخ اللجين المشع المخيف،  
 واين، تحزرت، سيعلو بها  
 واية كوارث او مدهشات ستلد  
 واية انات وآهات سير في الليلة الاله الشبق  
 تلك التي لم تعرف مثلها مع رجل؟

Entflammte deine Erregung, löschte sie dann  
 IHRE Umarmung, als du niedersankst an IHRER Brust?  
 Die Jagd ist dir auf der Spur,  
 und du auf der Spur deiner Jungfrau.  
 Du hast deine Jungfrau erjagt — und was hat SIE in dir erjagt?  
 Hat SIE daran geglaubt,  
 Daß dies Weiße, dies Kleine, dies Zarte, das zu ihr eilte,  
 Hinter einem langen und festen Horn ein Fabeltier war, das Wahrheit  
 geworden?

Hat SIE sich vorstellen können  
 während sein Horn SIE fast durchbohrte,  
 Daß der Fabel-Gott Wirklichkeit ward und SIE jetzt erwählte?  
 Und er wählte (oh liebenswerter Zartbehaarter!)  
 Als Form für sich Prächtigeres denn je,  
 zu siegen über Gefährten, die SIE im Altertum hatte,  
 Wie den letzthin erschienenen lachhaften Pelikan,  
 oder den Stier, grob, wie zart er auch tat,  
 oder den furchtbar glänzenden Masoch aus Silber.  
 Und wo — erriet SIE — würde er SIE überkommen  
 Und welche entsetzlichen Monstren würde SIE dann gebären  
 Und welche Schreie und Seufzer würde des Nachts  
 kennen lassen der lüsterne Gott  
 Jene, die solches niemals gekannt hat vom Manne?





وحيد القرن في الجنة، منسوج كلارا كروس، كارلسروه. عرض في معرض «الفنون الكنسية في ألمانيا» (روما سنة ١٩٥٤-١٩٥٥)

بعد ركض السنين      ليلة ارتياح.  
رميت برأسك في حضنها      ولويت قرنك عنها بعيدا.  
لاعبتك      ووقعت اصابعها على اوتارك  
انغاما تشوقت لها طويلا طويلا.  
اخذت ثديها.      لسا نك لم يرتو:      الفطام احتضارك.  
بادلتك دعابا بدعاب،      مبتدىء ومبتدئة،      غر وحاذقة.  
سخرت،      وافتدت اللحظات      مطاردة طراد العمر.

Nach jahrlangem Rennen      die Nacht der Entspannung.  
Da legtest du dein Haupt an IHRE Brust  
und wendetest dein Horn weit ab von IHR.  
SIE scherzte mit dir, und ließ IHRE Finger auf deinen Adern spielen  
Weisen, nach denen du lange, lang dich gesehnt hast.  
Du nahmst IHRE Brüste.      Deine Zunge wurde nicht feucht:  
Die Entwöhnung dein Tod.  
SIE tauschte Scherz um Scherz mit dir aus,  
Anfänger und Anfängerin,      Unerfahrner und Kluge.  
Du wurdest schwächer,      und die Blicke kauften los  
die Verfolgerin, jagend nach deinem Leben.





إمراة وحشية مع وحيد القرن على بساط منسوج في ستراسبورج حوالي سنة ١٥٠٠، صنع من الصوف والحريير وخيوط الذهب. المتحف التاريخي لمدينة بازل. نشكر ادارة المتحف لانعامها علينا بفوتوغراف هذا المنسوج.



ارتحت. واضطربت.  
المقبلات طيبة، لاتشبع.

وارتيا حك يضنيها ويضنيها اشد  
احسا سها خلف ارتياحك بما تخفض من لا ارتياحك.  
وقرنك (ينطح الفيل يعارك الليث)  
اهزوة، مسبة، والوهتك تبعث التجديف والارتداد وحسب  
غريب عرسكما  
في سجلات الارض والسما ومواطن الجن.  
حسبتك حرصت على العذرة كشرقي مترمت  
حباً بالدم لا يكتمل العرس بدونه.  
احجمت على اسالة الدم،  
ولن ترضى بعرس ناقص: عوضاً عن دماها دماك.

حيوان وامرأة: اله في خيالهما وإلهة.  
فاحتضنت الجسد الذي حالته لن يعرف ارتحاء،  
وارتمي ساكنا على حضنها بخاله لا جسد.  
هفوة، ثارت عليها، قلبت الحب مقنا واحتقارا،

Du wurdest ruhig. Und SIE ward erregt,  
Die Küsse sind gut; sie sättigen nicht.  
Und deine Entspannung zehrt an IHR, und es zehrt an IHR mehr noch  
Die Nicht-Ruhe, die SIE verspürt, gedämpft, hinter deiner Entspannung.  
Und dein Horn  
(das den Elefanten rammt, das den Löwen bekämpft)  
Es wird zum Gespött, wird zur Schmach,  
Und deine Göttlichkeit erregt Lästerung, Abtrünnigkeit, und sonst nichts.

Seltsam ist eure Vermählung  
in den Archiven des Himmels und der Erde,  
und den Wohnstätten der Geister!  
SIE dachte, du begehrtest nach Jungfräulichkeit  
gleich einem ersten Orientalen  
Aus Liebe zum Blut,  
ohne das keine Hochzeit vollendet ist.  
Du jedoch ließest, enthaltsam, dies Blut nicht fließen —  
Nie aber wird dir unvollkommene Vermählung gemäß sein:  
Statt IHRES Blutes gibst du dein Blut.

Ein Tier und ein Weib:  
ein Gott in beider Phantasie, und eine Göttin.  
Und SIE schloß in den Arm diesen Körper,  
von dem SIE glaubte, er wisse nicht von Erschlaffung.  
Und er neigte sich ruhig auf IHRE Brust,  
die er unkörperlich glaubte.  
Ein Vergehen,  
gegen das SIE sich empörte,  
das Liebe wandelte in Haß und Verachtung.



هفوة، ابقت الحب حيا، تقبل لاجلها العاقبة.

ارتحت. واضطربت.  
فهمت اضطرابها، لكنها لم تفهم ارتياحك  
وقد احست هياج استعار حرصت  
وقام لقرنك قرن صغير مواز  
وعيناك تغمان ولها ثلك يفضحك.  
وكيف تفهم ان موتك الذى تنشد  
لن يحققه الا تعفك،  
ان تعفك موت آخر،  
وانك اذ تنشد موتا،  
فالساء كريمة تمنحك الموت المزدوج؟



اخرت طراد كها.

واخذت بقرنك بكلتا يديها بحزن يحزن  
وانغمضت عينيك مرتاحا والبسمة ثابتة على شفقتك،  
وزارت كما لم تزار الاسود التى اعترضتك فما  
وبعينين مغمضتين رأيت السهام المصوبة والخوذ  
وكانت تتساقط قدماً امامك من تلقاء ذاتها.  
ونظرت الى الحبيبة المخاتلة الى المخلصة القاتلة  
الى الوسادة الوثيرة انزاحت عن فم جب بغير قرار.  
اظننتها ستدافع عنك  
ظننت السهام ستتكفى عاجزة تحت قدمها  
ظننتها ستمنحك حق اللجوء والحرم  
غافلا عن انه يمنع من يدخل المعبد لا من يتزوى خارجه؟  
طعنة ارادتك فاحجمت فكنت الطعين.  
ولم تقا تل ولم تتفرض. بقبلة سلمتك وبدمعة؛  
ولم تسفك دم صياد امام رحمها  
وامام رحمها الحريز سفكت دماك.

لمن الطراد المستدم والجري بلا توقف؟  
لمن هجر الجنان من قبل ان تلفظه الجنان  
والتنكر للراحة وعناق المخاطر؟  
لمن الارتواء وهو القوى.  
لمن الاحجام وهو العتي  
لمن اللاقتال؟  
لها؟ والفاجعة.

كل خطوة تقر به لهدى وتلك،  
كل صائد محقق كل فيل واسد  
كل عابرة لسبيل لم يضاً لم يخطط  
كل شبه عذراء ورجل يزى وعطر منتحل



Ein Vergehen,  
das Liebe als Liebe bestehen ließ,  
das IHRETwegen das Ende küßte.

Du warest beruhigt. Und SIE ward erregt.  
Du verstandest IHRE Erregung,  
doch SIE verstand nicht dein Ruhn.  
Denn SIE verspürte das Aufflammen deiner Glut  
Als ein kleines Horn, parallel deinem Horn, erwuchs,  
Als deine Augen verschwammen und dein Durst dich verriet.  
Wie soll SIE verstehen, daß deinen Tod, den du suchst  
Nur deine Keuschheit verwirklichen kann?  
Daß deine Keuschheit ein anderer Tod ist,  
Und daß, wenn du einen Tod wünschst,  
der Himmel sehr gnädig ist: schenkend dir zweifachen Tod?

Und SIE ergriff dein Horn mit beiden Händen, trauernd, so trauernd,  
Und du schlossest die Augen, befriedigt,  
das Lächeln fest auf den Lippen.  
Und SIE schrie, wie nicht die Löwen gebrüllt hatten, die sich dir  
entgegengestellt, und nicht  
zögerte SIE deine Verfolgung hinaus.  
Und mit halbgeschlossenen Augen sahst du  
die zielenden Pfeile, die Helme.  
Einstmals waren sie ganz von selbst vor dir niedergefallen.  
Und du blicktest auf zur trügerischen Geliebten,  
der tötenden Erlöserin,  
Zu dem weichen Kissen — entfernte SIE sich vom Brunnenrand ohne Ruhe,  
Meintest du, SIE würde dich verteidigen?  
Du meintest, die Pfeile würden fallen machtlos unter IHRE Füße,  
Meintest, SIE würde dir das Asylrecht gewähren.  
Dachtest nicht daran, daß man es dem nur gibt, der ins Heiligtum eintrat,  
nicht dem, der draußen allein steht?  
Als Stich, so wollte SIE dich, aber du hieltst dich zurück  
und wardst der Durchbohrte.  
Du kämpftest nicht, und erschauertest nicht.  
Mit einem Kuß lieferte SIE dich aus, und mit einer Träne.  
Du vergossest kein Jägerblut vor IHREM Schoß;  
Vor IHREM behüteten Schoß vergoß man dein Blut.



Für wen das ständige Jagen, der Lauf ohne Stillstehn?  
Für wen die Trennung von Gärten, bevor noch die Gärten ihn sahen?  
Ablehnung der Ruhe, Umarmungen der Gefahren?  
Für wen das Niedersinken, wo er doch der Starke ist?  
Für wen dieses Sich-Enthalten, wo er doch der Kühne ist?  
Für wen das Nicht-Kämpfen?  
Für SIE?  
Und für das Unheil.  
Jeder Schritt bringt ihn näher  
zu IHR, und zu jenem.  
Jeder verfehlende Jäger, und Elefant, jeder Löwe,  
Jede die ihres Weges geht, eines unerleuchteten, unmarkierten,  
Jede Mädchengleiche, jeder Mann mit angemaßtem Kleid und Duft,



كل قردة لعبوبة رقاصة  
 (كل ايباتي مها اطلت فيها مطمطها  
 شرعت ووقفت وابتدأت من جديد،  
 كل تساوت لاتي الحيري ونكهات تتصارع بالرووس والاكف)  
 شخوص مساعدة بمأساة عتيقة  
 لاتصد البطل: قدماً تدفعه  
 (بطلاً واعياً) للنهاية الدامية.

آه لانهزأ؛ قارئ، لا تنتقده او تنتقدها:  
 مفجعة ومفجع، شهيد وشهيدة.  
 وارحم النذير المكرس، ألبست عيناه نغماتين،  
 لخصت حواسه، ختم جوازه بتأشيرة لبلد واحد  
 حكم فيه عليه ولافرار  
 فلم يشأ ان ينتظر في الليل قرعة وقيداً وصغير قطار.  
 وارحموها: طلب الموت فيها طلبت فيه الحياة  
 حياة لها تفجر فيها حياة؛  
 جادت عليه وضمن  
 فمات قريراً وكانت شهقتها اعلى  
 عند موته من شهقته.

Jedes spielende tanzende Äffchen  
 (All meine Verse, wie ich sie auch dehne, sind ungenügend,  
 Ich fing an und hielt ein und begann von neuem;  
 All mein verwirrtes Befragen, meine Vermutungen stoßen sich mit  
 den Köpfen, ringen die Hände)  
 Gestalten, helfend zu einer antiken Tragödie,  
 Die den Helden nicht hält: ihn gradeswegs treibt  
 (Als bewußten Helden) zum blutigen Ende.

Ach, spotte nicht, Leser,  
 tadle nicht ihn und nicht SIE!  
 Die Heimgesuchte und den Heimgesuchten,  
 Blutzegen und Blutzegin.  
 Sondern hab Mitleid mit dem gesegneten Weihopfer,  
 dessen Augen von Hüllen bedeckt sind.  
 Seine Sinne verengt, sein Paß beendet  
 mit dem Visum eines Landes  
 In dem er verurteilt ward, ohne Fluchtweg  
 Und er nicht abwarten wollte  
 Aushebung zur Nacht und Fessel und das Pfeifen des Zuges.  
 Habt Mitleid mit IHR:  
 Er suchte in IHR den Tod, SIE suchte in ihm das Leben,  
 Ein Leben für sich, in dem Leben sprudelte.  
 SIE gewährte ihm vorenthaltend  
 Und er starb beglückt.  
 Und IHR Schrei war lauter  
 Bei seinem Tod als sein Schrei.



مت. وعاشت. واذا حملوك، مزغردين،  
 فريداً في مماتك كما في حياتك،  
 عادت لقريتها، ولا قيد ولا جناح ولا حيوان ولا اله،  
 ارملة ثكلى من غير زوج او ولد.  
 حملوا قرنك للمليك وارتمت على ادنى سرير.  
 والتموا حواليك مختطفون الذخائر  
 تسهل على النسوة مخاضهن تشدد في رجالهن العصير.  
 بقروا بطنك، بطنها انتفخ.  
 مت. وعاشت: فأبكيك. وأبكها.

Du starbst. SIE aber lebte.  
 Und als sie dich jubilierend forttrugen,  
 — Einsam in deinem Tode, wie einst in deinem Leben —  
 kehrte SIE heim in IHR Dorf,  
 ohne Fessel und Flügel, ohne Tier, ohne Gott,  
 Witwe, söhneberaubt, ohne Gatten und Kind.  
 Sie trugen dein Horn zum Fürsten,  
 und SIE warf sich aufs nächste Bett.  
 Und sie scharten sich um dich, die Schätze zu rauben:  
 Die erleichtern den Weibern die Wehen,  
 stärken den Männern die Kraft.  
 Sie spalteten deinen Leib.  
 IHR Leib schwoll.  
 Du starbst, und SIE lebte.  
 Ich beweine dich. Und beweine SIE.

رجال الغابة وهم يطاردون وحيد القرن، في صورة على نسيج موطنه إقليم بافاريا الشمالية (حوالي عام ١٤٥٠). نشكر ادارة المتحف الملى البافارى لتصريحها لنا بنشر هذا التصوير.













# وحيد القرن ومدورته

## مَسْرَحِيَّةٌ اِذَاعِيَّةٌ

لاينغريد باخير

المدورة هي تعريب كلمة Carrousel الفرنسية، Karussel الألمانية، merry-go-round الانكليزية، atlı Karınca التركية، وهي مجموعة من الحيوانات والمقاعد مصفوفة على حافة مسرح مستدير يدور حول نفسه بطريقة آلية ويستخدم كلعبة للأطفال.

الموسيقى تزداد قوة

لقد ركبت مدورتي بنفسى بحيث استطيع ان اسرد عليكم قصة كل من هياكلها بمفرده. ولكنها ليست قصصاً في الحقيقة، بل انها مجرد لحظات كانت الحياة فيها صافية، غريبة، وربما كذلك سعيدة. وأما ما تبقى من هذه اللحظات فقد قمت بجمعه، فمن زرافة ووعل الى حصان وحصان، فأسد وعنقاء وفيل وفهد . . . . لقد جاءت جميع هذه الهياكل بطريق الاحلام الى العالم، وحين لم يعرف احد الى أين يمكن الذهاب بها أخذتها في حوزتي. وهامى الآن تدور، ثم تدور، وياترى كم مرة ستدور بعد — والى أين، الى أين؟ . . . زرافة ووعل، حصان وحصان، ثم اسد، وعنقاء وفيل و . . . فهد

هل تودون ان تسمعوا قصته؟ كيف واين وجدته؟

موسيقى المدورة التي كانت منخفضة وراء الحديث تنقطع

اذن هيا، الى بموسيقى لصديقي الفهد.

الموسيقى (ماخوذاً، كأنه استيقظ الآن): ان الصنج لم يعد يفقد الحانا بعد الآن. كما ان الناي قدملت جمعها. لماذا يصمت صندوق الموسيقى؟

وحيد القرن: اننى اود ان اسمع موسيقى أخرى.

الموسيقى: هل تود موسيقى الرسام الذى راح يرسم اشواك النيص شوكة شوكة الى ان وخز نفسه؟ — ام تريد سماع موسيقى الفتى الذى عندما كان يختل بنفسه كان يستحيل الى زرافة، فكان يمد رقبته فوق البيوت لكى يرى ما كان يوجد خلفها.

وحيد القرن (بدون اكتراث): وهل كان يرى شيئاً؟

الموسيقى: بيوتاً وزرافات. — ام هل تفضل سماع موسيقى البستاني الذى استحال الى شجرة عندما نقصت حديقته شجرة واحدة؟

يسمع وحيد القرن وهو يمر عابراً. — تبدأ موسيقى المدورة بالعزف وكأن اقتراب وحيد القرن هو الذى اطلقها. انها موسيقى قديمة وخافتة ولكنها تنقطع فجأة.

الموسيقى: لقد قال الناي: دعوا وحيد القرن يقول شيئاً. فلا يلبث الطبل ان يصمت وقد جفل. تفضلوا: هذا هو وحيد القرن.

وحيد القرن: أنا وحيد القرن. وهذه هي مدورتي. لعلكم تعرفونها. انها تقع في الحديقة الاسبانية، وهي لا تعمل الا ايام الاحاد، من اجل الاطفال. — ان عصر هذا اليوم عادى جداً. انه يوم الثلاثاء. لقد امطرت السماء قليلاً واقبل الغسق، ومالبث حارس المنتزه ان مهد الطرق، وما هو يجلس الآن على مقعد ويغط في النوم. هل تسمعون شخيره؟

لا اصوات تسمع.

ألا تسمعون شيئاً؟ — ان كل شيء على ما يرام بالنسبة له . . انه يعتقد بأن المدورة ملك المدينة وانها تبقى ساكنة الى ان يدير المحرك في صباح يوم الاحد. ولكنه نخطيء في ذلك. ألا ان جميع مدورات العالم تبدأ في الدوران من تلقاء نفسها عندما يمر وحيد قرن مثلى عابراً لياها.

يسمع وحيد القرن وهو يسير بضع خطوات

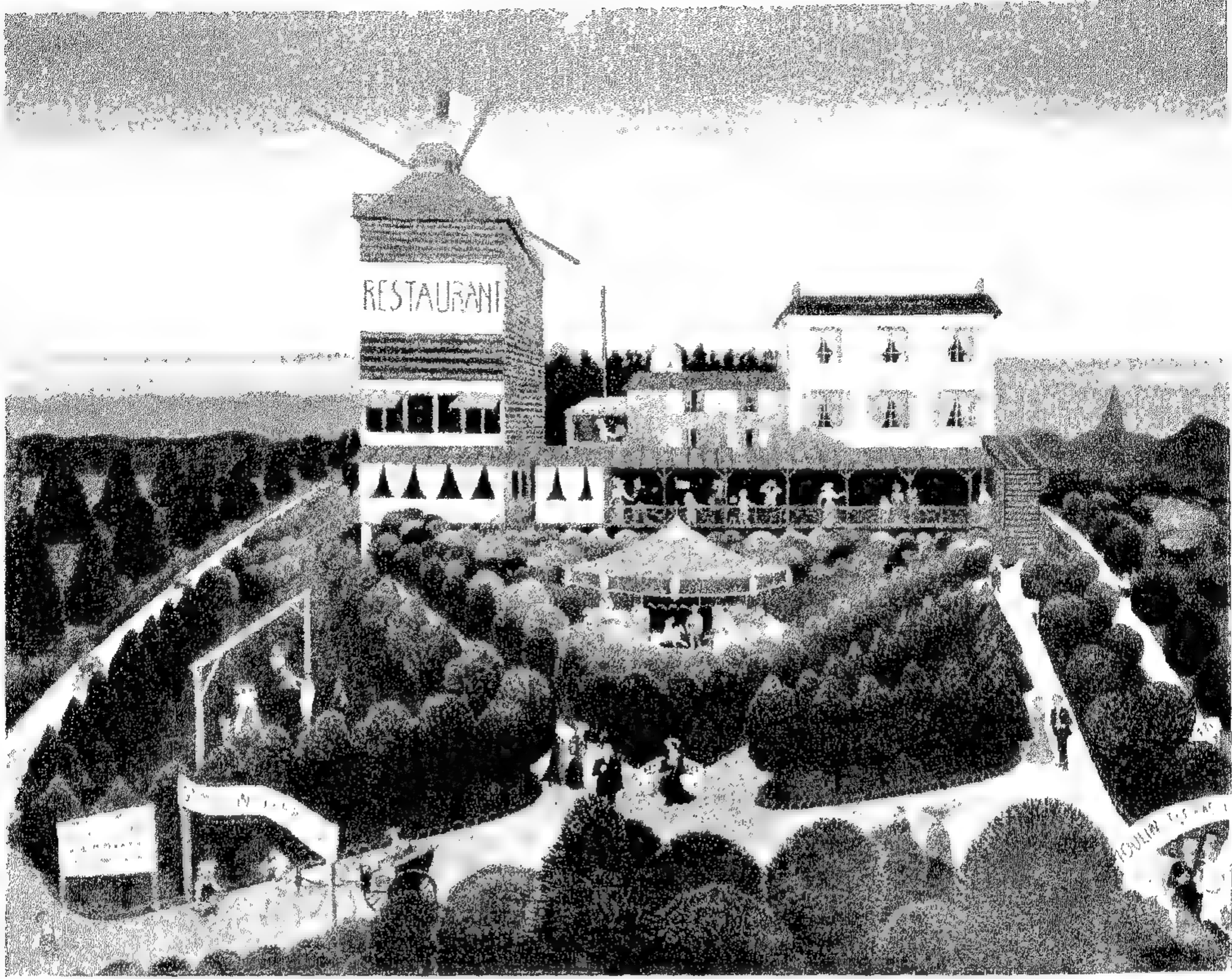
هل تسمعون؟

موسيقى المدورة تبدأ من جديد

تفضلوا! — ان الموسيقى قدمة كما هو حال المدورة ذات الزحافات والعربات والاسود والزرافات والوعول . . . وخلف الزحافة تقف العنقاء التي يمكن فتحها من الجانب ومن الداخل زين الباب بالقטיפات الحمراء، والمقعد جعل كذلك من القטיפات الحمراء. ان الباب لا يتسع الا للأطفال الصغار، اما الكبار فانهم يتسلقون المقعد بلا صعوبة.

من باليه «الغذاء ووحيد القرن» الفه الشاعر الفرنسى جان كوكو Jean Cocteau والف موسيقاه جاك شاييل Jacques Chailley. الغدراء: جيزلا ديكه Gisela Deege، وحيد القرن: ورونيكا ملاكر Veronika Mlaker، تصوير: س انكلمان، S. Enkelmann مونيخ.





حديقة فيها مدورة. قطعة من لوحة للرسماءة او برادى تمثل فيها مدورة في بعض المنتزهات في باريس. أخذت عن كتاب Oto Bihalji-Merin, Das naive Bild der Welt دار نشر دوسون - شاورج، كولونيا، ١٩٥٩. نشكر دار النشر لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.

وراحوا يراقبون الأفق، وقد احاط احدهما بالبحر بينما حدد الآخر الارض. وبشبكة متداخلة من الاعشاب الرملية اندمجت الارض بالسماء. . . . وفي الافق البعيد مر فهد عابراً.

لحن يمثل الفهد، قد انفصل عن صرخة حادة اطلقها طائر نورس. (يجب ان يشوب الحوار التالى طابع من الغموض بينما يهين على الاشخاص فجأة جو غريب، ورغم انهم لا يودون ذلك الا انهم لا يستطيعون مقاومة هذا الجو)

نينا: جوديث؟

جوديث: ماذا؟

نينا: أترغبين في مزيد من الشاي؟

جوديث: شكراً.

الرجل: كان من الأفضل ألا نسير حتى هذه البقعة البعيدة

نينا: ان بوسعنا ان نأكل هنا ثم نعود ادراجنا ثانية. —

ألا تساعدنى على اخراج ما بالسلة يافرانتز؟

الرجل: هذا من شان النساء.

وحيد القرن: كلا، اعزف لنا شيئاً من موسيقى البحر ثم موسيقى الفهد. اذ أحب ان اسرد قصته وقصة جوديث الفتاة. اعزف لنا موسيقى سماء ايلول والشمس. ولكن أياك أن تأتى بأية حركة. اذ لم تكن هناك اية امواج في اليوم الذى جاءت فيه جوديث الى الشاطئ. لم تكن وحيدة. بل كان معها صديقها وفتاة أخرى.

وكان اسم الفتاة نينا وكانت قبل ذلك صديقة لجوديث. أما الآن فقد اصبحت تهم اكثر برفيق جوديث.

الموسيقى: والآن، اليك موسيقى البحر . . .

تبدأ الموسيقى بحد

وحيد القرن: ولاتنس ايضا الشاطئ الخالى من البشر. اذ لم يكن سوى نسخة رملية من الماء، بكتبانه الصغيرة، وسكونه الخالى من الاحساس.

موسيقى ينبعث منها تدريجياً لحن الفهد

لقد جاءوا الى الشاطئ، الرفيقان ونينا. فقد ارادوا ان يقوموا بنزهة. وعندما لاحظوا السكون المحيط بهم، جلسوا



نينا: هل سمعت يا جوديث؟

جوديث: نعم، ولكن مهلاً. انظروا هناك، ان فهذا يمر عابراً  
الافق.

الرجل: نكتة سخيفة. لعله، «فهد ببحر الشمال».

جوديث: عفوا، لم يكن قصدي اثارة غيظك.

الرجل: اذا كنت اشترك في هذه التزهات، فأني لا افعل  
ذلك إلا لأنكما ترغبان ذلك دوماً. اما أنا فافضل البقاء على  
شاطيء الاستحمام.

جوديث: انه لم يعد ظاهراً للعيان.

نينا: من تقصدين؟

جوديث: الفهد.

الرجل: ان جوديث تصبح غريبة الاطوار قليلاً.  
سكون.

جوديث: الا تعطيني شيئاً؟

نينا: بلى، خذى.

يسمع طقة كأس زجاجى.

الرجل: ها قد كسرت كأسنا الوحيد.

جوديث: ولكننا نستطيع الشرب من الزجاجاة.

الرجل: كلا هذا لم يكن مقرراً.

جوديث (بارتباك): هل تضمران شيئاً ضدى؟

نينا (متأثرة): ماذا يمكن ان نضمرك لك؟

الرجل: إنك اليوم فعلاً لاتطاقين يا جوديث.

جوديث: مع ان فرحى كان عظيماً لهذا اليوم.

الرجل: اننى متعب.

جوديث: متعب من محبتي؟

نينا: انك تطالبين دوماً بخيال خصب كثير.

جوديث: ان فرانتز يحتاج الى الخيال لكى يحبني.

الرجل: كفى هراء — اما كنا نريد ان نأكل !

سكون.

جوديث: هل تريد شيئاً؟

الرجل: كلا.

نينا: وأنت ألا تأكلين شيئاً؟

جوديث: كلا، اريد ان اذهب لاسبح.

الرجل: وانا؟

جوديث: ولكن نينا ستبقى معك.

وحيد القرن: وراحت جوديث تسبح فى عرض البحر بعيداً  
كأن بوسعها ان تفر من الارض اليابسة. أما الآخرون فقد  
ظلا على الشاطئ. وطالما كانت جوديث باقية معها، كان  
بوسعها، ان يصداها سوية. ولكن جوديث ابتعدت الآن  
ولم يعد لديها ما يقولانه. وراحت جوديث تسبح حتى بلغت  
الشاطيء الرملى. ثم نهضت واقفة هناك، فلم يصل الماء الى  
ابعد من ركبتيها. . . . ومن هذه المسافة النائية راحت  
تراقب رفيقها اللذين بديا متناهيين فى الصغر والسكون فوق  
الشاطيء الخالى الواسع. وفى الافق مر الفهد عابراً.

جوديث (تصرخ): هيه ! ذلك هو ثانية ! هل تريانه؟  
فرانتز، بالله استمع الى ! لماذا لانبجيانى؟ (تحدث نفسها) اننى  
بحاجة اليه، ولكنه لا يحرك ساكناً. مع انه قال إنه  
يحبني. كل شئ ساكن. أن سبحت الآن فسيكون ذلك  
الحركة الوحيدة فى هذا السكون. (تصرخ) ولكنى مازلت  
موجودة فعلاً. (لنفسها) انهما يتصرفان وكأنه لاوجود لى.  
مع اننى مازلت موجودة. أم لا؟ فاذا لم تريد ان اكون  
موجودة، فلن تكونا موجودين ايضاً ! (تنادى) هيه ! هيا  
أجيبانى. . .

الآن تسمع جوديث وهى تنادى عن بعد باصوات غير مفهومة. ولكن  
الاثنين المستقلين على الشاطئ لا ينبهان للنداء.

نينا: جوديث تعود.

الرجل (همهم): هم.

نينا: لقد افسدت على نزهتى. انها تبدو اليوم غير  
طبيعية الى حد كبير.

الرجل: هم. كان من الافضل ان نذهب الى شاطئ

الاستحمام. (ينادى) ماذا، ايها السمكة؟

جوديث (تقترب): لقد كننا شديدى السكون.

نينا (بتشاغل): وكيف كان يجب أن نكون اذن؟

جوديث (دون تعليق على ذلك): ألا نجدان أن السكون نجيم  
بشكل غريب. حتى ولا نورس يبصق خلفه تفاؤلاً بالخير.  
كل شئ يغط فى نوم عميق.

الرجل: هيا اجلسى واهدئى اخيراً.

جوديث: انك تستطيع الكلام جيداً. كيف استطيع ان  
اهداً اذا كنت تتركنى وحيدة فجأة، واذا كنت تصبح  
غريباً عنى دون اى سبب.



نينا: انك تمثلين دوما دور المعقدة. أما فرانتز ففى احسن حال، تماما كما هو الآن.

جوديث (بتأمل): هذا شيء لا محتمل. وانا افكر ان الامور اذ كانت كماهى الآن فالافضل ألا يكون هناك اى وجود.

الرجل (بدون اهتمام): ماذا تقولين؟

جوديث: كان الافضل لو لم يكن موجودا على الاطلاق، لا الآن ولا هنا، ولا اطلاقا، حتى ولا فى الذاكرة، وان ابقى وحدى — مع الفهد.

لحن يمثل الفهد.

نينا (تصرخ): فرانتز! فرانتز! ما الذى حدث حتى يغط فى النوم فجأة؟

جوديث: كان لابد لى من الدفاع عن نفسى طبعاً. إنه يجعلنى غريبة حتى عن نفسى. اما الفهد فقد جاء لينجذنى فقط.

نينا (بغضب): انت تعرفين انه مستحيل ان يوجد فهد هنا.

جوديث: ولكنه هناك، وسيجعلك انت ايضا ساكنة هادئة.

نينا (وقد خرجت عن طوارها): انك تشرين اشمسزازى. ولا تستطيع ان افهم كيف كنا على الصداقة فى يوم من الايام. بلى، لقد اصبحت منذ وقت طويل مثارا لاستيائنا. (تصرخ بعصبية) فرانتز! فرانتز! — هل أعشى عليه؟ ماذا فعلت به؟

جوديث (بصوت خافت): لن اتهاون فى شيء بعد اليوم. إذ ان الامور ليست كما كنت اعتقد. فكل شيء دنىء منحط. ولابد لذلك من نهاية! نهاية قاطعة!

لحن يمثل الفهد.

وحيد القرن: ثم استغرقت الصديقة كذلك فى نوم عميق. وراحت جوديث تراقب النائمى وهى مدهوشة منهوكة القوى ثم لمست فى تردد، والخوف يكاد يعتريها، وجه صديقها، وتحسست منابت شعره، ثم شعره. وجلست، وتركت يديها تغرقان فى الرمل. وكان الرمل لا يزال محتفظاً بحرارة النهار، بينما اخذ الضوء فى الاضمحلال وبدأ يتلاشى امام المساء. — وشعرت جوديث بالرضى فى بادىء الأمر. ولكن كلما فات مزيد من الوقت على استقلالها فى هذا الوضع، كلما ازداد شعورها بانها نفسها لم تعد على قيد الحياة. وبدأ كل شيء حولها وكأنه ميت. وراحت تصغى بامعان الى حركة البحر. بدا صوته وكأنه يود موجة بعد موجة ان يطرد الشاطئ الرملى بعيداً، لكى يأخذها والنائمى بين طياته بحيث لا يتبقى شيء سوى السكون الذى أخذ ينمو وينتشر من الافق حتى السماء. واعتري جوديث خوف.

جوديث: بالله ارجوكما ان تستيقظا، اذ لم يكن قصدى هكذا! لقد كنت على خطأ. فسوء التفاهم لا يكون مميتاً بهذا الشكل. لقد كنت على خطأ! ارجوكما! كونا كما تريدان — فقط عودا الى الحياة! — لقد حل المساء. وكان يجب ان نعود الى البيت. ولن اقول بعد الآن ما لا ترغبان فى سماعه. لقد كانت نزهة جميلة اليوم، وما زلنا اصدقاء وعلى خير وفاق. ألا تسمعان؟

وحيد القرن: ولم يسمعا شيئاً. وعندها مضت جوديث وحدها عائدة فى الطريق بين الكشبان الرملية. ولم تلتفت جوديث الا مرة واحدة لتلقى بنظرها الى المخلوقين اللذين ظلا مضطجعين فى استسلام للنوم العميق. وعندما بلغت جوديث البيوت الاولى، قابلتها امرأة.

جوديث: الى اين انت ذاهبة؟

المرأة: الى الشاطئ.

جوديث: هل تستطيعين، رجاء، ان توقظى الشخصين النائمين هناك؟

المرأة: وماذا تريدان ان اقول لهما؟

جوديث: ان الوقت قد حان ليعودا الى البيت، واننى فى انتظارهما. ولكن اياك ان تلتقى بالفهد.

المرأة: فهد؟

جوديث: نعم، لم آخذه معى. إذ من الصعب الاحتفاظ به فى منزل فى المدينة.

تبتعد مع آخر جملة.

موسيقى المدورة.

وحيد القرن: واخترقت جوديث الشوارع المضاءة. لقد كان كل شيء على حاله. وشعرت بخيبة امل، ولكن كذلك بقليل من الارتياح. اما الفهد فقد أخذته لمدورتي. وعندما تتحرك هذه، يجرى الفهد معها دائراً، دائراً. ويقتنى بضاد واصرار اثره الخاص، فيستدرك على النهاية بالبداية. تتعالى الموسيقى ثم تنقطع.

الموسيقى: دوما خمس دقائق موسيقى — ثم تدور وتدور، وبعدها استراحة. وبعدها يحتل المقاعد آخرون، وتجمع القروش. قرش واحد لكل مرة اهباً تفضلوا! زحافة بدون ثلج، وعنقاء لا تحترق، ودب لا يلتهم حلاوة.

وحيد القرن: ولكن هناك بقعة محترقة فى جلد الاسد.

الموسيقى: انها لا تظهر للعيان عندما تتحرك المدورة حول نفسها.





وحيد القرن وسط حديقة جميلة، وسادة منسوجة من الكتان والصوف في شمال ألمانيا في أوائل القرن السادس عشر.  
متحف ملنورف، Dithmarscher Landesmuseum, Meldorf.  
مأخوذ عن فهرس معرض Folklig Konst i Tyg och Lera الذي قامت به إدارة الفنون الألمانية، كولونيا. تصوير: الدكتور سالشو.



وحيد القرن: كان من الضروري تحسين هذه البقعة. كنت اود ان افعل ذلك آنذاك، عندما حصلت عليه. ولكنني نسيت الامر. لقد بدأت قصته في ذات امسية تركت فيها طفلة صغيرة لتنام وحدها في منزل مظلم. وكانت لها قطة صغيرة جاءت الى الممر وظلت واقفة امام شق باب الغرفة. الطفلة: تعالى؛ اني لم أتم بعد.

وحيد القرن: ودفعت القطة الباب ودخلت الغرفة، ودخل معها بصيص من نور الممر. وكان على باب شرفة غرفة الاطفال ستار من الاشرطة المعدنية لم يسمح بدخول اكثر من خطوط رفيعة من الضوء.

من مسافة بعيدة يسمع قصف رعد وفرقة عاصفة.

الطفلة: تعالى يا قطيطة. المفروض ان أنام، ولكني اود ان اتحدث معك. ان البيت كبير وكلانا وحيد فيه.

القطة تموء.

الطفلة: اتقصدين ان عاصفة ستهب؟ أرجو ان تظل بعيدة عنا. تعالى اقتربي. هيا اجلسي على اللحاف. اذ لايسمح لي ان آخذك تحت اللحاف. كلا، حتي ولو كنا وحدنا. وبالإضافة الى ذلك فاني استطيع هكذا ان اداعبك افضل. هل تحبين الامر هكذا؟ دعينا ننسى العاصفة.

القطة تموء.

الطفلة: الحق معك. فاننا نسمعها فعلا. لو كنت اكبر قليلا، لما اضطررت الى الشعور بالخوف. فالبيت شديد الفراغ رغم وجودنا نحن الاثنين.

القطة تهر.

الطفلة: انهما لم يكونا سعيدين قط، مع انهما لم يكونا وحيدين. ومع ذلك فقد ذهبا سوية.

القطة تزداد هريرا.

الطفلة: هذا جميل، اما الافضل من ذلك لو انك تقولين شيئا. ولكن لا بأس فالامر محتمل هكذا ايضا. انني اشعر وكأنني أود ان اعود الى البيت، مع انني في البيت فعلا. هل نشعل الضوء ام نغلق الباب لكيلا نرى نور البرق الخاطف؟ كنت اود ان استجمع شجاعتي وأقف على قدمي. ولكن لا جسارة لي. . .

صوت عاصفة

القطة تموء.

الطفلة: كان يجب ان اكون قطة، اذ لو تحقق ذلك لأنست الواحدة منا الى الاخرى. هل تسمعين؟ اريد الا اشعر بالخوف بعد الآن. لماذا لا نحميني؟ لأنك

صغيرة هكذا؟ اذن فسأجعلك كبيرة. سأجعلك أسدا. أسدا كبيرا مكتمل النمو.

الرعد يقصف فوق المنزل، يسمع زئير القطة وهو يعلو ويرتفع ويزداد شبا بزئير الاسد.

الطفلة: اهدي. ها انت تنمين. وسرعان ما ستصبحين أسدي. سأضع رأسي على مخيليك، وعندما ترفع العاصفة ستار الباب، وعندما يفتح الباب ويدخل الهول عابرا الممر، وعندها ستصبحين كبيرة وستدافعين عني. وستصنفين جميع الامور في نصابها من اجلي. ألا ترين، انك تستحيلين رويدا الى اسد جميل ذي فروة صفراء بلون القمر. وستبقى البروق عالققة بعنقك ثم تستحيل الى جدائل طويلة. وقد اصبح لسانك الآن كبيرا بقدر حجمك عندما كنت قبل ذلك قطة صغيرة.

صوت زئير اسد.

الطفلة: آه، ما اجمل هذا، ما اجمل هذا.

صوت عاصفة ورعد.

الطفلة تصرخ بحدة

اصابة البرق في المنزل.

الطفلة (وهي تكاد تختنق من شدة الجزع): هل شب حريق؟

يسمع فرقة نيران، وزئير اسد، ثم يحل السكون

الطفلة (منكشة من الخوف): هل انقضى الامر؟

الاسد: نعم؛ لا يمكن ان يحدث شيء بعد. وتستطيعين ان تفتحي عينيك من جديد. لقد اخذت النيران والعاصفة آخذة في التلاشي.

الطفلة: هذا حسن. لقد ابتلعت البرق كلمتهم النيران. هل كل شيء على ما يرام؟

الاسد: هم.

الطفلة: انك لم تول اي اهتمام لنفسك — لقد تشوهت فروتك مع انها كانت جديدة جدا.

الاسد: هذا لا يهم. ولكنني لاحظت مدى قوتي.

الطفلة: انك من القوة بحيث تخشى نفسك، أليس كذلك؟

الاسد: بلي.

الطفلة: سنتناد على وضعك الحديد كأسد.

الاسد: ولكنني لا استطيع بعد الآن ان أجلس على ذراعك.

الطفلة: ولكن بدلا من ذلك فاني استطيع ان اختبئ عندك.

الاسد: لم يعد هذا ضروريا بعد الآن. فلن يعتربك مثل هذا



الخوف قط، لا في الظلام ولا عند العواصف. فأنت تعلمين ان الانسان بمقدوره دوما ان يفعل شيئا.

الطفلة: لم اكن اعلم فعلا ان الانسان يستطيع بنفسه وبالاخرين ان يحقق سحرا. اننى لن ابكى ليلا بعد الآن. ضحك خافت.

الطفلة: لماذا تضحك ايها الاسد؟

وحيد القرن: ولكن الاسد غط في نوم عميق. ولم يضحك الا في المنام، لانه حلم بأنه كان قطعة عادية صغيرة سوداء. وحاولت الطفلة قليلا ان تدفع الاسد جانبا لانه ملأ الفراش كله ولم يدع لها مكانا. ثم مالبت الطفلة ان استغرقت في النوم وكلها حذر وقلق من ان تنسى سرها الحديد في النوم. وعند الصباح أخذت الاسد معى لاضمه الى مدورتى. ووضعته خلف الحصانين اللذين يحاول احدهما دوما وبدون جدوى ان يبلغ الثانى. أما الأسد فانه لا يحاول ابداً ان يبلغ مايجرى امامه. بل انه يكتفى بالوقوف في مكانه والنظر جانبا. ولعله يحصى مثل عدد الدورات: كم مرة بعد، كم مرة، و الى اين، الى اين؟ زرافة ووعل، حصان وحصان، وأسد، وعنقاء، وفيل، وفهد، كلهم يدورون بلا نهاية.

موسيقى المدورة.

الموسيقى: هيا اعتلوا اما كنكم في المدورة اوليختر كل منكم مايشاء! اين تودون الجلوس؟ اى حيوان تحبون؟

وحيد القرن: واى حيوان يختاركم؟

الموسيقى (وقد خفت لهجة الندائية): هل هناك من يود ان يسمع هذا اللحن بعد! هل تريد ان تسمع موسيقى السلحفاة، التى كانت واثقة انها تحمل السماء على ظهرها بحيث كانت لذلك السبب تسير دوما ببطء وحذر؟ ام هل تريد موسيقى الفلاح الشاب الذى كان يجرب حصان واحد عربية بستة احصنة، والذى، حين كان يعود بحصانه الوحيد الى الاسطبل، كنا نفك قيود الخيول الخمسة التى كانت من بنات الاحلام وتأخذها بعيدا؟

وحيد القرن: ليس الآن. ولكن اعزف لنا موسيقى الفيل! الموسيقى: سأحاول ذلك.

موسيقى المدورة تنبعث خافتة من المؤخرة، ثم ينقطع، ثم يسمع وقع اقدام الفيل كلا، اكثر حقيقة!

يسمع لحن موسيقى واضح يمثل الفيل

وحيد القرن: نعم، هذا هو فيلى. — وبالمناسبة، فأننى لم

أخذه في حوزتى الا لأنه كان لا يزال في مدورتى مكان فارغ واحد قط. وهناك كثير من امثاله كما ان قصته عادية تماما. — ان فيلى متقدم فى السن، كالرجل الذى اخذته منه وهو يقطن في ضاحية مدينتنا . . . . لقد كان ذلك في ذات امسية اضطجع فيها تعباً ناعسا الى جانب زوجته وقد استغرق في نصف اغفائة.

المرأة: بماذا تفكر؟

الرجل: افكر باننى متعب واننى احب ان انام.

المرأة: ولكنك تفكر بشئ آخر ايضا.

الرجل: ليس شيئا معينا.

المرأة (بالم): انك لا تريد ان تفضى لى بالأمر.

الرجل (باسترخاء) وهل من سبب يجعلنى اخفى عليك الأمر؟

المرأة: انك تحلم.

الرجل: ممكن.

المرأة: اننى انتظر اليوم بطوله ان تعود الى المنزل. ولا اجد معنى للقيام بأى عمل بل اننى اجلس الى جانب النافذة واطل افكر بأننى احبك. اذ لا أستطيع ان افكر بأى شئ اخر.

الرجل: هذا امر لم اكن اريده قط.

المرأة: ولكن هذه هى حقيقة الامر.

الرجل: منذ ستة اعوام، عندما تزوجنا . . .

المرأة: . . . لم يكن الامر قد وصل الى هذا الحال بعد.

الرجل: كان الامر محتملا اخف من الآن.

المرأة: صحيح، لقد اصبح الوضع اكثر سوءا. لعل ذلك لأنك لم تعد تحببى.

الرجل: ولكنك تعلمين، ان الحقيقة ليست كذلك.

المرأة: ولكنك لا تقول لى شيئا عما تفكر به. انك ترفض ان تقول لى اى شئ.

الرجل: انا نعان.

المرأة: انت تدعنى دائما وحدى. ولكن اذا لم يعد يحق لى ان اوجد من اجلك، فأننى لن اكون موجودة لنفسى ايضا. انى انظر احيانا فى المرأة فلا أستطيع ان اعرف نفسى. لماذا لا تقول لى شيئا؟

الرجل: اننى بدأت أنام.

المرأة: ولكن لايجوز ان تتركنى وحدى مرة اخرى. يوما بعد يوم وليلة بعد اخرى.



الرجل (يتمتع لنفسه وهو يتجسس طريقة ما بين الارهاق والنوم والحلم.  
— لم يعد يتحدث للمرأة، بل ان صوته يسمع وهو آت من غرفة اخرى)  
الحب دائماً. لم اعد احتمل ذلك. بل يجب ان افكر واعيش  
لنفسى.

المرأة (تمل الى البكاء): الى اين تذهب عندما تنام؟

الرجل (بصوت مازال ينبعث من الغرفة الاخرى): اننى امضى  
الى المروج والغابات الكثيفة والصحارى المترامية. اننى  
استحيل الى ثعلب، الى ذئب، الى فيل. اننى اصرخ.  
صوت صراخ الفيل.

الرجل: الليل يخيم مثاقلاً على منكبي. وناباي بيضاوان.  
وليلي ذو هلالين.

يسمع صوت ريح.  
هذا هو الريح. لقد افتقد اثرها فى المدن. انها ريح الليل،  
ريح الادغال الكثيفة.

اصوات حيوانات ليلية، تتحول وتندمج باصوات مدينة ليلية.

المرأة (من الغرفة الاخرى): انى اضطجع مستيقظة دائماً فى  
الليل. واصغى الى كل صوت. هذه آخر عربة ترام تمر فى  
الطريق. ثلاث ساعات قبل ان تعود العربة الاولى. آه  
لوعلمت فقط الى اين استطيع الذهاب لكى لا اشعر  
بالوحدة!

الرجل (بصوت بعيد): اننى امضى وامضى. وأحس بثقل  
سيقانى الاربعة. انها سيقان فيل ضخمة. انى اجر جسدى  
وهو يتثاقل وانا ادب فى سيرى الى الأمام. انى سعيد هكذا.  
منفرد بنفسى. قوى لا اهاجم. انى احس بقوتى. (بصوت ظافر)  
اننى منفرد بنفسى.

المرأة (بعيدة، يائسة): انى فى غاية الوحدة. اناشدك بالله ان  
تفيق. انتظر حتى أنام انا ايضا. خذنى معك الى المكان  
الذى انت فيه.

الرجل (من بعيد): لما لا تتوقف عن النداء ولا تتركنى وشأنى.  
انها تتدخل فى غابائى وتتغلغل فى صحارى، وفى المروج  
الخصبة لعالمى الآخر.

المرأة (عن بعد): ليس لى اى انسان غيرك.

الرجل (ببطء ولكن من بعد كذلك): لا بد لى من الرجوع.  
لا بد لى من ترك فيلى. فليس لها احد غيرى فى العالم وانا  
لا اعرف احدا غيرها. انى اود ان اكون منصفاً بحق انسان

واحد؛ واحد على الاقل. ولكن أمن الضرورى ان يتم هذا  
فى التو واللحظة؟ حتى فى هذه الليلة —  
المرأة: لقد شاب شعرى.

الرجل (يعود الصوت الى الخروج من الغرفة نفسها ثانية ويصبح طيبياً  
تماماً) موسيقى المدورة.

اننى اعلم ذلك، اذ بدأنا نشيخ.

المرأة: وانت، لا تحببى.

الرجل: اذا كنت احب احدا على الاطلاق، فانى احبك  
انت.

المرأة: انى غيبة اذ اطلب سماع هذا كل مرة. انى آسفة.  
فقد ايقظتك من نومك.

الرجل: لا بأس عليك.

المرأة: ارجوك ان تنام ثانية.

الرجل: كلا سأظل معك — سرعان ما ستمر عربة الترام  
الاولى.

المرأة: ما زال هناك وقت لذلك.

وحيد القرن (يتكلم بصوت اعلى من الموسيقى): ولكنى عدت  
ومهدت صحارى اشواقه وجعلتها ملساء ثانية بحيث اختفت  
آثاره تماماً، ثم اطلقت سراح الفيل من ادغال احلامه  
واخذته معى. وهاهو الآن يقف على مدورتي ويملاً مكانه  
بعينين مغمضتين، لأنه لا يرغب ان يرى شيئاً سوى نفسه.  
موسيقى المدورة تنقطع بعد برهة. ماذا جرى؟

الموسيقى: ان الموسيقى لا تستطيع ان تسوى الخلاف. فقد  
قال الوعل انه لن يجر الزحافة بعد الآن.

وحيد القرن: هذه مشكلة يصعب حلها انه لا توجد صلة  
بين الاثنين، حتى ولا زمام قافلة ممكن قطعه. قل للوعل انه  
ما عليه الا ان ينس الزحافة خلفه. اذ لا علاقة لها به. كما ان  
الوعل لا علاقة له ابدأ بالارض. فهو برج سهاوى متبكر  
حلم به طيار عندما تهشمت طائرته فى احدى الغابات.

الموسيقى: وما هى قصة العنقاء؟

وحيد القرن: هل سمع احد ذلك؟ انه يتصرف وكأنه لا  
يعرف بالامر. مع انه نفسه له علاقة ما بالقصة.

الموسيقى: اننى انسى القصة دائماً، لكى اتمكن من سماعها  
من جديد. فقد كانت أولاً واخراً الحدث الهام الوحيد  
بالفعل فى حياتى.

وحيد القرن: وبناء على ذلك فان العنقاء القابعة فوق



مدورتي هي حلم فتاة صغيرة بالحب. وكانت العنقاء تحترق كل مرة كانت الفتاة فيها تتخلى عن تجربة حب، ثم لا تلبث ان تقوم من جديد في روعة وبهرجة الوان الأمل التي لا تقاوم. وأخيرا فقد تزوجت الفتاة وبذلك سرحت الطائر العنقاء، فقد أصبح الامر شاقا عليها ان تعيش مع حلم. ولم يلاحظ موسيقينا الا أخيرا انه لم يكن مولعا بها وانما بالعنقاء فيها. موسيقى المدورة.

الموسيقى: لا جديد في الامر. فالبوق يتنفس ثم يزفر باصوات مكورة. دعنا من قصة الحب.

وحيد القرن: اذن فلأقص عليك حكاية الزحافة. دق قليلا باجراس ثم املا الجوسكونا بالثلوج. ولاتنس الساعات بدقاتها التي لا تتغير.

تسمع اصوات اجراس زحافة لاتلبث ان ترتفع ببطء الى ان تتلاشى انغام موسيقى المدورة تماما. ثم يسود السكون، دقات ساعات.

لقد عثرت على الزحافة امام دكان ساعاتي. فكانت تنتظر احدا. ثم نظرت من خلال واجهة الدكان فلم اجد شيئا خاصا: امتعة رخيصة، ساعات مطبخ للتنبيه، وساعات بقيمة عشرين وثلاثين ماركا. وساعات مفضضة. وفي وسط كل ذلك كانت ساعة جيدة، قدمة وذهبية مع غطاء يقفز عند الفتح، موضوعة في علبة من القטיפه. والى جانب ذلك كانت هناك سلاسل ساعات واشياء للعليق مع تحف صغيرة بلحب الحظ والفأل الحسن - كل ذلك جمع بعضه فوق البعض الآخر ووضع بغير نظام. وكانت واجهة الدكان مفصولة عن الدكان من الداخل بستارة، ولكنني استطعت ان أرى من خلال الباب ما بداخل الدكان. كانت الساعة السادسة، وقت اغلاق المحلات التجارية. واغلقت صاحبة الدكان صندوق المال وبدأت في ادارة مفاتيح جميع الساعات. وكان لابد لها ان تمط قامتها كلما ارادت ان تسحب سلاسل الساعات ذات العندليب المغرد، التي كانت معلقة على ارتفاع فوق الجدران. كانت المرأة هزيلة القوام ولم تعد تحسب اعوامها. وقد اعتادت على الوحدة والانفراد بحيث كانت تتحدث الى نفسها، وتجيّب نفسها، كما لو كان فيها صوتان مختلفان.

اصوات تعبئة الساعات.

صوت المرأة الاولى (واقعية موضوعية): يوما بعد يوم يتكرر الشيء نفسه.

صوت المرأة الثانية (حالم): ولكن اليوم سينتهي كل ذلك.

الصوت الاول: هذا صحيح، فقد رأيتها كذلك. الزحافة تقف منتظرة على الباب.

الصوت الثاني: الحمد لله أخيرا. فقد انتظرناها مدة طويلة.

الصوت الاول: والآن سنغلق الدكان وندير مفاتيح الساعات لآخر مرة، ونأخذ أسمك معطف للرحلة . . .

الصوت الثاني: واحذية من الفراء.

الصوت الاول: دون امتعة؟

الصوت الثاني: كلا، دون امتعة.

الصوت الاول: ومفتاح البيت؟

الصوت الثاني: نستطيع ان نلقيه في الثلوج. وفي الربيع سيعثر عليه في بصيلة زهور المفاتيح.

الصوت الاول: وهل نأخذ معنا صورا فوتوغرافية؟

الصوت الثاني (جافلا): الجميع؟

الصوت الاول: هل تريدان ان ننسيهم؟

الصوت الثاني: لقد ننسيهم فعلا.

الصوت الاول: والأب كذلك؟

الصوت الثاني: من آثاره تلك الساعة الذهبية القديمة المعروضة في الواجهة والتي لا تباع ابداً.

الصوت الاول: كوني صادقة، اذ لم يحاول احد شراءها قط.

الصوت الثاني: اهكذا تعتقدان؟

الصوت الاول: ثم الرجل الذي تزوجنا، والذي مات في الثلاثين من عمره وخاف لنا دكان الساعات هذا.

الصوت الثاني: وحتى صوره الفوتوغرافية غريبة عني.

الصوت الاول: في ذلك الوقت كنا نقول اننا كنا نحبه.

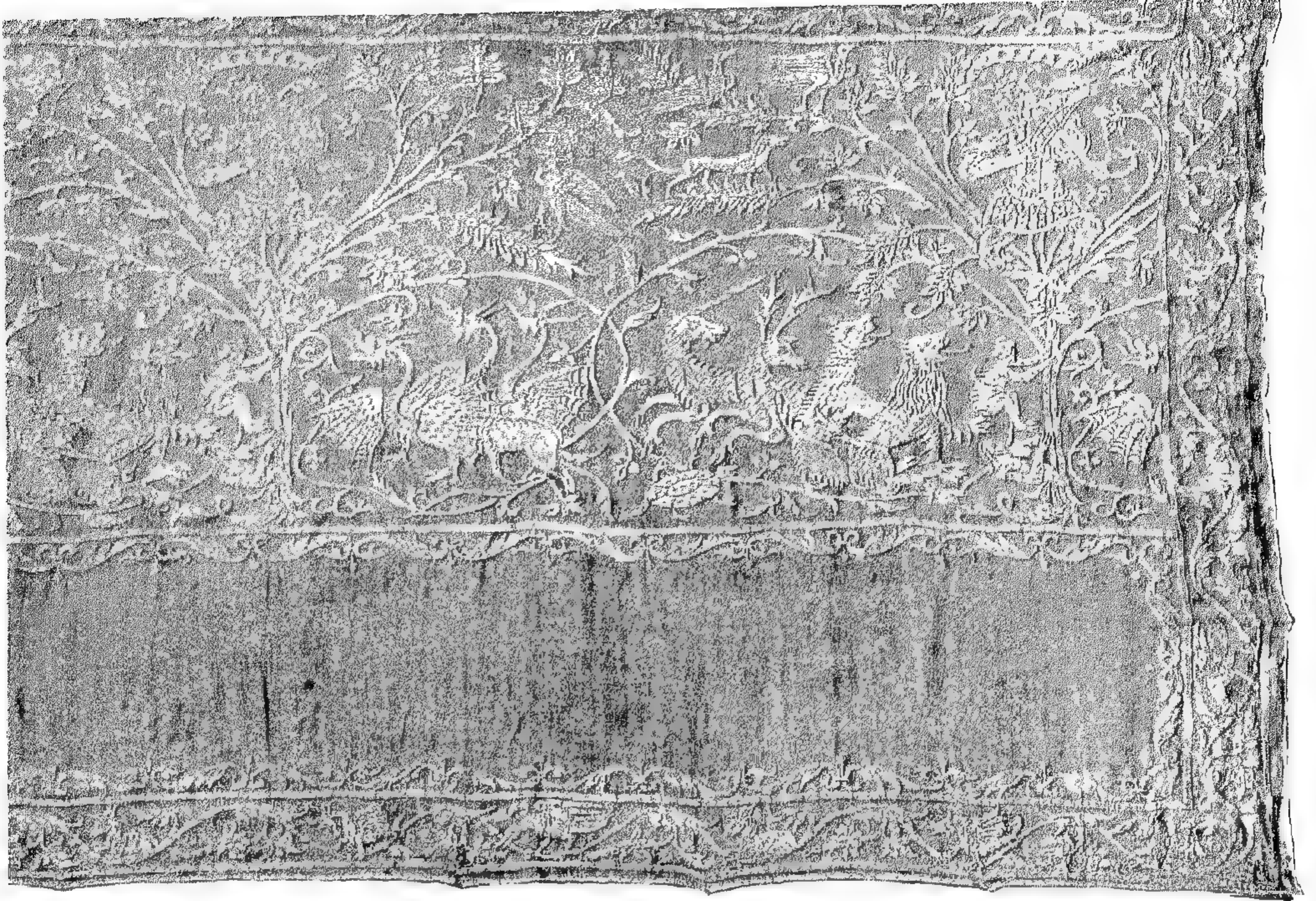
الصوت الثاني: وكان يقول دائما انه سيأتي بـ زحافة تقف على الباب في الساعة السادسة، زحافة تستطيع ان ألحق بها النهار لكي أرى اين تغيب الشمس.

الصوت الاول: والإبن. اني اتذكره افضل من الجميع لانه كان مريضا حيننا طويلا من الزمان.

الصوت الثاني: وكان هو كذلك يقول دائما إنه سيدبرلى زحافة. زحافة اسير بها عبر الاثلام الثلجية، لاخرج بها من المدينة، عبر الحقول.

الصوت الاول: ولكن الزحافة لم تأت قط. فقد كان الابن ضعيفا بحيث لم يكن يستطيع ان يمد يد المساعدة في الدكان.





غطاء مائدة من القطن، مطرز عليه اقصوصة اورفه Orpheus تصيغ الحيوانات كلها الى اصوات ربابه، وبينها ايضا وحيد القرن والفهد والاسد والومل والمنقاء. موطنه شالي المانيا، حوالى عام ١٦٠٠.  
نشكر متحف الفنون والصناعات Museum für Kunst und Gewerbe في مدينة هامبورج لتصريحها بنشر هذا التصوير.

**الصوت الاول:** في الايام الاولى لن يهتم احد لاغلاق الدكان. ولكن بعد ذلك يلاحظ الناس الأمر ويعجبون

**الصوت الثانى:** هيا بنا، فالزحافة فى انتظارنا.

**الصوت الاول:** الانستطيع ان ندع لأنفسها بعض الوقت، بعد ان انتظرنا كل هذه المدة؟

**الصوت الثانى:** ولكن دعينا، فقد فاتنا الوقت كثيرا. رنين باب الدكان.

**رجل شاب:** مساء الخير. انى اود ان اشترى الساعة.

**الصوت الاول:** اية ساعة؟

**الرجل:** الساعة الذهبية ذات الغطاء القفاز — تلك المعروضة فى الواجهة.

**المرأة:** ولكنها غالية جدا.

**الرجل:** هذا لايمهم. فهى تعجبني.

**المرأة:** لا اعرف أكان بيعها ممكنا، فهى تذكّر من والدى.

**الرجل:** ولكن اذا كانت معروضة فى الواجهة ...

حتى ان تعبئة الساعات فى المساء كان أمرا شاقا بالنسبة له. ثم مات واصبحنا وحدنا.

**الصوت الثانى:** ولكن ظل الامل باقيا فى الحصول على الزحافة التى تنتظر امام الباب، الزحافة ذات الاجراس ...  
**الصوت الاول:** والآن ها قد جاءت أخيرا..

اجراس زحافة

هيا بنا لقد تخطت الساعة السادسة، واذا لم نذهب الآن — فقد لا تنتظر الزحافة اكثر من ذلك.

**الصوت الثانى:** لا بد اننى نسيت شيئا ما.

**الصوت الاول:** هذا جائز. ولكن الوقت قد فات الآن. فلا تفكرى بذلك بعد.

**الصوت الثانى:** دعينا نخرج. افتحى خريطة صمتنا. فرحافتنا ستنزلق فوقها، وستسير منطلقة من الشارع الكبير الى بحر البلطيق، حيث كنا نلعب عندما كنا طفلة صغيرة...  
**الصوت الاول:** غدا لن نكون هنا.

**الصوت الثانى:** ان الثلج اذا استطاع المرء ان يسمعه وهو يتساقط يشبه فى صوته دقات الساعات.



المرأة: انى لا أود التخلي عنها. والآن ارجوك ان تدعنى اذهب، فهناك من ينتظرنى.

الرجل: ولكن الساعة. انى شديد الرغبة فى الحصول عليها..

المرأة: لا أستطيع ان استغنى عنها. فهى تذكرك موروث انها الشئ الوحيد الذى أملكه. هل فهمت؟

تسمع اجراس الزحافة وهى ترن، ثم تأخذ فى الابتعاد.

هل تسمع صوت الزحافة؟

الرجل: كلا، لا اسمع شيئا.

المرأة: لقد كانت تنتظر هناك من اجلى. والآن ذهبت فى سبيلها.

الرجل: قولى أخيرا ما هو السر.

المرأة: ليس هناك من سر.

وحيد القرن (بحنان): ثم ذهبت المرأة مسرعة الى الباب

و خرجت الى الشارع، وهى ملتفة بمعطف أسود، عارية

الرأس، ولكن مرتدية حذاء عاليا من الفراء. وارتجفت

قليلا - من فرط اضطرابها. . . . ولم تعد ترى الزحافة.

وراحت تصيح بسمعها. ولكن حتى رنين الاجراس لم

يعد يسمع. وهنا عادت ثانية واغلق الدكان خلف الرجل

الشاب. اما الساعة فلم تبعها. واطفأت النور وظلت جالسة

فى الظلام وراحت تخاطب نفسها مستمتعة بأن الزحافة قد

انتظرت ذات يوم على بابها. ولم يكن معها أنما لم تعد تملك

القوة على مغادرة بيتها. لا بل انها كانت راضية تماما ان

الزحافة مضت مبتعدة فى سبيلها، لأنها كانت مشغولة. لقد عادت الحياة واصبحت مهمة بالنسبة لها - والى جانب ذلك: الأمل الجديد فى ان تجيء الزحافة ذات يوم.

صوت موسيقى المدورة ينبعث، ثم ينقطع فيما بعد.

لماذا لا تستمر فى العزف؟

الموسيقى: لقد استيقظ حارس المنتزه. فقد ايقظه ريح المساء.

وحيد القرن: وماذا حل بالعنقاء؟

الموسيقى (جافلا): لقد طارت من الريح.

وحيد القرن: لقد عرفت أنه سيتوقف ذات يوم عن

الاشتراك فى لعبتى. اذن فلندهب ونبحث عن حيوان آخر

لمدورتى.

الموسيقى: لقد نهض حارس المنتزه عن مقعده.

وحيد القرن: فلندع له كل ماتراه عيناه. ان المدورة تقف

جامدة كما لو اصابها مس.

الموسيقى: الوعل يخفض قرنه ويبدو كأنه يجر الزحافة.

وحيد القرن: انها مدورة من طرز قديم حقا. ولكن

الاطفال يحبونها عندما يجئون يوم الاحد الى الحديقة

الاسبانية.

ينخفض الصوت المنتزج بضجة اطفال مرحين وموسيقى مدورة.

ترجمة: محمد على حشيشو

بساط منسوج عليه حيوانات خرافية يقودها الامراء والاميرات. مصنوع فى بازل اثناء الربع الثانى من القرن الخامس عشر. (المتحف التاريخى لمدينة بازل).  
نقدم شكرنا لادارة المتحف لتصريحها لنا بنشر هذه اللوحة.





# ورقة من تاريخ الاستشراق في النمسا :

## يوسف فون هامر-بورجستال

بقلم انا ماري شميل

كان وضع الدراسات الشرقية في المانيا وسائر بلاد اوروبا غير مرض الى اواخر القرن الثامن عشر ، اذ لم يكن العلماء يعتبرون دراسة العربية الا امتدادا للدراسة العبرانية واللاهوت لاغير. وقد حاولنا ان نرى في وصف حياة الاستاذ يوهان يعقوب رايكسه Reiske الذى نشه ناه في النسخة الرابعة من هذه المجلة المشكلات التى اعترضت من اراد تحرير الاستشراق من قيود علم اللاهوت.

اما وضع الاستشراق في النمسا فيختلف عنه في سائر بلدان الغرب. كانت هذه المملكة الواسعة مجاورة الدولة العثمانية، وقد حاصر الجنود الاتراك مدينة فينا مرتين، سنة ١٥٢٩ وسنة ١٦٨٣. ولذلك وجب على النمساويين الاهتمام بعادات جيرانهم الأقوياء وبطرق حياتهم، وكذلك بلغتهم. فحفرت حروف عربية في خشب لاجل الطبع لأول مرة في سنة ١٥٥٤ في فينا، وبعد قرن واحد أسس في تلك المدينة كرسي للدراسات الشرقية، والى الاستاذ مينسكى Meninski كتاب النحو التركى وقاموساً تركياً نشره سنة ١٦٨٠، وما يثير الاسف ان اكثر نسخ هذا القاموس المفيد قد ضاعت في اثناء محاصرة فينا عام ١٦٨٣، كما ضاعت الحروف العربية التى ابتدعها مينسكى؛ ثم عثر على هذه الحروف العربية المفقودة مرة اخرى في سنة ١٧٥٠، وحسنت شكلاً حتى صارت الآن اقرب الى قواعد الخط العربى. وقد طبع القاموس التركى المذكور للمرة الثانية سنة ١٧٧١ في فينا.

وقد ادركت الامبراطورة ماريا تيريزيا (١٧١٧—١٧٨٠) الكبرة اهمية الدراسات الشرقية، فأسست لذلك دارا للعلوم خصصت لطلبة اللغات الشرقية الذين عزموا على دخول السلك الدبلوماسى. وكان نظام هذه المؤسسة المسماة بالأكاديمية الشرقية Orientalische Akademie صارماً جداً، فكانت الدراسة تبدأ في الساعة السادسة صباحاً وتستمر الى الساعة التاسعة في الليل. وكان على الطلبة ان يدرسوا اللغات الشرقية كل يوم لثلاث ساعات، وعلاوة على ذلك كانوا يتعلمون الفلسفة والتاريخ واللغة الفرنسية والفراسة والرقص وكل ما كان ينتظر من صفات في شاب اصيل سيكون ممثلاً لمملكته في البلاد الاجنبية. وكانت مدة الدراسة خمس سنوات، وكان الشبان يتعلمون فيها التركية بصورة جيدة دون ان يحصلوا على تعمق في فقه اللغة او في الطرق العلمية، بل كان مقصد هذا المعهد التطبيق الفعلى للغات في المناسبات السياسية بين النمسا والدولة العثمانية. وكان الطلاب يدرسون قليلاً من الشعر ويترجمون شيئاً من الادب الفارسى كما نرى اثار هذه الاعمال الادبية في مجموعة اهداها اعضاء الاكاديمية الى الامبراطورة سنة ١٧٧٨.

وكان احد طلبة المعهد المذكور يوسف هامر Joseph Hammer الذى مدحه العالم الكبير الالماني ي. ج. هرر J. G. Herder (١٧٤٤—١٨٠٣) وهو احد اصدقاء جويته وكان يحب الادب الشرقى وان لم يتعلم اللغات الشرقية، وقال فيه: «ليت شعري ان تزهركل الآمال التى تنتظرها من المشرق في اثار هذا الشاب ذى المواهب والامام باللغات!»

توجد عناوين تصانيف هامر كلها في:

K. Goedeke, Grundriß der deutschen Literatur VII, 2, S. 747—770.

توجد ذكريات يوسف هامر في كتاب:

J. von Hammer-Purgstall, Erinnerungen aus meinem Leben. Bachofen-Echt, Wien 1940.



وفي اثناء اقامته في استانبول اهتم هامر اولا بحكايات الف ليلة وليلة التي كان قد ترجمها جالان Galland الى الفرنسية في اوائل القرن الثامن عشر (ونشر هو ايضا فيما بعد ترجمة فرنسية لهذه الحكايات)؛ ثم اهتم بحكاية عنتر، وما جذب قلبه اكثر من ذلك هو اشعار الحافظ الشيرازي التي أنشدها له درويش ايراني. ومن ذلك الوقت عزم على ترجمة كاملة لديوان الحافظ واخذ باعدادها.

نقل هامر من استانبول الى مصر سنة ١٨٠٠ واقام بها لمدة عامين، ثم سافر الى انكلترا ورجع الى استانبول كاتبا للسفارة واشتغل هناك بالتأريخ والجغرافية وقام بتصميم «تأريخ الدولة العثمانية» الذي اصبح، بعد ثلاثين سنة، مؤلفه الاشهر. ولكن الحكومة النمساوية ارسلته بعد مدة الى ولاية مولدافيا عقابا له على بعض الخلافات التي جرت بينه وبين امرائه، وعاد سريعا الى فينا حيث أسس بموافقة الكونت رزووسكي Rzewuski مجلة «معادن الشرق» Fundgruben des Orients؛ ثم عين مترجما رسميا للحكومة النمساوية سنة ١٨١١، وانعمت عليه الحكومة بمنصب مستشار البلاط سنة ١٨١٨. وما زال هامر يكتب كتابا بعد كتاب، ومقالة بعد مقالة، وترجمة بعد ترجمة، وكلما زاد اجتهادا زاد كذلك في عدم الاعتناء.. سعى هامر في تأسيس اكاديمية العلوم في فينا ووفق في ذلك سنة ١٨٤٧ بعد اجاث دامت ١١ سنة، وصار الرئيس الاول لهذه المؤسسة العلمية، ولم يبق في هذا المنصب الا عامين. وتوفي فجأة في سنة ١٨٥٦، وهو في الثالثة و الثمانين من عمره، وكان يشتغل حينئذ بتأريخ الادب العربي، وقيل ان سبب وفاته سكتة القلب لشدة الحزن الذي اصابه عند سماعه خبر قطع تبادل المخطوطات العربية بين المكتبتين في فينا و باريس...

فما الذي يمتاز به هذا العالم العامل الذي انقسم العلماء عند الحكم فيه قسمين؛ فمنهم من مدحه غاية المدح، كما فعل ذلك كثير من زملائه النمساويين مدعين انه كان «فخر الغرب؛ الفاتح الكبير الروحاني للشرق، مشعل العلم ومنارته، قطب الاجيال القادمة...». ومنهم من نقده أشد النقد، مدعيا ان علمه بالعربية قليل وتفآخره وطموحه اكبر بكثير من تعمقه في العلوم. كان على رأس هذه الفئة الاخيرة الاستاذ فون ديتس von Diez، احد اصدقاء شاعرنا جويتته، والف رسالة خاصة في جهالة هامر وسوء اخلاقه، غيره فيها بانه «عديم المعرفة كليا بجميع اللغات وبانه يجهل التعابير والمواضيع جهلا لا سبيل الى التغلب عليه» واتهمه «بانه ذو اخلاق سفية لا توصف ووقاحة لاحد لها ولا



صورة يوسف فون هامر في سنة ١٨١٧.

ولد هامر في عين السنة التي توفي فيها الاستاذ الالماني للغة العربية رايسكه المقدم ذكره، اي سنة ١٧٧٤، في مدينة جراتس Graz في النمسا الجنوبية (وما أطلق عليه لقب الاصاله «فون هامر» الا بعد سنة ١٨١١، ثم اضاف الى اسمه لقب «بورجستال» بانتسابه الى الكونتس بورجستال التي توفيت بدون اولاد وسمحت له بهذا الانتساب، فصار يوسف فون هامر-بورجستال Joseph von Hammer-Purgstall واشهر بهذا الاسم). وكان والده مأمور الحكومة النمساوية، ولما وجد في ابنه استعدادا لتحصيل اللغات الشرقية ارسله الى المعهد الشرقي في فينا حيث تعلم اللغات واشتغل في المكتبة لمدة عشر سنوات الى ان بعثت به الحكومة الى السفارة النمساوية في استانبول عام ١٧٩٩. وكان يتكلم التركية دون صعوبة ويجيد من العربية ما يكفي للمكاملة، اما الفارسية فكان يجيدها اجادة حسنة حتى انه حادث سفراء الشاه الايراني عند زيارتهم فينا سنة ١٨١٩. وكانت علاقته بالادب والتاريخ اكبر منها بقواعد النحو، ومن عاداته انه كان يطالع القاموس بلا انقطاع ليتعلم كثيرا من الكلمات في اسرع وقت ممكن؛ وكان يظن ان هذه الطريقة لا بد منها لكل من اراد معرفة كاملة للغة ما. وكان هامر مشغوبا بالادب الشرقي، ولم يزل طول حياته يسعى في نشر حب الشرق في اوروبا كما انه الف في شبابه قصيدة في اهمية الاشتغال بالادب الشرقي.



*Steuern vorder von Jobst*

*als Merkmal*

*zurück Nachhaken*

*von Vorfass*

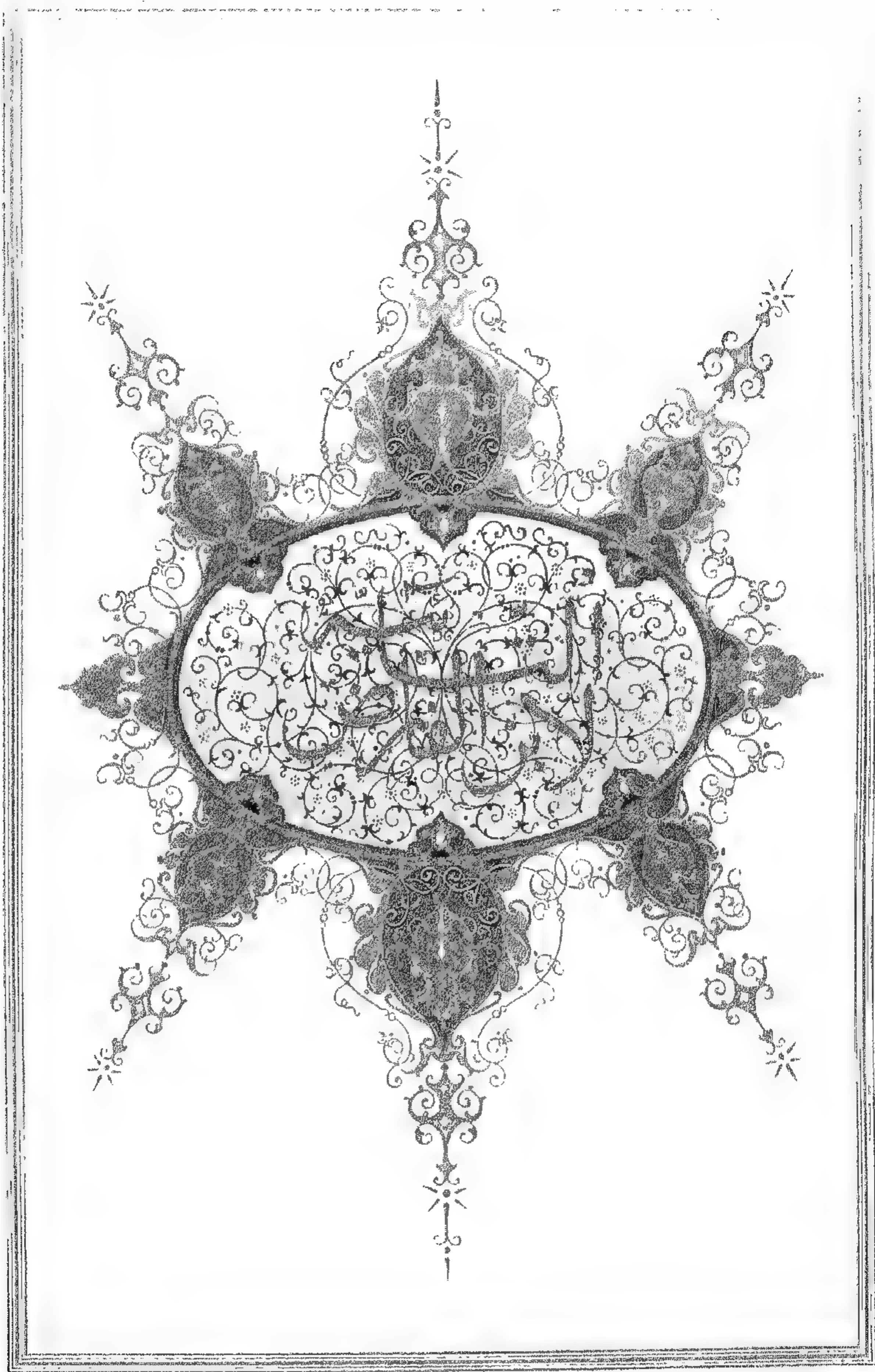
*den 10 März 1842*

اهداء بخط يوسف هامر.

والآن، ماهي هذه المؤلفات التي اشتهر بها هامر، وما هو الطريق الذي سلكه في اعماله العلمية والادبية؟  
نشر هامر في اواخر حياته رسالة «في خواتم العرب والعجم والأتراك» ذكر فيها ثلاثة خواتم له، مكتوب على احدها «عبد السباح السامر يوسف هامر» وظن انه في الحقيقة سامر، يحب المسامرة والحكايات الطويلة في اجتماع الرجال والشيوخ، ويشبه اثره الادبي من جانب مسامرة كثيرة المواضيع مزهرة الاسلوب، مزينة بابيات واشعار، ذاكرة للحوادث والامور ووقائع الدهور في دار الاسلام كلها، من التاريخ والفنون والتصوف والجغرافية وغيرها. وكان في اسلوبه - وخاصة في اواسط حياته - مقلدا للاسلوب الشرقي المزين بالسجع والتلاعب بالكلم، كثير التشبيهات والرموز لأن المؤلف قصد مواصلة بين التذكر الشرقي والتفكير الغربي، بين الروح الشرقية والعقل الغربي؛ وكانت جمل اثاره مطرزة بانواع الاسلوب الخطابي حتى انه ليصعب على القارئ الغربي ادراك معناها البسيط...  
لما رجع هامر من استانبول الى فينا سنة ١٨٠٧ ناشد صديقا له، الكونت رزووسكي Rzewuski (١٧٦٥-١٨٣٢) تأسيس «مجلة استشرافية» مشتملة على مقالات حول العلوم الشرقية واخبار عن احوال بلدان الشرق. ووفق في ذلك الاقتراح فسمى المجلة الجديدة «معادن الشرق»

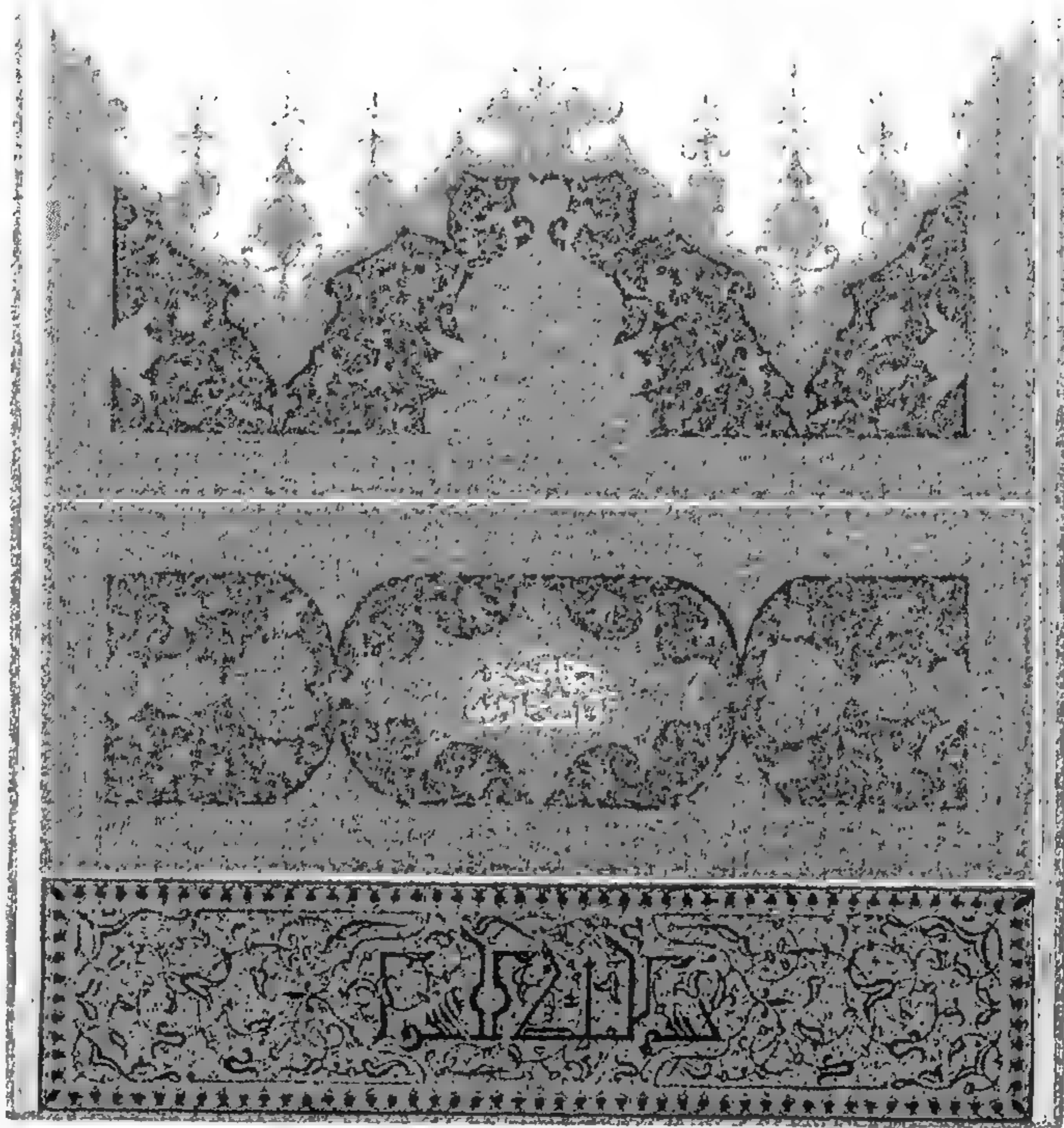
نهاية...» ولا فائدة لهذه الكلمات الا في التعبير عن اخلاق الكاتب نفسه.  
ولاشك ان هامر لم يكن عالما بحتا بمعنى الكلمة، وان كان قد الف اكثر من ٧٥ كتابا، بعضها ضخما جدا، ومئات من المقالات والتراجم. ويندر ان نرى في تأريخ الاستشراق مثله: ذو افكار عالية وهمة جلية، وفي الوقت نفسه ذو غيره وطموح شديدين، الف من الآثار ما لم يؤلف غيره قط، ومع ذلك فهو يفتقر الى الطريقة العلمية في البحث؛ وقد جمع من الكتب واطلع من الاشعار على ما لم يطلع عليه احد قبله وربما بعده، ومع ذلك فانه لم يبق من مؤلفاته ما هو معروف في تأريخ الاستشراق الا القليل؛ وقد حصل على معلومات يصعب على العالم العصري الحصول عليها، ولذلك لا بد من مطالعة بعض مؤلفاته حتى الآن وان لم نجد في مئات الصفحات الا خبرا او خبرين مهمين. ومع ان تأثيره في تأريخ الاستشراق العلمي قليل لا يزيد على ما تأثيره كتبه بين الفقهاء في اللغة لرد غلطاته، إلا ان تأثيره في تأريخ الادب الالماني عظيم، فقد صار استاذ الشاعر الكبير جويته كما تعلم من آثاره الشاعر المستشرق ريوكرت Rückert (١٧٨٨-١٨٦٦) والشاعر الظريف كونت بلاتن Graf Platen (١٧٩٦-١٨٣٥). وما اسعد من يسمى استاذا ومعلما روحانيا لشعراء وطنه وادبائه!





الصحيفة الأولى للتائية الكبرى لعمر بن الفارض نشرها هامر مع ترجمته المنظومة سنة ١٨٥٤ في فينا.





سَقَتْنِي حَيَاً أَحَبُّ رَاةً مَقَلَّتِي      وَكَلَسِي نَحْيَاً مِنْ مِّنْ أَحْسَنِ جَلَّتِ  
 فَأَوْتَمْتُ صَعْبِي أَنَّ شَرِبَ شَرَابِهِمْ      بِرَسِّ سِيرِي فِي أَتَشْتَنِي بِنَظَرِي  
 وَبِأَحْمَدِي اسْتَغْنَيْتُ مِنْ قَدَحِي دَمِينِ      شَمَائِلَهَا لَا مِنْ شَمُولِي نَشْوِي  
 نَفِي حَانَ شُكْرِي حَانَ شُكْرِي لِفَتْنِي      بِهِمْ ثُمَّ لِي كَتَمْتُ أَلْهَوِي مَعَ شَرْتِي  
 وَلَا أَتَقْضَى صَعْبِي تَقَاضِيَتْ وَصَالَهَا      وَلَمْ يَغْشَنِي فِي بَطْنِهَا قَبْضُ خَشْيَةٍ

Das arabische hohe Lied der Liebe, das ist Ibn al Faridh's Taijet in Text und Übersetzung. Zum ersten Male zur ersten Säkularfeier der K.u.K. Orientalischen Akademie herausgegeben. Wien 1854.



Fundgruben des Orients مشيراً الى انها ستحتوى على ذهب المعلومات التاريخية القيمة وجواهر الادب، واختار شعاراً لها الآية القرآنية:

«قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم». نشرت هذه المجلة بين السنتين ١٨٠٩ و ١٨١٧، وكان هامر مديراً الفخرى وكان يؤلف مع ذلك نحو سدس المقالات بنفسه، ونفهم من المحاضرة التي القاها في ١ شباط ١٨٥٥ عندما نصب هيكله في الاكاديمية النمساوية انه افتخر بهذه المجلة وادارته لها اكثر من افتخاره بسائر تأليفه. وفي الواقع يجد القارئ فيها مقالات حول مسائل مختلفة ومواضيع ذات اهمية، مكتوبة باقلام المستشرقين المشهورين في اوروبا كلها، ومنهم العالم الشهير الفرنسي سيلفستر ده ساسي Sylvestre de Sacy الذي يعتبر الى الآن مؤسس الاستشراق العلمى وفقه اللغة العربية في الغرب وهو استاذ اجيال من البحات في القرن التاسع عشر؛ كتب في «معادن الشرق» مقالة عن الكتاب الفارسي المعروف بيندنامه (كتاب النصيحة) لفريد الدين عطار الشاعر المتصوف (المتوفى عام ١٢٢٠ عند هجوم اجناد جنكز خان على مدينة نيشابور). نجد ايضا للعلامة الفرنسي ترجمة لقصيدة الأعشاء المشهورة «ودع هريرة». اما زملاء سيلفستر ده ساسي الفرنسيون فألف كاترمير Quatremère المؤرخ الواسع الصيت مقالات في مسائل تاريخ الاسلام، ونشر جرانجره ده لاجرانج Grangeret de Lagrange متوناً وتراجم لاشعار الصفدى والمتنى وايضا لمقامة من مقامات الحريري. وهناك مقالة عالم اسباني اسمه ي.ا. كونده Conde عن ابن خلدون وفلسفته، ومن الطبيعي ان عدد المستشرقين النمساويين في هذه المجلة فاق عدد غيرهم، ونشر هناك شاب ذو موهبة شاعرية وهو روزنتسوايج - شوانساو Rosenzweig-Schwannau (١٧٩١-١٨٦٥) لأول مرة ترجمة منظومة لبعض ابواب الاقصوصة المشهورة «يوسف وزليخا» للشاعر الفارسي مولانا عبدالرحمن جامي (المتوفى سنة ١٤٩٥) وصار هذا المستشرق فيما بعد من اشهر مترجمي الادب الفارسي في اوروبا. وقد ود هذا النسل الرومانتيكي من المستشرقين الترجمة الشعرية للآداب الشرقية حتى وان لم يفهموا معنى الشعر العربي والفارسي بتمامه اوقصروا عن تحليله على قواعد النحو.

وعدا التراجم والمقالات عن مسائل الادب جمع هامر في «معادن الشرق» معلومات تاريخية، مثلاً عن حياة البخارى كما وصفها ابن خلكان في وفيات الاعيان، او عن اسماء

النجوم عند العرب للمتخصص في هذا المضمار، الاستاذ ايدر Ideler الذي كان قد الف في مجلة هامر مقالة اخرى في طرق تأريخ العرب والعجم وتقاويمهم فأصبحت المجلة ميدان مشترك للمستشرقين من المانيا وروسيا، من فرنسا واسكندينايا؛ ولم يكتف هامر بنشر مقالات علمية فحسب بل زاد عليها ما سماه «مكاتبة من الشرق» وهي مشتملة على رسائل من علماء وبخاتين اوروبيين يسافرون في الشرق منهم اولرش ياسير سيتسن U.J. Scetzen الذي عاش في مصر وقام بالحج في زى عربى ثم سافر الى اليمن للحصول على معلومات علمية عن تأريخ اليمن القديم وقتل هناك؛ وارسل بعض اعضاء السفارات الاوروبية في سوريا والعراق باخبار مهمة سواء عن حركة الوهابية ام عن بعض الحفريات في بابل، عن تربية الخيول العربية ام عن مخطوطات عثروا عليها. وكان هامر يترجم ايضاً مقالات واشعار وتوقيعات صادرة من ملوك العرب والعجم في ايامه، وجلب دقة المستشرقين الى محصولات اقلام الادباء المعاصرين في الشرق الادنى، كما قال الاستاذ فيوك في كتابه عن تاريخ الاستشراق في اوروبا:

«علق هامر على هذه المراسلة اهمية كبرى خاصة لأنه لم يكن قد تعرف من قبل على وجهة النظر في علم التاريخ التي لا ترى الا في ما مضى موضوعاً يليق بالبحث الجدى. وكانت نظرتة هو الى حياة الشرق الغزيرة نظرة شاملة تأخذ بعين الاعتبار جميع الحوادث من العصور الغابرة حتى حاضر زمانه، ولم يكن يتردد في الاستماع الى آراء معاصريه الشرقيين».

ولم يدخل هامر في هذه المجلة علم اللاهوت ولا الابحاث اللاهوتية واقتصر على اللغات الثلاث المهمة في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والتركية الا انه ذكر شيئاً من الادب الهندوستاني، ولكنه لم يحب الفلسفة الهندية التي كانت رائجة في ذلك الوقت عند الفلاسفة الالمان الذين كانوا يعتبرونها اشرف فلسفة واعلى افادة لاشتياق الروح الانسانية، ويعتبرون الهندوستان وطناً لكل ماهو جميل وجليل، فهجا هامر هذه الطائفة احياناً في رسائله.

وكان شاعرنا الكبير جويته يستفيد كثيراً من «معادن الشرق» وذكرها في حواشي ديوانه الغربى - الشرقى شاكرامديرها وهو يقول:

«إن كتيبى في جميع فصوله يبرهن الى اى حد انا مدين لهذا الرجل المبجل... كان قد وصل الى علمى منذ بضع سنوات نشاط حركة العمل المتزايد في «معادن الشرق». ولكن الوقت قد حان الآن فقط الذى اهلى للحصول على



فوائد منها. إن هذه المجلة اشارت الى عدة جهات فقد اظهرت للعصر احتياجاته فأصر بتسديد هذه الاحتياجات وجعلنى اومن بصدق اختبارانى من اننا نحصل فى كل موضوع على مساعدة قيمة من معاصرنا إذا استطعنا ان نستفيد من فضائلهم ونظهر لهم شكرنا وامتناننا. هناك رجال ذوو معرفة واسعة يلقنونا دروسا عن الماضى ويوضحون لنا الموقف الذى وصلنا اليه فى حاضرتنا والذى يكون مسرح اعمالنا ويومنون الى الأمام مشيرين الى الطريق الاقرب الذى يجب علينا ان نسلكه. انه لمن حسن الحظ ان التصنيف البارع المذكور يجد تتمته بالمجهود ذاته ومع اننا نجرى بحثنا فى هذا المضمار ناظرين الى الخلف فأنا نرجع دائماً وبكل سرور وعطف الى كل ما يقدم لنا هنا من جميع الجهات بشكل منعش يانع ومفيد».

وبعد ذلك اشترك هامر ايضا بمنتهى النشاط فى تحرير مجلة اخرى اسمها Wiener Jahrbücher für Literatur نشر فى كل من مجلداتها المائة والخمس والعشرين مقالة أو نقدا أو أكثر من ذلك، وكتب «مقالات فى كل ما كان يثير الاهتمام فى مضمار الادب العربى والفارسى والتركى والصينى والسنسكريتى والى ألف تقييمات ومراجعات بجميع كتب السياحة التى كانت تحتوى على اخبار مغلستان وآسيا ومصر وسوريا مما ألف فى هذا القرن وما كتب بوجه عام عن الهندوستان وكشمير وافغانستان» وفضلا عن هذه الرسائل فى الكتب الجديدة التى يطول بعضها الى الغاية نشر هامر فى هذه المجلة ملاحظات واسعة فى كتب شرقية، او فى مقارنة كلمات فارسية والمانيّة، او ترجمة مديح بعثت به الحكومة العثمانية اليه، وما يشبه ذلك.

وان كان جويته قد مدح «معادن الشرق» فهو قد استحسن ايضا اقصوصة لها نشرت سنة ١٨٠٩ استنادا الى مصادر فارسية وتركية وهى حكاية «فرهاد وشيرين» التى نظم فيها شعراء العجم اشعار غير معدودة.

اما الكتاب الذى خلد اسم هامر وتوج اعماله فى حيز الادب الشرقى فهو ترجمته الالمانيّة لديوان الحافظ الشيرازى، وقد مضى ذكر اطلاعه الاول على اشعار هذا الشاعر العظيم فى اثناء اقامته فى القسطنطينية. وترجم هذا الكتاب مستفيدا من حواشى السورى التركى الذى يعتبر احسن شارح لاشعار الحافظ وكمل الطبع بعد اجتهاد اربع عشرة سنة (وقال فى مقدمة الكتاب انه اتمه فى «مرتى سبع سنوات» لانه احب رقم السبعة واللعب بالارقام حتى انه ألف مقالة فى المجلة الادبية المذكورة فى اهمية السبعة عند اهل الغرب

والشرق ولاشك ان موضوع «الرقم المقدس» مهم جدا فى تأريخ الاديان) ولم تكن ترجمة هامر للحافظ اول ترجمة لهذا الشاعر فى لسان غريب وان كانت الترجمة الاولى التامة. فقد نشر منيسكى النمساوى سنة ١٦٨٠ غزلا للحافظ مع ترجمته اللاتينية، وكذلك هايد Hyde الانكليزى سنة ١٧٦٨، وترجم العالم النمساوى رويتسكى ١٦ غزلا له الى اللاتينية عام ١٧٧١، ولفت المستشرق الكبير الانكليزى W. Jones اهتمام اهل الغرب الى هذه الاشعار فى كتابه المسمى Poescos asiaticae commentarium libri sex الذى نشر فى ١٧٧٨، واستنادا الى اشغال جونز الذى كان حاكما فى كالكوتا طبع ديوان الحافظ فى هذه المدينة سنة ١٧٩١ وهو من اول الكتب التى اهتم الانكليز بطبعها فى الهند. اما المستشرقون النمساويون فاستندوا الى التقاليد العثمانية فى شرح الحافظ وسائر الشعراء الايرانيين ولم يظن هامر الحافظ «متصوفا كاملا» لا يغنى الا عن العشق الالهى مستعملا رموز العشق المجازى. وقال مشيرا الى القاب الشاعر «شمس الدين» و «لسان الغيب»:

«لانه لم يكن هاديا مضيقا للدين، ولم يترجم لسانه الا كلمات الشهوة، لا اسرار العشق الالهى». واصر على رأيه هذا بيدان رئيس المستشرقين سيلفستر ده ساسى الفرنسى كان قد قبل الحافظ متصوفا بحثا كل كلامه اشارات ورموز. اما جويته فألف بين الرأىين المتضادين لانه كان يعرف ان لكل كلمة معنى رمزيا يشير الى حقيقة اعلى منها ولا يمكن التفريق بين العشق المجازى والعشق الحقيقى، او بين الشراب المادى والخمر المعنوية فى اشعار هذا الشاعر كما قيل «المجاز قنطرة الحقيقة» وفهم جويته هذه الوحدة الروحانية بين المعنيين وان كان يميل الى ايضاحات هامر دون تفسيره ساسى و المتصوفين.

وكانت ترجمة هامر فى شكل منظوم غير مصقول ومع انها لا تعكس الظرافة واللطافة اللتين امتازت بهما غزليات الحافظ إلا اننا نعتقد انها احسن من بعض التراجم الشعرية التى نشرت فيما بعد تحت اسم الشاعر الفارسى بأقلام شعراء المان لاعلم لهم باللغة الفارسية ولا معرفة بطرز الادب الشرقى على الاطلاق اتخذوا منه افادات العشق والشهوة واللهو ومدح الخمر فقط. ولما حصل جويته على ترجمة هامر قرأها مراراً ووجد فى الحافظ «اخا روحانيا» له والهمه هذا الكتاب بتأليف ديوانه الغربى - الشرقى الذى يشتمل على كثير من الافكار الشرقية. وافاد ريوكرت Rückert



١ اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس  
من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور  
الناس من الجنة والناس

٢ اللهم ائني اعوذ بك من شر ما يلج في الليل  
من شر ما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح  
٣ اعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من

شر ما انت نافذ بناصيته  
٤ اعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن  
بر ولا فاجر من شر ما نزل من السماء والارض  
من شر نفن الليل والنهار

٥ ائني اعوذ بك من شر الالهة والصغير  
الفا والفعال الداء وغيبة الرجاء زوال النعمة ونجاة  
القيمة

٦ اعوذ بك من شر كل جبار عنيد و شيطان  
مريد و شر كل ضعيف من خلقك و شديد و من  
شر الشامة والهاثة واللامة والأكامة والعمامة ومن

من كتاب: ميقات الصلاة، سنة ١٨٤٢.

الشاعر المستشرق الكبير عن استفادة جويته من ترجمة  
هامر لديوان الحافظ قائلا للعالم النمساوي:  
«إن اكثارك من التأليف يجعلكم لا تتمكنون من تذكر  
كل ما كتبتم. فاعلمكم لم تدركوا عند مطالعة كتاب جويته كم  
من السطور والمصاريح قد اقتبسها هذا الشيخ عن كتابكم  
«الحافظ» كلمة بكلمة...»

أما هامر فلم يعجبه طريقة جويته في تغريبه للحافظ وطعن  
على الشاعر لاجل اشعاره الجديدة في الطرز الغربي -  
الشرقي، وفضل على ديوان جويته الاشعار التي غناها  
شاعران المانيان اخران، احدهما ريوكرت المذكور واخرهما  
الكونت بلاتن، لان ريوكرت العبقري حفظ الاسلوب  
الشرقي بتمامه حتى انه كان يطبق لأول مرة في تأريخ  
الادب الالماني شكل الغزل فقلده صديقه بلاتن في هذا  
الاسلوب البديع وعرفا بذلك عامة القراء في المانيا على  
اسم الحافظ الشيرازي والاسلوب الشعري الشرقي.

وعندما رأى هامر ثمار ترجمته هذه للشاعر الفارسي في

الادب الالماني اخذ في ترجمة ديوان المتنبي الذي اعتبره  
الشاعر الاكبر للعرب، ونشر هذا الكتاب بعد ديوان  
الحافظ بسنوات عشر راجيا منه عين النتيجة الحسنة وقال:  
«نعم المترجم إذا اصاب نجاحا وتمكن بواسطة عمله (كما  
توفق هو بواسطة ترجمته لأشعار الحافظ الفارسي) أن  
يؤثر على الشعراء الالمان مثل جويته وريوكرت وبلاتن ان  
يتابعوا توطين الشعر العربي الذي ارتدى حلة المانية...»

ولكنه لم يوفق في هذه الترجمة، ولم يقبلها العلماء حسن  
القبول لكثرة أخطائها، ولم يشتغل الشعراء بها لخلوها من  
الجمال الشعري وحشوها بعبارات صعبة الفهم على غير  
المختصين، بيد ان بعض اصدقاء المؤلف مدح الكتاب  
غاية المدح رغم انه لم يبق له أي اثر في العلم أو في الادب  
الالماني.

ومع ذلك لم يزل هامر يقوم بتراجم جديدة، فنشر (بعد  
ان ترجم اقصوصة «كل وبلبل، لفصلى التركي» سنة ١٨٢٥  
ترجمة ديوان باقي الشاعر المشهور التركي (المتوفى عام  
١٦٠٠ في استانبول) ولاشك ان هامر اجاد في معرفته  
للغة التركية وكان اكثر انسائها منه بالعربية، ولكن اسلوب  
الشعراء الاتراك في القرنين السادس عشر والسابع عشر  
يمتاز بمشكلاته حتى انه يصعب فهمه وحل رموزه على  
الاتراك انفسهم. وقال هامر في مقدمته لهذه الترجمة انه  
بعد ان طوى منطقة البروج في سماء الادب التركي وجد  
هذا الشاعر القطب الاعلى والكوكب الازهي، مع انه لا  
ينكر ان القارئ الغربي قد يستغرب المبالغات الموجودة في  
اشعار «باقي» والتلاعب بالالفاظ المتشابهة في هذه الصنعة.

بعد ان تناول معاصرو هامر «ازهار الجنة وثمارها هذه  
من المشرق» (كذا وصف بعضهم هذا الكتاب) اشتغل  
المستشرق الذي لم تأخذه كيلولة ولا كسالة بترجمة الشعر  
المتصوف الفارسي «كلشن راز» للشبستري (المتوفى سنة  
١٤١٧) احد ممثلي افكار ابن عربي في ايران. ولم يكن  
بالوسع في ذلك الزمن تحقيق ترجمة صحيحة لآثار  
المتصوفة لان المنايع المهمة لتأريخ هذه الحركة الروحانية  
والرسائل القديمة الموثوقة كانت لاتزال مجهولة الى حد بعيد.  
ولذلك حكم ايضا بالفشل على ترجمة اخرى نشرها  
هامر في حيز التصوف وهي ترجمة منظومة (١) للتائية  
الكبرى لابن الفارض التي طبعت مع منها العربي في ابهى  
شكل سنة ١٨٥٤ بمناسبة العيد المئوي للمعهد الشرقي في  
فيينا. فقال ه. ل. فلايشر H. L. Fleischer وهو اشهر  
المستشرقين في اوروبا بعد وفاة استاذه ده ساسي في هذا  
التأليف واصفا اياه بكل احتياط:



## Die vierte Tageszeit.

Der Mittag.

Die Dämmerung.

## Ich flüchte zu Gott!

Weihrauchopfer.

1. Ich flüchte mich zu dem Herrn der Menschen, zu dem König der Menschen, zu dem Gott der Menschen vor dem Bösen des Einflüsterers, des Seelenverdüsterrers, der verwirrt die Brust der Menschen, ich flüchte mich vor dem Bösen der Genien und der Menschen.

2. O mein Gott! ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen, womit die Nächte schwanger gehen, vor dem Bösen der Tageswehen, vor dem Bösen, das die Winde herwehen.

3. Ich flüchte mich zu Deinem Angesichte, dem gnädigen, zu Deinen Worten, den vollkommenen, vor dem Bösen, das Du bei den Stirnhaaren fassst.

4. Ich flüchte mich zu den Worten Gottes den vollkommenen, wider die der Gerechte und der Basterhafte Nichts vermag, vor dem Bösen, das niedersteigt von Himmel und Erden, vor dem Bösen der Unruhen bei Nacht und Tag.

5. Ich flüchte mich zu Dir vor dem Bösen der

عن كتاب: ميقات الصلاة، سنة ١٨٤٣.

نحن تاريخ الشعر الفارسي ... حقا ان لدينا الآن اساسا يستطيع ان تبني عليه الآداب الفارسية بصورة بارعة واضحة وشاملة ...

كان كتاب هامر هذا اجابة لرغبة العلماء الادباء الالمان في ادراك مقاصد الفنون الجميلة والآداب في العالم باسره يجعلوها أساساً للثقافة الأوروبية الجديدة، فكانت الحركة الرومانتيكية (في حوالى سنة ١٨٠٠) في المانيا وسائر بلدان الغرب قد ايقظت الميل الى حضارة الشرق والرغبة في التعمق في درس هذه الحضارات القديمة الفنية، اى حضارة «المشرق الاكبر» المعتبر اذ ذاك موطن الثقافة ومنبت الاديان ومنبع كل ما هو كبير وجليل في تاريخ بني البشر. واذا بهامر يقدم لمواطنيه منتخبات من ادب هذا «الشرق الاسطوري» ورسم لهم ما يشبه رسماً تخطيطياً لتطور الادب الفارسي من ابتدائه الى القرن السابع عشر. وكان حب الالمان للايرانيين حديثاً في ذلك الوقت لان علماء اللغة قد اطلعوا على تجانس اللغتين الالمانية والفارسية ولاشك ان

«اننا لانرى في هذه الترجمة الملحقة الا طلائع فجر لا يكتفى لأكثر من ايضاح المعالم العامة والمقاييس الكبرى للعبة الصوفية المحيرة، بينما لايزال قسم كبير من التفاصيل غارقاً في حجب الغسق او في غياهب الظلام الدامس: ومع ذلك فان من تمنحه السماء في العقد التاسع من حياته المتوجة بالشهرة القوة على اختراق عالم الظلمات بحثاً وراء منابع الحياة كالاسكندر الشاب، فانه يستحق ان ينال على جراته الطليعية، دون ان تمس حقوق العلم، الاعتبار والتقدير حتى وإن لم يأخذ الخضر بيده ويوصله الى هدفه...»

اما العالم الانكليزي ر. ا. نيكولسون R. A. Nicholson الاخصائى الكبير في الابحاث عن التصوف فعبّر سنة ١٩٢٣ عن هذه الترجمة قائلاً بايجاز: «لقد كان من سوء حظ تائية ابن الفارض أن يكون هامر مترجماً لها»

وقال هذا المؤلف نفسه في طريقة هامر في الترجمة الشعرية لقصائد العربية انها ما كانت الا عبارة عن اقتباس كلمتين او ثلاثة من كل بيت وحشو الباقي بالمعاني التي تخطر في باله في تلك اللحظة... وتشبه افادة نيكولسون هذه النقد الذى كان قد نشره العلامة فلايشر السابق ذكره عندما نشر المستشرق النمساوى ترجمته لاطواق الذهب للزنجشیری في مستهل سنة ١٨٣٥ فنشر فلايشر في عين السنة تصحيحاً لهذا الكتاب مع ترجمة جديدة ناقداً فيها بلا تردد اخطاء هامر وهفواته، وظن هامر ان هذا النقد الشديد من نتائج ظلم فلايشر وقسوته وان مقصده «الاساءة الى المترجم» فقط: ولذلك لم يزل يقاتل العالم المتبحر الالماني بالقلم وهجاءه في ترجمة رباعى للشاعر التركى «نجمى» فى القصاب لان معنى اسم «فلايشر» هو «قصاب» ويصفه في هذا الشعر فى لباس قصاب ظالم قاتل يقوم بجرح كل من دناءه وبسلفك دمايته...

لم يكتف هامر بترجمة دواوين الشعراء المشهورين فحسب بل كان هدفه الاعلى ان يعرض الادب الشرقى بكماله لاهل اوروبا. ولذلك جمع ما جمع من المعلومات واستخلص منها الاخبار المهمة عن تاريخ الادب الاسلامى فألف فيه كتباً ورسائل؛ واحسن ما صنف فى هذا المضمار هو تاريخ الادب الفارسي Geschichte der schönen Redekünste Persiens الذى نشر سنة ١٨١٨، واهداه للاستاذ الكبير فى حيز الاستشراق، سيلفستر ده ساسى. واستفاد جويته من هذا المؤلف واعترف بقيمته قائلاً:

«... هذا التصنيف الذى ليس له مثيل، الذى ينقل الينا



Der  
D i w a n  
von  
Mohammed Schemseddin Hafis.

Aus dem Persischen  
zum  
erstenmal ganz übersezt  
von

Joseph v. Hammer,  
K. K. Rath und Hof-Dolmetsch, Mitglied der Akademie von  
Göttingen, Korrespondent des Instituts von Holland.

Erster Theil.

Kos ichu Hafis nekesched es fuchi endische nibab  
Ta sarf sikk aruonf suchanf channa sedend.  
Keiner hat noch Gedanken,  
Wie Hafis, entspielt,  
Zeit die Seiten der Wortbrant  
Sind gedunselt worden.  
C. G. Kraft, Dkt.

Stuttgart und Tübingen,  
in der J. G. Cotta'schen Buchhandlung.  
1812.

عنوان لترجمة ديوان حافظ الشيرازي، ليوسف فون هامر. شتوتجارت سنة  
١٨١٢.

هذه المناسبة ايقظت اهتمام الناطقين بالالمانية بتاريخ  
اقربائهم البعيدين.

اما «تاريخ الادب الفارسي» لهامر فهو، كما قال المؤلف،  
«ثمرة مطالعة خمسين مثنويا وديوانا ذات اكثر من مليون  
بيت». قسم الكتاب سبعة فصول مبتدئا من زمان فردوسي  
الطوسي (المتوفى حوالي سنة ١٠٢٠) الاستاذ الاول  
للنظم الفارسي، وعدد هامر الشعراء السبعة الكبار الذين  
وجدتهم في هذه القرون، وهم فردوسي، ثم انورى  
(المتوفى سنة ١١٧٠) الذي اشتهر بالقصيدة المدحية،  
وعين الزمان نظامي (المتوفى عام ١٢٠٩) الذي بلغ نهاية  
الجمال في اقايصه الشعرية الرومانتيكية التي قلدها في  
العصور القادمة شعراء عديدون في ايران وتركيا  
والهندوستان. وفي القرن الثالث عشر نجد سعدى الشيرازي  
(المتوفى سنة ١٢٩٢)، مؤلف اشعار وحكايات مليحة،  
منها «كلستان» المشهور، وكان معاصره المتصوف الاكبر

مولانا جلال الدين الرومي (١٢٠٧-١٢٧٣). ثم في القرن  
الرابع عشر نرى الحافظ الشيرازي (المتوفى تقريبا سنة  
١٣٨٩) الذي لا كفو له في صنعة الغزل وفي ظرافة الافادة  
وحسن البلاغة. اما في القرن الخامس عشر فقد جمع  
مولانا عبدالرحمن جامي (المتوفى عام ١٤٩٥) في آثاره كل  
ماسبق من الفنون، اقصوصة كانت ام غزلا، حكاية  
كانت ام شعراً متصوفاً. وترجم هامر منابعه الفارسية بلا  
نقد، كما عثر عليها، وترجم ايضا كثيرا من ابيات هؤلاء  
الشعراء، ورغم بعض اخطائه فان هذا الكتاب مازال  
يحتفظ بقيمته الى الآن لان هامر اوضح في مقدمته اسلوب  
الشعر الفارسي واهم التعابير والرموز والالامعات التي  
يستعملها الشعراء والتي لا بد من درسها لمن اراد فهم الادب  
الشرقي.

وبعد ان نشر هامر هذا التاريخ بعشرين سنة، قام بتاريخ  
الشعر العثماني باربعة مجلدات، تشتمل على اسماء ٢٢٠٠  
شاعر ! ولا عجب ان العالم الذي ابي على نفسه التعب  
والعجز التي سنة ١٨٤٩ اثني عشرة محاضرة بين فيها تطور  
الادب العربي ونشر متن هذه المحاضرات في رسالة له،  
ونستدل من اسلوب بيانه انه الآن قد هجر الايرانيين واخذ  
يفضل عليهم العرب كل تفضيل. قال:

«ان الايراني يخلق صوت الطبيعة لأنه يملأ فاه باللؤلؤ  
واوراق الورد بينما تتمكن الطبيعة من قلب الشاعر العربي  
مرسلة من اعماق صدره صدى يدوي في افلال الصحراء». ولما  
توفي هامر سنة ١٨٥٦ كان قد اكمل سبعة مجلدات  
ضخمة جدا لتاريخ الادب العربي الذي قصد منه جمع  
كل المعلومات التي كان العرب قد جمعوها عن آدابهم. ومما  
يبحث على الاسف انه لا يستطيع احد الآن مطالعة هذه  
المؤلفات الهائلة لانها تفتقد الى الترتيب، ومما زاد في صعوبة  
الفهم ان هامر على عادته ترجم الابيات باجمعها نظماً،  
وان اعجبنا اجتهاد المؤلف الذي قد فاق الثمانين من عمره  
فلا يمكننا ان نعترف لهذا التاريخ الادبي بقيمة علمية او  
شعرية...

وكان هامر طول حياته يرغب في اعداد مجموعات شعرية  
من تأليف الشعراء الشرقيين، وكان قد ابتداء بهذا الطرز  
في رسالته المقدم ذكرها «شيرين» التي يحكي فيها اسطورة  
الملكة شيرين وعشق فرهاد البناء، استناداً الى اشعار شتي  
فارسية وتركية. ومثال اخر هو المجموعة المسماة بعطر الورد  
(Rosenöl) وهي مشتملة على حكايات واخبار من  
بلاد الاسلام، وزد على هذا منتخبات من القاموس الفارسي  
«فرهنگ شعوري» تحت عنوان «اطواق الجواهر لابي





عن كتاب هامر : تاريخ الاداب الايرانية ، نشر فيه لأول مرة النوتة الموسيقية لمقطوعة غزل لحافظ الشيرازي.

سبع قصائد تعبر السبعة الاولى عن فضائل الدين الايراني القديم ، إذ كان هامر يظن ان افكار الدين الزردشتي وقوانينه الاخلاقية كانت قابلة للتقليد في الادب الالماني بيد ان هذه الديانة والحضارة الايرانية القديمة كادت ان تكون مجهولة في اوروبا في ذلك العصر. وعبرت قصائد هامر «العربية» عن طبيعة مصر وفيها يجذب الشاعر نظر القاريء وينقله من ظواهر الطبيعة الى بواطن الروح الانسانية. اما في القسم الثالث فانه يبتدىء باشعار منسوبة الى يوم الجمعة وفيه مجموعة من امثال تركية. — ومما يشبه هذا الكتاب رسالة اخرى اسمها «حباب العطر» Duft-körner ، مقصدها «صهر حرارة الشرق بتألق الغرب ،

المعالي» Juwelenschnüre Abu'l-Maâlis ؛ ولكنه لم ينل من المديح لهذا الكتاب ما كان يرجوه. و نجد بعد ذلك خلاصة للاقصوصة الفارسية الشعرية «وامق وعذراء» القديمة (سنة ١٨٣٣) كما الف في ذكرى زوجته المرحومة عام ١٨٤٤ مجموعة جميلة من الادعية العربية مع ترجمتها الالمانية اسمها «ميقات الصلاة».

ومع ان هذه الترجمات والمجموعات وتواريخ الادب الاسلامي شغلت هامر لسنوات فقد اغتم الفرصة ايضا لتأليف كتب شعرية ملهمة عن روح الشرق. فألف سنة ١٨١٨ رسالة سماها «البرسم الشرق» تحتوي على «اناشيد فارسية وندبات عربية ومدائح تركية» وفي كل من الاقسام الثلاثة توجد



حركة العقل براحة القلب» (سنة ١٨٣٦). يختم هامر هذه المجموعة بقصيدتي «الرجل الشيخ عند مولده الخمسين» و «الشيخ في الثالثة والستين» جامعاً فيها اقوال الشعراء في الشيخوخة ووصفهم للعجز وشكائياتهم منه.

ولم يتورع هامر عن ولوج حقل التمثيل المسرحي، وأول موضوع وجده لائقاً للمسرح الألماني هو «جعفر أو سقوط البرامكة» (كتب سنة ١٨٠٧، وطبع في عام ١٨١٣) وكان لتأريخ البرامكة شهرة خاصة في أوروبا منذ أوائل القرن الثامن عشر وقد كان ألف بعض المؤلفين مأس في قضاء جعفر وعباسة، اخت هارون الرشيد (منهم م. كلينجر M. Klinger سنة ١٧٨٢)؛ ولما تناهت اخبار المسرحية المذكورة الى مسامع جويته رغب في تدقيق اثر هامر هذا وكان قد قال لصديق لها قبل ذلك:

«أني أتلهف لمشاهدة «البرامكة»، وليست هذه هي المرة الاولى التي تملك فيها شعور المرء حالة استثنائية فري نفسه مضطراً لان يعبر عن هذه الحالة المعقدة والغامضة بأسلوب التمثيلية او المسرحية. فاذا نظرنا الى هذا العمل بأكمله من هذه الوجهة الاخيرة ظهر لنا انه عمل بدون جدوى، ومع ذلك فان الرجل قد نقل إلينا شيئاً لم يستطع التعبير عنه بالاسلوب القصصي او بالاسلوب الاحاديث واني لا بد من هذه الناحية...»

خيل لهامر تصنيف كثير من المآسي الشرقية ولكنه لم ينشر منها الا واحدة بعد نشر «جعفر» وهي «محمد او محاصرة مكة» (١٨٢٣). اراد المؤلف منها الرد على المأساة المشهورة للفيلسوف الفرنسي فولتر Voltaire (١٦٩٤-١٧٧٤) الذي كان قد صور محمدا الرسول في شكل خائن منافق تابعا للتقاليد الغربية القديمة وهادما من وراء تلك المسرحية الهجوم على الاديان باجمعها لا على الاسلام وحده. اما هامر فحاول في هذه المسرحية الدفاع عن محمد ونواياه وان لم يوفق من اللحاظ الفني الجمالي.

وفضلا عن هاتين المآسيتين نجد هامر يكتب (وذلك ايضا في عام ١٨٢٣) ثلاث مسرحيات خفيفة، مواضيعها مأخوذة من الادب الهندي والفارسي والتركي (Memnons). (Dreiklang).

ولكى يتحقق هدفه في عقد الصلة بين الشرق والغرب لم يكتف هامر بترجمة اشعار شرقية الى الالمانية بل قام ايضا بترجمة افكار الامبراطور الروماني ماركوس اوريليوس (المتوفى سنة ١٨٠) الى الفارسية ليستفيد اهل الشرق من نموذج من الحكمة الغربية (سنة ١٨٣١).

وان كان القارئ الصابر قد تابع تعداد آثار هامر الادبية الى الحد الذي وصلنا اليه فلا شك ان تأخذه الحيرة تجاه هذا الجلد وهذا الاجتهاد، ولعله يظن ان هذا الانتاج سيكون حياة رجل بل بضعة رجال. ولكنه سيزداد دهشة وتعجبا اذا داوم على متابعة فعالية هامر في سائر ميادين العلم؛ لان العالم النمساوي كان مشغوقا لا بالاداب الشرقية فحسب بل بتأريخ الشرق على العموم، وقد نشر مؤلفاته الاولى في هذا المضمار عند اقامته في استانبول حيث حصل على كثير من الوثائق المفيدة لتأريخ الدولة العثمانية، والف نتيجة لذلك التحصيل كتابا عن دستور الدولة العثمانية وسياستها Des Osmanischen Reiches Staatsverfassung سنة ١٨١٦. وبعد ذلك بسنتين، في ١٨١٨ نجده ينشر «تأريخ الحشاشيين» الذي اهداه للمؤرخ الشهري. فون ميولر J. von Müller الذي لفت انتباهه الى مسائل تاريخية عندما كان هامر في عنفوان الشباب. وظن هامر ان تأريخ الحشاشيين «سيفتح بابا الى معادن التأريخ الاسلامي المجهولة». ولكن القارئ العصري لا يرى فيه الا تجربة ضعيفة لايضاح وقائع كثيرة التشاكل لم يمكن في ذلك الزمن ايضاحها لنقصان المنابع وقحط البحوث وعدم توفر الوسائل العلمية. وهامر محق في وصفه وضعية المؤرخ الباحث عن اي موضوع في تأريخ الاسلام حيث يقول:

«إن المؤرخ ليشاهد امام ناظره سطوة ممالك الدنيا العظيمة وقد انصبت اشعتها في نقطة واحدة الى جانب قوة كل من الدول المتعددة وقد توزعت في الف شعاع، وانه ليرى السر الاسطورية لأقدم الممالك الى جانب ادق التواريخ، لاحدثها، كما يبدو امامه عهد الجاهلية قبل بعث الرسول، وايام المعرفة والهداية بعده، كل ذلك الى جانب معجزات الفرس، وبطولات العرب، وروح المغول المدمرة التي اجتاحت اطراف العالم، وحكمة العثمانيين في اقامة دولتهم وتدعيمها...»

ولما كان هامر طالبا في المعهد الشرقي أخذ بمطالعة «كشف الظنون» لحاجي خليفة الاديب التركي (المتوفى ١٦٥٧) وكرر مطالعة هذا الكتاب مرارا ثم اضاف على المعلومات التي حصاها من الكاتب التركي المتبحر ما جمعه من الوثائق الرسمة والمخطوطات فكتب «تأريخ الدولة العثمانية» وهو عشرة مجلدات، ولكنه صنف ايضا خلاصة ذات اربعة مجلدات لهذا التأليف العظيم الذي مازال ذا قيمة واهمية الى الآن لانه يحتوي على اخبار لا توجد في مؤلفات اخرى بيد ان اسلوبه صعب جدا، كثير التشبهات يشبه اسلوب المؤرخين العثمانيين. ومع ذلك فقد بدى في







المانيا بطبع واصدار جديد لهذا التأريخ سنة ١٩٦٣. وفي الفترة نفسها جمع هامر سير الخلفاء والامراء والملوك الكبار ونشر خمسين منها في «ايوان الصور لحكام المسلمين الكبار في القرون السبعة الاولى للهجرة» Gemäldesaal يعالج فيه مفصلا سير الملوك المشهورين في بلاد الاسلام، مبتدئا بسيرة الرسول الى ان ختم كتابه (وهو ٢ مجلدات، نشر بين العامين ١٨٣٧ و ١٨٣٩) بسيرة قلاوون المصري. ولكنه كف عن معالجة تاريخ الاسلام باسره معترفا

«ان عروق الذهب والكنوز الخفية في تاريخ العرب والفرس والأتراك العثمانية والترليست معروفة معرفة كافية والذهب الخام الذي تحتويه هذه الكنوز لم تجر عليه لحد الآن عمليات الغرلة والتصفية بشكل يدعو الى الراحة ولم تفصل الجواهر الثمينة بعد من التربة الملتصقة بها ولم يصقل بعد جيدا بحيث يمكن ان يؤلف منها الآن عمل فني تاريخي عظيم».

ومع ذلك تجاسر هامر على تأليف تأريخ للاولاد مونكه سبط جنكر خان الذين اشتهروا باسم «السلالة الذهبية» في القيقق في جنوب روسيا؛ وسبب هذا المؤلف الذي صنفه هامر اجابة لمسابقة علمية اقامتها الاكاديمية الامبراطورية الروسية مناقشات طويلة ومعارضات قبيحة بين هامر وزملائه الروس الذين رفضوا الكتاب تماما ولم يعتبروه جديرا بالجائزة الموعودة. ولم تمنع تلك النتيجة الحزينة العالم النمساوي من ان يكتب رسائل اخرى في تأريخ الاتراك والترك، منها تاريخ الايلخانين في ايران (١٨٤٢) وتاريخ ملوك القريم (١٨٥٦). وترجم ايضا تأريخ وصاف المؤرخ الفارسي المشهور بصعوبة اسلوبه المزهري المسجع. هذا والكتب المذكورة كلها لا تستحق الذكر الا لانها شاهدة على اجتهاد هامر الذي لم يهتم بمشكلات المتون ولا بانتفاء وجود المصادر الكافية لاضاءة ظلمات هذه الادوار التاريخية غير المعروفة بل كتب ما كتب كأن القلم يحرق اصابعه وكان لا يضيع وقتا في تنظيم مؤلفاته او في تصحيحها ولم يقبل اى نقد لطريقته العلمية.

إن ما ذكرناه من الكتب حتى الآن هي الكتب الكبيرة الحجم، ولكن هامر ألف علاوة عنها رسائل غير معدودة في مسائل مختلفة، في البيزرة وفي الموسيقى الشرقية، في دين ميتراس الايراني وفي الفرسان الرهبان، ولم يهمل تاريخ وطنه النمساوي ولا الادب الاوروبي في منشوراته التي تكون في الواقع مكتبة خاصة ذات مئات الرسائل .... ادعى هامر انه لم يعرف الطموح ولا الغيرة الشخصية وانه لا سبب لفعاليته العظيمة الا الهمة العليا وحب العلم. وقال اخرون انه كان يحب المناقشات والتفاخر حتى ان هذه

الاصناف غير المحمودة افقدته كثيرا من اصدقائه. ومثال مشهور لهذه الغيرة هو مناقشته مع تلميذه ريوكرت السابق ذكره حول تلفظ بعض الكلمات الفارسية، وايضا لان ريوكرت قد وفق في ترجمة باعثة الحيرة لمقامات الحريري؛ وان كان هامر قبل هذه الترجمة الشعرية المسجعة لأول وهلة بيد السرور ونظم فيها رباعيا معبرا عن تمنيه الخالص بان هذا الكتاب سيطلع بالذهب على البردي، الا انه قام بعد مدة بانتقاد نفس الترجمة وبتوجيه اشد الوان الملامة للمترجم العبقري مدعيا انه نفسه ابدع الاسلوب المسجع في الادب الالماني وان ريوكرت غير معنى الكلمات والتعابير لاجل مقاصد جمالية ...

ولكن علينا ان نعترف ان هامر كان يمد مواطنيه وتلاميذه كل عون اذا ارادوا درس الشرقيات والتحصيل على معلومات في مواضيع شرقية. كما قال في رباعي له، مشيرا الى معنى اسمه هامر وهو «مطرقة»:

Ich bin genennet Jussuf Hammer,  
Doch heiss' ich nicht für alle gleich:  
Den Freunden Jussuf in der Kammer;  
Die Feinde trifft des Hammers Streich.

وسميت يوسف ذا المطرقة  
ولكن اسمي ليس سواء:  
ففي الدار بين الاحبة يوسف  
لكن على الخصم تهوى المطرقة.

واجاد احد المستشرقين الالمان وهو آلوارد Ahlwardt (١٨٢٨-١٩٠٩) في مقالته عن خلف الاحمر حيث يصف ترجمة هامر لقصيدة هذا الشاعر كثمرة من اثمار خياله، لما اعترف بخصوصية هامر قائلا:

«كان هدفه أن يفهم الشرق من جميع نواحيه وأن يقود العالم الاوروبي لادراك الشرق كما انطبع في عقله. هذا يفسر لنا سر نشاطه الفذ والدافع الداخلي لاقتباسه المعارف والسعي الى اطلاع الغير على المعلومات وهذا سبب انتاجه الخصب لكتب كبيرة وسبب كده وعمله المتواصل دون كلل طالما كان في حيز النهار».

ومع كل اخطائه اللغوية والنحوية، ومع ان اكثر مؤلفاته العلمية لم تثر الا نقد المستشرقين الشديد، فانه يجب على القارئ الاعتراف انه لا يوجد مستشرق في تأريخ الثقافة الالمانية أثر في ادب عصره تأثير هامر الذي وفق الى الهام شاعرنا الاكبر بغناء اشعاره الخالدة في ديوانه الغربي-الشرقي.

وقد ضربت حكومة النمسا وساما تذكاريًا لهامر، منحوتا عليه إنه وصل بين آسيا وأوروبا



# مِمَّا اسْتَجَدَّ فِي عِلْمِ الْفَلَكِ

عَنْ أوردو بكر

بقلم مُحَمَّد عَبْدُهُ ابراهيم

(١) مقدمة:

إذا ما قارنا عالم الفلك بغيره من علماء الطبيعة لوجدنا أنه يواجه صعوبتين، غير عاديتين، تحدان من جودة إنتاجه، مما لا يتعرض له، سوى أقلية ضئيلة، من العلماء الآخرين. وتتلخص الصعوبة الأولى في أن المسافات، التي تفصله عن الأجرام السماوية، وغيرها مما في الكون، أي تلك المسافات، التي تفصل عالم الفلك عن مواضع بحوثه، هي مسافات جد كبيرة يعجز العقل البشري، في معظم الأحيان، حتى عن مجرد تصورهما. وبذلك فإن عالم الفلك غير قادر على أن يتصل، اتصالاً مباشراً، بالأجرام والمواد والظواهر الطبيعية، التي يدرسها. وقد نتج عن ذلك، إعتاد علماء الفلك في بحوثهم كل الاعتماد تقريباً، على الأشعاعات، التي تصل إلى سطح الأرض من الكون وما فيه، وذلك فيما عدا بعض الحالات، التي يصح التجاوز عن الخوض فيها في هذا المقال، وذلك للاختصار.

أما الصعوبة الثانية فتنشأ عن وجود غلاف جوي، يحيط بالكرة الأرضية. وما هذا الغلاف، في الحقيقة، سوى ستار يمنع جزءاً كبيراً من الأشعاعات، التي تنبعث في الكون، من الوصول إلى سطح الأرض كلية. أضف إلى ذلك، أنه حتى هذا القدر القليل من الأشعاعات، الذي ينفذ إلينا من هذا الستار يتغير، في معظم الأحيان، من حيث الكم والجوهر، وذلك لمجرد اختراقه للغلاف الجوي، الذي يحيط بكوكبنا.

(٢) المسافات الكبيرة بين مرصد على سطح الأرض وبين الكون وما فيه:

لما كانت قوانين الطبيعة، التي يطبقها عالم الفلك، في مرصده على سطح الأرض اليوم، هي قوانين صحيحة، في كل مكان وزمان، فإن المسافة الكبيرة، التي تفصل الراصد، من سطح الأرض، مما يرصده في الكون، لا تؤثر تأثيراً مخلًا بالنتائج، التي يحصل عليها. وللتدليل على صحة ذلك نقول، بأن قوانين الأشعاع مثلاً، التي تطبق الآن في مرصد ما على سطح الأرض، هي بعينها نفس القوانين، التي تتحكم في نفس الوقت، في إشعاعات

كوكبة من النجوم، تبعد عن مجموعتنا الشمسية مسافة قدرها، أربعمئة مليوناً من السنين الضوئية مثلاً. ومعلوم أن السنة الضوئية، هي تلك المسافة، التي يقطعها الضوء في سنة واحدة، وأن هذه المسافة تبلغ ٩،٥ بليون كيلو متر تقريباً. ونضيف إلى ما تقدم، أن قوانين الأشعاع هذه، هي بعينها نفس القوانين، التي كانت قد تحكمت في إشعاعات، لانراها أو لا نسجلها إلا اليوم، كانت قد انبعثت من نجم معين، منذ ملايين ثلاثة من السنين مثلاً. ولا يتسع المجال هنا للحديث عما يجب استثناءه من هذه القاعدة العامة.

(٣) تأثيرات جو الكرة الأرضية على الأشعاعات، التي تنبعث في الكون:

ويختلف الوضع، باختلاف بيئنا، بالنسبة للصعوبة الثانية، التي تحدثنا عنها بعاليه، إذ أن الموضوعات، التي تشغل علماء الفلك بصفة مستمرة تقريباً، هي في حقيقة الأمر، تلك الفروق، بين الأشعاعات الموجودة فعلاً في خارج غلاف كوكبنا الجوي، وبين ما يصل إلينا من هذه الأشعاعات، وهي فروق تنشأ عن وجود هذا الغلاف بالذات. وقد نتج عن ذلك، أن تركزت البحوث الفلكية تقريباً، في خلال العشرين سنة الأخيرة، على حل معضلة الفلك الكبرى، ألا وهي الحد من تأثيرات غلاف الكرة الأرضية الجوي، على الأشعاعات، التي تصل إلينا من الكون. أما الحل المثالي لهذه المعضلة، فلا يعدو أن يكون استئصال هذه التأثيرات الجوية، استئصالاً باتاً.

ولعله من المفيد أن نشير، فيما يلي، إلى بعض هذه التأثيرات الجوية، إذ أنها تحد من قيمة البحوث الفلكية، التي تجري من سطح الأرض، علاوة على كونها تحد أيضاً من جودة الرصد ومن مداه:

(٣،١) يمتص الجو الجزء الأكبر من الموجات الكهرمغناطيسية، وكذلك من الجزيئات الكمية، التي تصل إليه من الكون، فهو يمنع بذلك،



ما يمتصه منها، من الوصول الى المراصد المركبة على سطح الأرض كلية.

(٣،٢) ليس ألبو، المحيط بالكرة الأرضية، بجو متجانس. ويرجع ذلك الى أسباب عدة، منها ذلك الاختلاف في درجة الحرارة وفي الكثافة بين منطقة جوية ومنطقة أخرى. وينشأ عن عدم تجانس المناطق ألبوية المختلفة، تيارات مضطربة Turbulenz، من شأنها، أن تخبو صور المرئيات عما لو أن ألبو كان متجانسا. وخلاصة القول أن ألبودة الفعلية لتلسكوب (مقرب) معين، مثبت على سطح الأرض، تقل عن جودته النظرية، كما أن هذا لا ينشأ الا من ذلك الغلاف ألبوي، الذي يحيط بالكرة الأرضية.

(٣،٣) تتبادل الأجرام السماوية وغيرها مما في الكون، مع ذرات ألبو وجزئياته، تأثيرات كهرومغناطيسية كمية معينة، يتسبب عنها تفريق الضوء أو استطارته. زد على ذلك أن تبادل هذه التأثيرات، قد يكسب ألبو ضوءا ذاتيا، لم يكن موجودا في الأصل. أما النتيجة الحتمية لهذين العاملين، فهي ألد من مدى الأبصار بتلسكوب معين، وبذا يصبح مدى الأبصار الفعلي، أقصر من مدى الأبصار النظري، لهذا التلسكوب.

ويروفي أن أسجل هنا، أن لزرقه السماء نهرا، وكذلك لعدم إمكان رؤية النجوم أثناء النهار، علاقة باستطارة الضوء، التي ذكرتها آنفا. وتجدر الإشارة أخيرا الى وجود إشعاعات ثانوية بألبو، تشوش على الأشعاعات الأصلية، أو قد تحجبها عنا كلية. أما عن كيفية وجود هذه الأشعاعات الثانوية، فإنها تنتج عن تبادل التأثيرات، بين ألبويات الكمية، التي تصل من الكون الى ألبو، وبين ذرات الغلاف ألبوي وجزئياته.

ومجمل ما أسلفنا، أن غلاف الكرة الأرضية ألبوي يعوق علماء الفلك عن التعرف، تعرفا تاما، على حقيقة الأشعاعات الموجودة في خارجه، كما أن هذا الغلاف يحد من جودة الرصد ومن مداه، مما دفع هؤلاء العلماء دائما، الى محاولة التخلص من تأثيرات هذا الغلاف ألبوي، على بحوثهم. ولأنه لمن دواعي الغبطة، أن نقرر هنا، أن أمل العلماء في التخلص من هذه التأثيرات، قد تحقق أخيرا، الى درجة كبيرة، بطرق مختلفة. ولم يتحقق هذا الأمل عفوا، بل

تطلب تطبيق أحدث نظريات الطبيعة، كما استلزم أيضا استخدام أقصى ما وصل اليه المهندسون من فن وخبرة.

وهناك وسيلتان أساسيتان للحد من تأثيرات ألبو على ألبو الفلكية أو لاستئصالها كلية. وتتلخص الوسيلة الأولى في ألبو عن أشعة تتميز بعدم تأثير ألبو عليها أصلا، أو بأن يكون تأثير ألبو عليها ضئيل للغاية. وأما الوسيلة الثانية، فهي العمل على إجراء ألبو الفلكية من مراصد موجودة فوق غلاف الكرة الأرضية ألبوي. وأبرز حل أدت الوسيلة الأولى إليه، هو استخدام اللاسلكي في ألبو الفلكية، كما أدت الوسيلة الثانية الى استخدام ألبالونات (المناطيد)، وألصواريخ والأقمار الصناعية ومسابر الكون الاستطلاعية، في هذه ألبو.

(٤) علم ألك ألكسكي وألطف الكهرامغناطيسي:

لم يحب الله الإنسان بالقدرة على رؤية طيف الموجات الكهرامغناطيسية كاملا، بل إن الإنسان لا يرى منه، سوى جزءا ضيقا، يسمى بالضوء، وهو ذلك ألبو من الطيف، الذي يتغير الطول ألبوي فيه، من ٤٠٠٠ الى ما يقرب من ٧٠٠٠ أنجستروم. ومعلوم أن ألبو أنجستروم وحدة أطوال تساوي ٠٠٠١ ٠٠٠٠ و٠٠٠٠ ملليمتر.

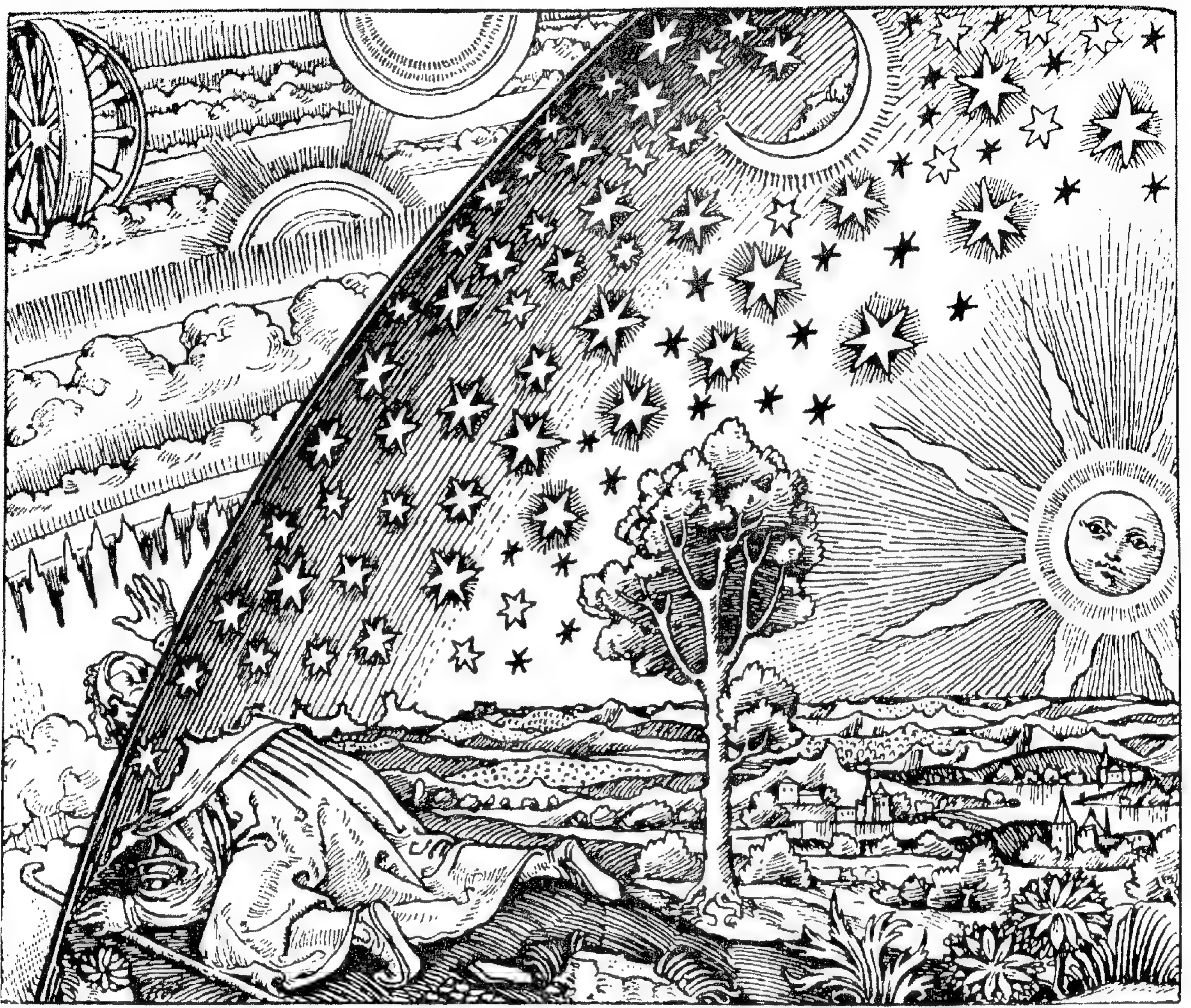
٤،١ نافذة الأبصار عبر جو الكرة الأرضية:

يتمتع الأوزون الموجود بألبو على ارتفاع يختلف من ٢٠ الى ٤٠ كيلومترا، من سطح الأرض، جزئين من الطيف الكهرامغناطيسي، يقال لأولها «أشعة ما فوق ألبو» كما يسمى ألبو ألبو «أشعة رنتجن». وأطوال ألبو ألبو، أقصر من أطوال ألبو ألبو، كما أن هذه الأطوال، في كل من ألبو، أقصر من طول موجات الضوء ألبو.

ويبتلع كل من بخار الماء وثاني أكسيد الكربون، ألبو في طبقات ألبو، ألبو من الأرض، جزءا آخر من الطيف، يسمى «أشعة مادون ألبو»، كما أن أطوال هذا ألبو، أكبر من طول موجات الضوء ألبو.

أما ألبو ألبو، فيما بين الضوءين ألبو وألبو، فإنها تنفذ في طبقات ألبو وتصل الى الأرض. ولما كانت ألبو ألبو تقع، في الطيف، بين ما يمتصه الأوزون من ناحية، وبين ما يبتلع بخار الماء وثاني أكسيد الكربون من الناحية





صورة العالم كما تخيلها احد كبار الفلاسفة الألمان في القرون الوسطى، وهو نيكولاس الكوساني Nikolaus Cusanus (من ١٤٠١ الى ١٤٦٤)

وكان من رجال الكنيسة، ذا نفوذ واسع حتى انه عين في منصب اسقف في النمسا واصبح كاردينالا، وكان صديقا للبابا بيوس الثاني. ومع كونه قسا كان لنيكولاس معرفة موسوعية في مضمار العلوم الطبيعية، وكان هو اول من رسم خريطة لممالك اوروبا الوسطى، واشتغل باصلاح التقويم وبعلم النجوم حتى انه حاول اثبات توافق العلوم الرياضية واللاهوتية. وكانت فلسفته واقعة تحت تأثير الفلسفة الافلاطونية المحدثة ويظهر فيها تمايل الى التصوف.

اشترك نيكولاس الكوساني في المجلس الكنسي الذي عقد في مدينة بال سنة ١٤٣٢؛ وهناك صاحبه احد الرهبان الاسبانيين الذي حدثه عن وضعية الاسلام والمسلمين في اسبانيا وعن التراجم اللاتينية للقرآن الكريم وعن بعض الرسائل العربية. ثم سافر مع رجال الكنيسة الى القسطنطينية ليدعو رجال الكنيسة اليونانية للاتحاد مع الكنيسة الرومانية وكانا قد افترقا منذ نحو ثلاثة قرون؛ ومن المعلوم انه واصدقائه لم يتفقوا في ذلك، ففتح محمد الفاتح السلطان العثماني مدينة القسطنطينية بضع سنوات بعد ذلك. وسبب هذا الفتح الاسلامي مجادلة روحانية في الغرب، فالف رجال الكنيسة عددا من الرسائل قصدوا منها الدفاع عن العقائد المسيحية وتنصير المسلمين.. ونجد بين هذه الكتب ايضا رسالة لنيكولاس الكوساني تحت عنوان Cribatio Alkoran اي «غريلة القرآن» (كتبت سنة ١٤٦١). ومن الطبيعي ان هذا المصنف لا ينصف في حق الاسلام كما جرت العادة في تلك العصور، ومع ذلك كان المؤلف المتبحر قد سعى في فهم معنى القرآن من ترجمته اللاتينية وكان يقصد ان يصلح بين النصرانية والاسلام الى حد ما وان يبين الاتفاق بين كثير من الآيات القرآنية وكتب الانجيل حتى انه عثر في القرآن على كثير مما وجده مقبولا من النظرة المسيحية، ولكنه كان بطبيعة الحال محدودا في بعض نظرياته لكونه لاهوتيا وخادما للكنيسة. وفي رأيه ان اهم ما يعلمه القرآن هو وحدة الله المطلقة؛ اما فيلسوفنا فاعتبر الله تعالى وحده كذلك منبع الكون وظن ان الكون هو تجلي الله وبرهانه وجوده وبيان قدرته، وبدا له من تلك الوحدة الوجودية ان الاديان ليست الا صورا غير كاملة للدين الواحد الحقيقي، كل واحد منها يبين طرفا من اطراف الحقيقة المطلقة ووجهها من وجوهها، وان في كل منها شعاع من نور الحقيقة ولا فائدة هناك من المجادلة بين اصحاب الاديان المختلفة.

لاشك ان فكرة الكوساني هذه برهان لوسع افقه وفضل روحه، خاصة بالنسبة لتلك العصور عندما كان اهل الغرب لا يرون في المسلمين الا عدوا رهيبا... وعلمنا الا ننسى آثار هذا العالم الكبير وفكرته المركزية: ان الازداد وهي مخصوصة بالخلق تتحول كلها الى الوحدة في ذات الخالق الذي هو الاول والآخر، الظاهر والباطن..



الأخرى ، فإن هذه الموجات تسمى «نافذة الأبصار الجوية».

٤،٢ نافذة الموجات اللاسلكية عبر جو الكرة الأرضية: إكتشف هينرخ هرتز ، فى أواخر القرن الماضى ، الموجات الكهرامغناطيسية ، التى نسميها اليوم «الموجات اللاسلكية». وبعد هذا إلكشف ببضع سنوات ، حاول عالم فلك فرنسى ، أن يثبت وجود هذه الموجات فى الأشعاعات ، التى تصل الى كوكبنا من الكون ، غير أنه لم ينجح فى ذلك. ولقد كان هذا الأخفاق ، بسبب ضعف حساسية أجهزة الاستقبال اللاسلكية ، فى ذلك الوقت. ولم تجر محاولات أخرى فى هذا الصدد ، حتى كانت سنة ١٩٣٢ ، حينما إكتشف مهندس اللاسلكى الأمريكى «كارل جانسكى» مانسميه اليوم

«نافذة الموجات اللاسلكية الجوية». ولقد حدث ذلك بطريق الصدفة ، أثناء المحاولات ، التى كان جانسكى يجربها ، لكى يجد منبع موجات لاسلكية معينة ، كانت تسبب تشويشا من نوع خاص ، عند استقبال موجات البرق اللاسلكية. ويرجع هذا إلكشف الى خاصية معينة فى الجو ، وهى أن الجو لا تمتص ذلك الجزء من الطيف ، حيث يتغير الطول الموجى ، من ملليمتر واحد إلى خمسة عشر مترا. ويعبر عن هذه الخاصية الجوية ، بأن الجو شفاف فى هذا الجزء من الطيف الكهرامغناطيسى. ولقد تمكن جانسكى ، بفضل هذه الخاصية الجوية ، من استقبال موجات لاسلكية معينة ، لم يعرف منبعها فى أول الأمر ، وكان ذلك بواسطة هوائى وجهاز استقبال شديدى الحساسية. ثم إنه ثبت ، بعد ذلك ، أن منبع هذه الموجات لا بد وأن يكون

التغلب على غلاف الأرض الجوى

يبين هذا الشكل أطوال الطيف الموجية التى يمتصها غلاف الكرة الأرضية الجوى ، على أى إرتفاع ، من سطح الأرض ، يوجد هذا الغلاف فيه. هذا ، وتظهر فى هذا الشكل أيضا ، تلك المناطق الجوية المثل ، التى تصلح فيها البالونات والصواريخ والأقمار الصناعية للقيام ببحوث فلكية دقيقة.

### مفتاح الرسم

نافذة الأبصار = Optisches Fenster ، ضوء = Licht ، موجات لاسلكية = Radiowellen ، أشعة مادون الأحمر = Infrarot ،

خط الطيف ليمان -- ألفا وطوله الموجى ١٢١٦ أنجستروم =  $L \propto 1216 \text{ \AA}$

بالون = Ballon ، صاروخ = Rakete ، قمر صناعى أو مسبر كون استطلاعى = Satellit

طبقة الأحداث الجوية = Schicht des Wettergeschchens

خريطة السماء مصورة فى ضوء أشعة مافوق البنفسجى ذات الأطوال الموجى ١٣٠٠ أنجستروم. وتقع الغيوم فوق البنفسجية المبينة فى الشكل فى مناطق مجموعات النجوم التالية :

أوريون = Orion = A ، الثور = Stier = B ، الكلب الكبير = Großer Hund = G ، بيسر فيلا = D = Puppis und Vela ، الأسد = Löwe = E ، العذراء = Jungfrau = F ، الدب الأكبر = Großer Bär = G.

صورة القمر من ناحية نصفه الذى لا يرى من سطح الأرض أبدا - إلتقطت هذه الصورة ، القمر الصناعى لوناك III ، فى يوم ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٩. وتمثل الدائرة الأفقية بالصورة خط الاستواء القمري.

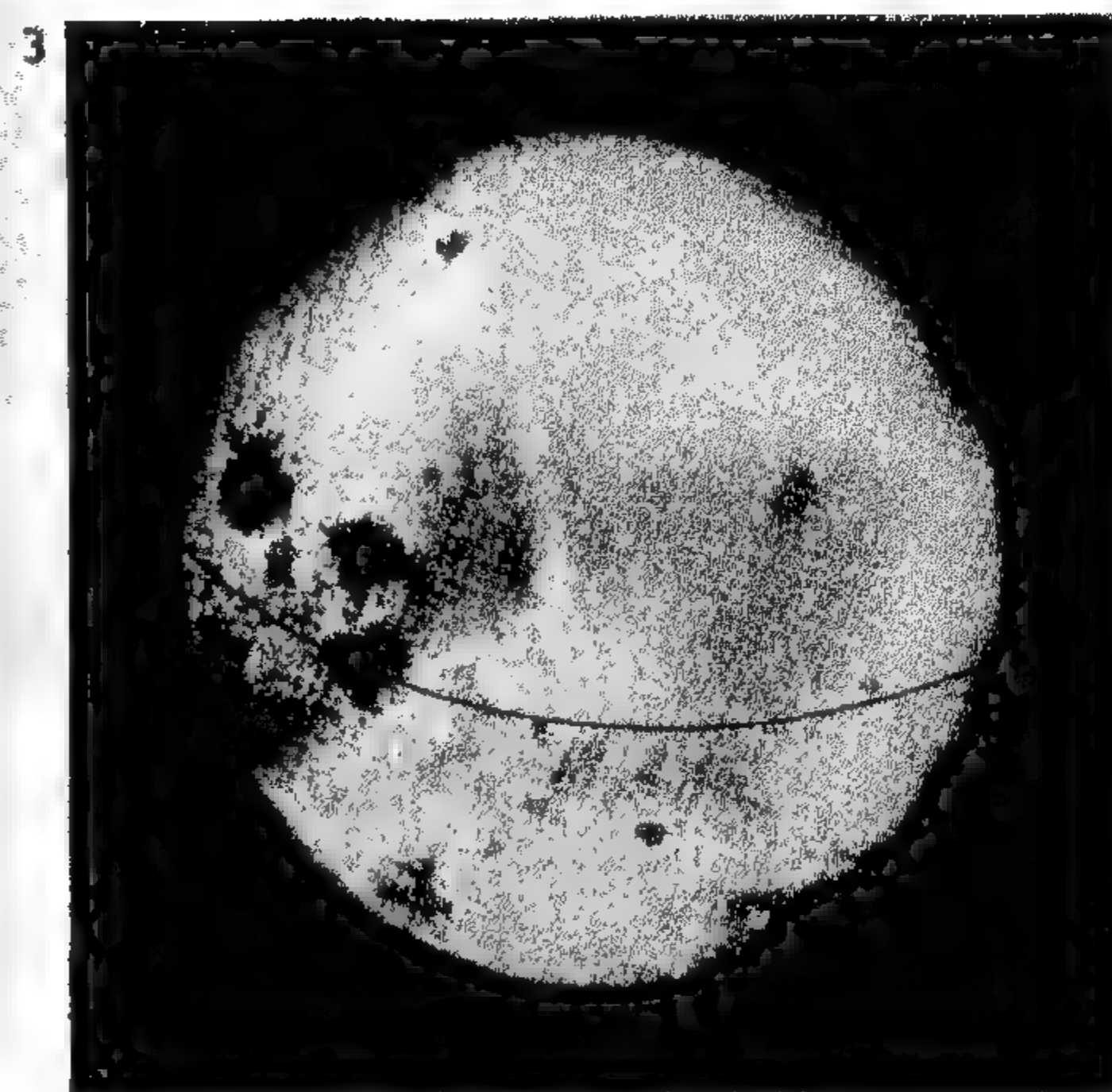
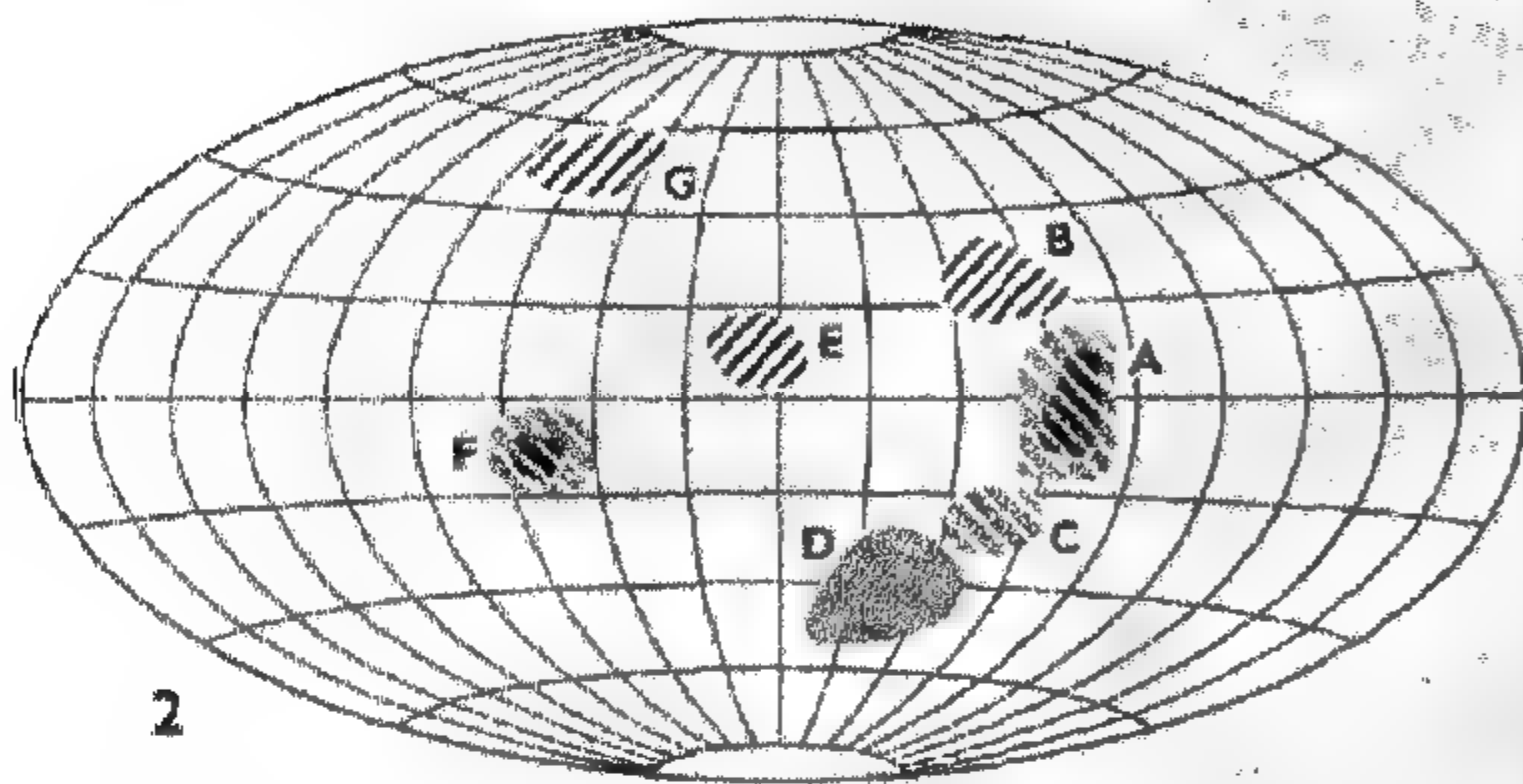
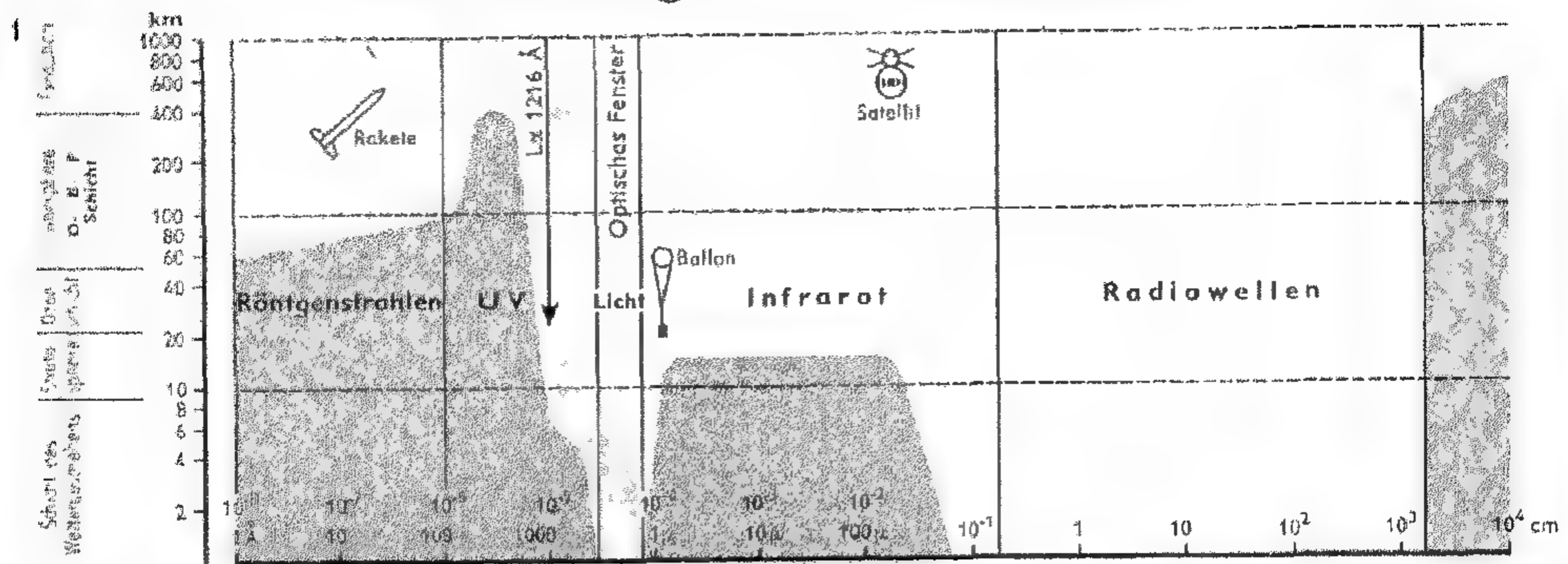
منطقة مافوق البنفسجى من طيف الشمس فيما بين الأطوال الموجية ٥٠٠ و ١٨٥٠ أنجستروم تقريبا - إلتقطت هذه الصورة ، الصاروخ إيروبى (Acrobec) ، على إرتفاع ٢٠٠ كيلومتر ، فى يوم ١٣ من مارس سنة ١٩٥٨.

على أليسار: صورة الشمس فى ضوء خط الطيف (L- $\alpha$ ) ليمان - ألفا - الأيدروچينى - إلتقطت هذه الصورة على إرتفاع ٢٠٠ كيلومتر ، فى يوم ١٣ من مارس سنة ١٩٥٨. ويبلغ طول قطر الشمس فى الصورة الأصلية ٣,٦ ملليمتر.

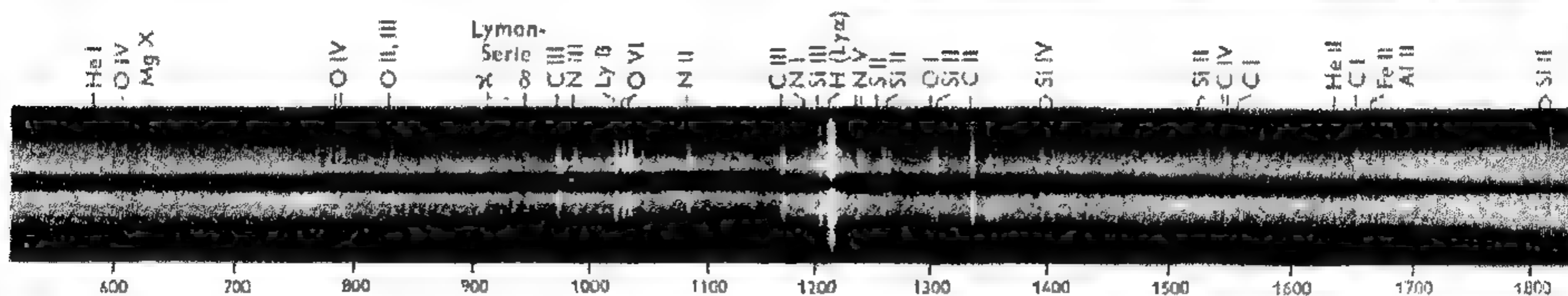
على اليمين: صورة الشمس فى ضوء أشعة رنتجن - إلتقطت هذه الصورة على إرتفاع ٢٠٠ كيلومتر ، فى يوم ١٦ من أبريل سنة ١٩٦٠. ويبلغ طول قطر الشمس فى الصورة الأصلية ١,٣ ملليمتر.



# Überwindung der Erdatmosphäre



1 Die Absorptionswirkung der Erdatmosphäre in verschiedenen Höhen über der Erdoberfläche und in verschiedenen Wellenlängen. Die optimalen Arbeitsbereiche von Ballons, Raketen und Satelliten sind angegeben. 2 Himmelskarte im Ultraviolettlicht von 1300 Å Wellenlänge aufgenommen. Die beobachteten UV-Gebiete (UV-Nebel) liegen im Bereich der Sternbilder: A = Orion; B = Skorpion; C = Großer Hund; D = Puppis und Vela; E = Löwe; F = Jungfrau; G = Großer Bär. 3 Mondrückseite, fotografiert von Lunik III am 7.10.1959. Waagr. Halbkreis: Mondäquator.



Ultraviolett-Spektrum der Sonne von ca. 500-1850 Ångström-Einheiten (Aufnahme am 13. 3. 1958 von Aerobee-Rakete in 200 km Höhe)

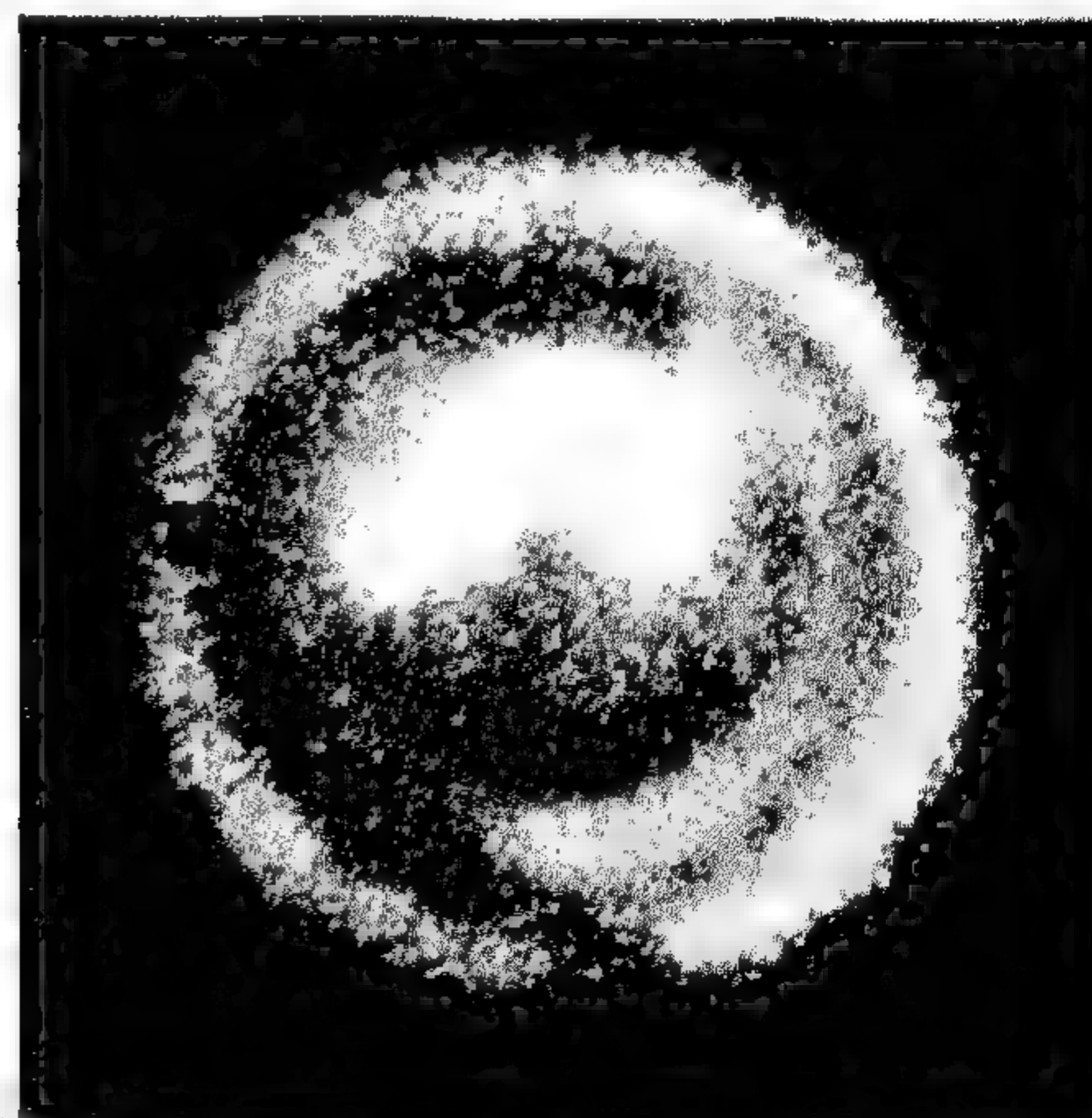
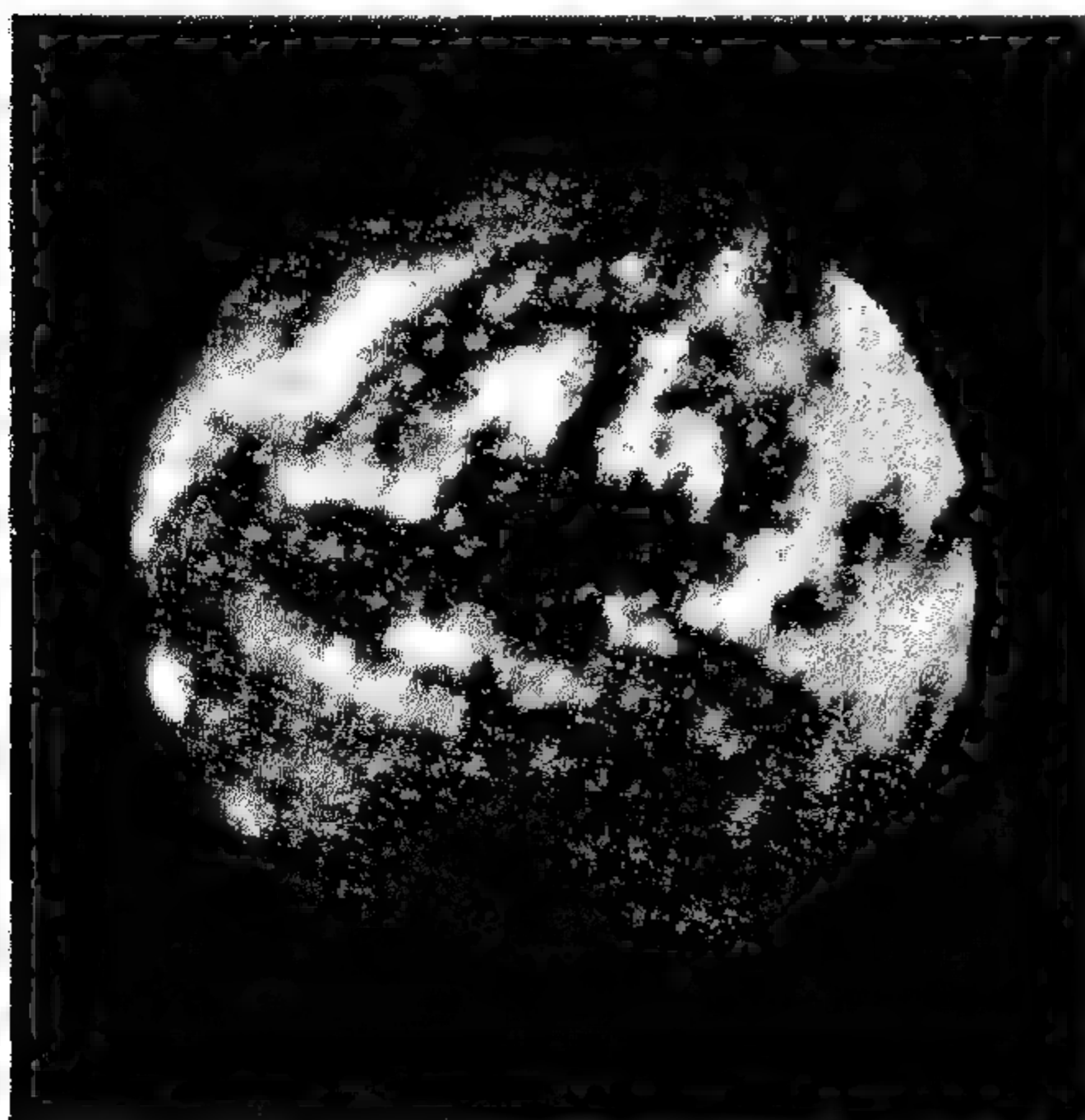


Bild der Sonne im Licht der Lyman-d-Linie des Wasserstoffs (Aufnahme am 13. 3. 1958, 200 km Höhe, Originalbild 3,6 mm Durchmesser). Rechts daneben Bild der Sonne im Röntgenlicht (Aufnahme 16. April 1960, 200 km Höhe, Originalbild 1,3 mm Durchmesser).



في خارج الكرة الأرضية، وذلك لأنها كانت تصل من اتجاه تبين بالبحث، أنه نفس الاتجاه، الذي يقع فيه مركز السديم المفرطحة، التي تنتمي مجموعتنا الشمسية إليها.

وعلى الرغم مما لهذه الحقائق العلمية من أهمية قصوى، عند محاولة الكشف عن المزيد من أسرار الكون، فإن علماء الفلك لم يحاولوا، في ذلك الوقت، الاستفادة من هذه الخاصية الجوية الهامة، عند إجراء بحوثهم.

ثم مضى ما يقرب من عشر سنوات على ذلك، بدأت الحرب العالمية الثانية في خلالها. ثم إنه لوحظ في أثناء هذه الحرب، أن أجهزة الرادار، شديدة الحساسية، تعاني من تشويش، ناتج عن موجات لاسلكية معينة، ظهر فيها بعد، أن الشمس كانت منبعها. وفي ذلك الوقت فقط، بدأ علماء الفلك في استخدام نافذة الموجات اللاسلكية الجوية، عند إجراء بحوثهم.

ثم إنه حدث، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أن توافرت الأجهزة اللاسلكية، شديدة الحساسية، كما توافر الفيزيون أيضا، ذوى المؤهلات العالية، وبذلك أمكن البدء في القيام ببحوث فلكية مستفيضة عبر نافذة الموجات اللاسلكية الجوية، وفق خطة مدروسة.

ويقتصر الفلك اللاسلكي اليوم على استعمال الأطوال الموجية فيما بين مليمتر واحد، وما يقرب من عشرة أمتار. وسبب ذلك، أن بخار الماء وثاني أكسيد الكربون، الموجودان في الجو، يمتصان أشعة مادون الأحمر، كما أسلفنا. ومعلوم أن هذه الأشعة، ماهي إلا موجات كهرومغناطيسية تقل أطوالها عن مليمتر واحد. أما تلك الموجات، التي تزيد أطوالها على ١٠ إلى ١٥ مترا، فإنها لاتصل إلى سطح الأرض كلية، وذلك نظرا لأن الأيونوسفير Ionosphere، الموجودة على ارتفاعات تزيد على ١٥٠ كيلومترا، من سطح الأرض، تعكسها بأكملها، في الكون مرة ثانية.

#### (٥) التلسكوب اللاسلكي:

مما يلفت نظر غير المتخصصين في علوم الفلك ذلك الفرق الكبير، بين حجم تلسكوب إبصارى عادى، وبين الحيز الكبير، الذي يشغله تلسكوب لاسلكى. ويرجع

هذا الفرق بين الحجمين الى عيب أساسى في جودة هذا التلسكوب، وذلك على الرغم من كبر حجمه. ويتلخص هذا العيب في عدم قدرة التلسكوب اللاسلكى على الفصل بين الأشعاعات، ذات الأطوال الموجية المختلفة، فصلا تاما. ولو أن للتلسكوب العادى عيبا مماثلا، لكان غير قادر على الفصل بين صور مرئياته. أما سبب ذلك، فيرجع إلى أن الموجات اللاسلكية أطول من الموجات الضوئية، بقدر كبير.

ويروفي أن أثبت هنا، ذلك التشبيه الظريف، الشائع بين علماء الفلك، من أن جودة الرصد بتلسكوب لاسلكى تشبه، مع الفارق، جودة إبصار شخص قصير النظر بدون نظارته.

وتوجد ثلاث طرق للحد من هذا العيب، ترمى جميعها إلى رفع قدرة التلسكوب اللاسلكى على الفصل بين الأشعاعات اللاسلكية التي يستقبلها معا، وهى:

(٥،١) أن يحتوى هذا التلسكوب على مرآة جوفاء كبيرة، أحد مقطعيها قطع مكافئ، وهذا في حين أن المقطع الآخر، العمودى على الأول، دائرى، قد يصل طول أكبر أقطاره إلى ما يقرب من مئة متر. ومثال ذلك تلسكوب «جوردل بانك» Jordell Bank بانجلترا، ذو المرآة الجوفاء، التي يبلغ طول أكبر قطرها ٧٥ مترا.

(٥،٢) أن يتكون التلسكوب اللاسلكى من شبكة هوائيات، تعمل وفق نظرية التداخل Interferometer، وذلك في حين أن طول قاعدة هذه الشبكة، قد يصل إلى بضعة كيلومترات.

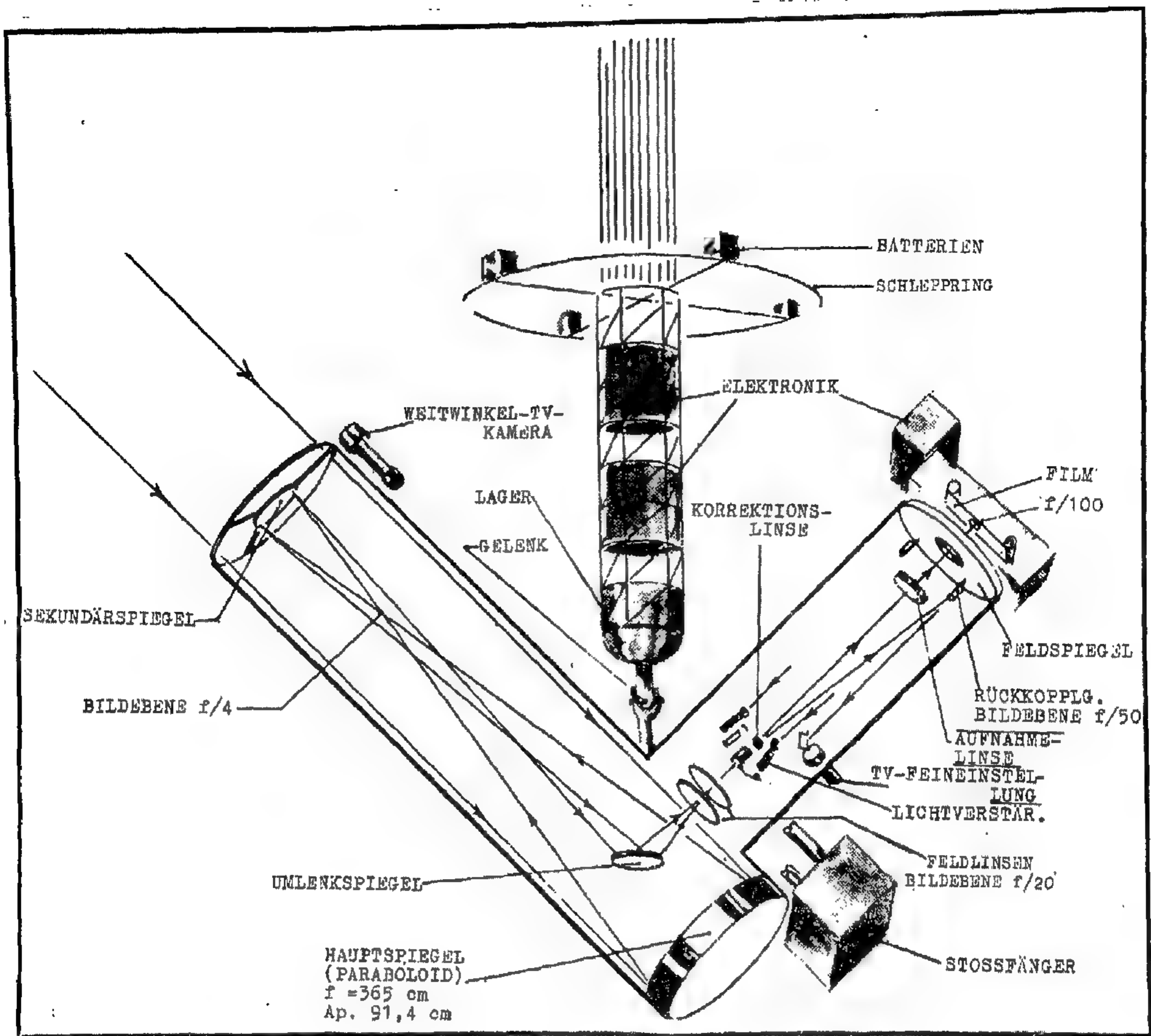
(٥،٣) أن يبنى التلسكوب اللاسلكى، على شكل هوائى مسطح، قد تزيد مساحته الفعالة على مساحة ساحة للعب كرة القدم.

ومجمل القول، أن تصميم التلسكوبات اللاسلكية يتطلب توصيلات كهربائية معقدة، وهذا إلى جانب الأجهزة الأبصارية (الضوئية). أما الغرض من كل ذلك، فهو رفع قدرة هذه التلسكوبات على التمييز بين الأشعاعات المختلفة، تمييزا مقبولا.

#### (٦) بيان بعض البحوث الفلكية اللاسلكية:

أضافت البحوث الفلكية اللاسلكية، شتى المعلومات المفيدة الهامة، إلى حصيلة البشر من علوم الفلكية. ومن بين هذه المعلومات حقائق عدة، عن الكون وما فيه، كان الكشف عنها، بطريقة أخرى، متعذرا.





تبين هذه الصورة طريقة تعليق وتصميم تلسكوب ألبالون، ذو المرآة، الذي استعمله م. شوارتز شلد في بحوثه الفلكية. وتوجد بهذا التلسكوب مرآة صغيرة، علاوة على المرآة الرئيسية، تمكس الضوء، الذي يصل إليها من أجرام السماوى المرصود، الى أجهزة أليمنى. وبذا يمكن استخدام كاميرا التلفزيون (Weitwinkel-TV-Kamera)، الميمنة بأعلى يسار الشكل، في ضبط التلسكوب لرصد منطقة معينة من السماء، وذلك بالتقاط صورة تليفزيونية، تمكن رؤيتها من سطح الأرض. هذا وتسجل الصور العلمية المطلوبة على الفيلم (Film) المثبت في نهاية خط سير الضوء، والمبين في يمين الشكل. أما الجزء الأيسر من التلسكوب فيبين طريقة تعليق هذا التلسكوب بالبالون، كما يبين أيضا بعض الأجهزة الكهربائية واللاسلكية اللازمة له.

ولاسلكيا، من فهم الكثير من خواص الكون، في مجموعه. ومن بين الظواهر الطبيعية، التي وصلوا إليها بهذه الوسيلة مثلا، تولد إشعاعات لاسلكية شديدة، إذا حدث أن مرت مجموعة كبيرة من النجوم في مجموعة أخرى مماثلة.

(٦٤) إثبات وجود مجموعات من النجوم، لانتمكن رؤيتها: ثبت، باستعمال التلسكوب اللاسلكي، وجود مجموعات من النجوم، تبعد عنا بمسافات تبلغ من

ولقد حدث هذا في فترة تبلغ عشرين سنة تقريبا، وهي تلك الفترة، الوجيزة، نسبيا، التي مضت منذ استخدام اللاسلكي في البحوث الفلكية، حتى اليوم. والأمثلة على هذه المعلومات كثيرة، نذكر القليل منها، فيما يلي:

#### (٦٥) النجوم اللاسلكية:

يطلق هذا التعبير على مناطق معينة في الكون، ذات إشعاعات لاسلكية شديدة جدا، وذلك في حين أن إشعاعاتها الضوئية ضعيفة في الغالب. ولقد تمكن علماء الفلك برصد هذه النجوم اللاسلكية، ضوئيا



الكبر حدا، تتعذر بسببه رؤيتها بأي تلسكوب إحصاري. ويرجح العلماء، أن هذه المجموعات موجودة في أطراف الكون الخارجية.

#### (٦،٣) البحوث اللاسلكية على السديم المفرطحة:

للفلك اللاسلكي أهمية خاصة عند إجراء البحوث على السديم المفرطحة، التي تنتمي مجموعتنا الشمسية إليها. ويعتبر الكشف عن إشعاع الأيدروجين على موجات لاسلكية طولها ٢١ سنتيمترا، من أهم ما توصل إليه علماء الفلك حديثا. فلقد ثبت، بهذه الموجات اللاسلكية، وجود كميات هائلة من الأيدروجين المتعادل (غير المشحون بالكهرباء)، وذلك على هيئة سحب تنتمي إلى سديمنا المفرطحة، كما أمكن بها أيضا إثبات وجود مجموعات من النجوم، أبعد من المجموعات المعروفة، وأخيرا تمكن العلماء بفضل هذه الموجات أيضا، من رؤية تكوين السديم المفرطحة الخلزوني.

#### (٦،٤) الظواهر الطبيعية، التي تسبب توليد إشعاعات لاسلكية:

أجريت حديثا، بحوث فلكية لاسلكية، على رقع غمام، من بقايا نجم متوهج Supernova، كان قد انفجر عام ١٠٥٤ ميلادية، وقد أدت هذه البحوث إلى الحصول على معلومات هامة، عن تلك الظواهر الطبيعية، التي تولد الإشعاعات اللاسلكية، (الأشعاعات السكلوترنية).

#### (٦،٥) استكمال البحوث الخاصة بطبيعة الشمس:

ليس شك، في أن الزيادة الكبيرة، فيما نعلمه عن الشمس وطبيعتها، تلك الزيادة التي اكتسبناها في أثناء السنين الأخيرة، قد اكتست بفضل استعمال الأجهزة اللاسلكية في البحوث الفلكية. فبفضل هذه الأجهزة، تمكن العلماء من فهم «فاعلية الشمس Sonnenaktivität» فيها صحيحا، كما تمكنوا باستعمالها أيضا من الكشف عن طبيعة «جو الشمس الأحمر Chromosphäre»، وعن تكوين تلك أهالة «Korona»، التي تحيط بها.

#### (٦،٦) استكمال البحوث الخاصة بالكواكب وتوابعها:

ساهم علم الفلك اللاسلكي، إلى حد كبير أيضا، في الكشف عن طبيعة الكواكب وتوابعها، فبهذا العلم

أمكن، على وجه الخصوص، ترجيح وجود حزام من الأشعة يحيط بكوكب المشتري، وهو حزام شبيه بذلك الحزام الذي يحيط بالكرة الأرضية.

ولا يفوتنا، أن نشر هنا إلى استخدام الرادار في علم الفلك اللاسلكي، للكشف عن طبيعة أجرام معينة، تنتمي إلى مجموعتنا الشمسية. فبالرادار تمكن العلماء من رسم خريط لسطح القمر، وبه تمكنوا من ملامسة كوكبي عطارد والزهراء.

ومجمل القول، أن طرق الرصد الحديثة، قد أدت إلى تقدم كبير في علم الفلك، ذلك العلم الذي كان يعتمد إلى عهد قريب، كل الاعتماد تقريبا، على التلسكوب الأبصاري العادي فحسب.

#### (٧) المراصد اللاسلكية الهامة على سطح الأرض:

يتطلب إعداد مرصد لاسلكي عددا كبيرا من الفنيين، كما يلزمه قدر كبير من الأجهزة والمعدات، مما يكلف أموالا طائلة، ولذا فإن عدد المراصد اللاسلكية الهامة، المركبة على الأرض، قليل جدا حتى الآن. وفيما يلي بيان بها، و باتجاهات البحوث فيها:

(٧،١) تركز بحوث الفلك اللاسلكي في هولندا، على إشعاعات السديم المفرطحة، وخاصة على إشعاع الأيدروجين على الموجة، التي يبلغ طولها ٢١ سنتيمترا.

(٧،٢) وفي جورديل بانك Jordell Bank بالإنجلترا، يعكف عدد من العلماء، على دراسة إشعاعات النجوم اللاسلكية.

(٧،٣) وتجرى معظم البحوث الفلكية اللاسلكية في كل من، أستراليا، والولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، وألمانيا الغربية، على إشعاعات الشمس.

(٨) الباليونات، والصواريخ، الأقمار الصناعية، ومسابر الكون الاستطلاعية، في خدمة الفلك:

فتحت التلسكوبات اللاسلكية، التي تتركب على الأرض، نافذة جديدة في الطيف الكهرمغناطيسي، إلى جانب نافذة الأبصار الجوية، سبق أن سمينها بعاليه «نافذة الموجات اللاسلكية الجوية».

◀ Spiralnebel : Andromeda-Nebel, aufgenommen vom Observatorium Mount Palomar

غيمة حلزونية: غيمة اندرومدا - إلتقطت هذه الصورة بمرصد مونت بالومار.







وعلى الرغم من أن العلماء قد تمكنوا، بفتح هذه النافذة الجديدة، من استخدام جزء ثان من الطيف، له أهميته، في بحوثهم، إلا أن أجزاء هامة أخرى من هذا الطيف، لازالت مغلفة أمامهم، وخصوصا تلك الأجزاء، ذات الموجات القصيرة، التي تقل الأطوال الموجية فيها، عن طول موجة الضوء البنفسجي. زد على ذلك أن تأثيرات ألحو على الرصد، من سطح الأرض، لازالت قائمة، وهذا بالرغم من فتح هذه النافذة الجديدة. فوميض النجوم مثلا، في منطقة الموجات الضوئية، يناظره وميض في الأشعاعات اللاسلكية، وهو ذلك الوميض، الذي ينشأ عن عدم تجانس الأيونوسفير.

ومجمل القول، أن استئصال التأثيرات الجوية على البحوث الفلكية، إستئصالا باتا، لا يتحقق إلا بنقل المراصد الى الفضاء.

#### ٨٨ (البالون) (المنطاد) في خدمة الفلك:

تصل البالونات الحديثة الى ارتفاعات كبيرة، من سطح الأرض، تبلغ في بعض الحالات ٣٠ كيلومترا، أي أنها تترك تحتها من ٩٥٪ الى ٩٨٪، من الغازات والأبخرة، الموجودة في طبقات ألحو المختلفة، بما في ذلك ما هو موجود منها في طبقات ألحو، ألغير متجانسة. هذا وقد سبق أن بينا أن التيارات المضطربة Turbulenz، التي تخبئ صور المرئيات بسببها، تنشأ على عدم تجانس ألحو. وتستعمل البالونات، تبعا لذلك في حالتين:

٨٨،١ (الأولى): عند ما يراد الحصول على صور فوتوغرافية شديدة ألوضوح، كما هو الحال عند دراسة طبيعة الشمس والكواكب وتوابعها مثلا.

٨٨،٢ أما الحالة الثانية، فعندما تجرى تجارب تدخل في نطاق ذلك الجزء من الطيف، الذي يسمى «أشعة مادون الأحمر». وسبب ذلك أن بخار الماء، وثنائي أكسيد الكربون، الموجودان في ألحو، يمتصان هذه الأشعة، كما أسلفنا.

ولقد كان عالم الطبيعة الألماني ريجنر Regener، أول من استخدم البالونات في خدمة الفلك، كما كان ذلك في خلال السنوات الثلاثينية، عندما أراد، أن يكمل دراسة منطقة «ما فوق البنفسجي» من طيف الشمس، وعلى وجه التحديد، من ناحية موجاتها الشديدة القصيرة. أما سبب استعمال بالون، لهذا

ألغرض، فهو أن الأوزون، الموجود على ارتفاع ٢٠ الى ٤٠ كيلومترا من سطح الأرض، يمتص إشعاعات هذه المنطقة من الطيف، كما أسلفنا.

وجدير بالذكر، أن الصواريخ، والأقمار الصناعية، ومسابر الكون الاستطلاعية، تستعمل اليوم، بدون استثناء تقريبا، لهذا ألغرض، عوضا عن البالونات.

وتستعمل البالونات لأغراض أخرى، حتى اليوم، في البحوث الفلكية، كما أننا نخص بالذكر في هذا الصدد، مجموعتين من العلماء، الفرنسيين والأمريكيين، نجحتا بالفعل، نجاحا باهرا، في الحصول على معلومات هامة، بواسطة البالونات.

#### ٨٩ (الصواريخ في خدمة الفلك):

في أواخر الحرب العالمية الثانية، فكر بعض العلماء، بمركز بحوث الصواريخ الألماني، بمدينة بنمينده Penemünde، في تركيب مسجل للطيف (سبكتروجراف Spektrograph) في صاروخ، من النوع الذي عرف، فيما بعد، بالحروف VII, A 4. ولقد كان ألغرض من ذلك، تصوير أشعة الشمس فوق البنفسجية من ارتفاع يبلغ ٩٠ كيلومترا، من سطح الأرض، تقريبا. وفي سنة ١٩٤٦، تمكن الأمريكيون من تنفيذ هذا البرنامج، وكان ذلك باستخدام صاروخ، من هذا النوع، كانوا قد حصلوا عليه، في ذلك الوقت، من بن غنثم ألحرب.

ويهمنا أن ننبه هنا، الى أن للصواريخ، المزودة بأجهزة فلكية، عيب هام، وهو أن الصاروخ لا يبقى على الارتفاعات الكبيرة، التي تتطلبها البحوث الفلكية، سوى ثوان معدودات، وعلى أحسن ألغرض، سوى بضع دقائق قليلة. ولعله من المفيد، أن نذكر هنا أيضا، أن للبالونات نفس العيب، إذ أن الفترة، التي يمضيها البالون على الارتفاع المطلوب، لا تزيد على ساعات قليلة.

وعلى الرغم من هذا التقييد في الوقت، فقد أمكن، باستخدام الصواريخ، تنفيذ برامج فلكية هامة، وذلك نظرا للارتفاعات الكبيرة نسبيا، التي يمكن أن تصل للصواريخ إليها. والأمثلة على هذه البرامج كثيرة، نخص بالذكر منها، مايلي:

٨٩،١ (٨٩،٢) تصوير الشمس بأشعة رنتجن، وكذا بالأشعة فوق البنفسجية، ذات الأطوال الموجية القصيرة.



(٨،٢،٢) تسجيل طيف الشمس، حتى منطقة رنتجن بالطيف الكهرا مغناطيسي.

(٨،٢،٣) سبر السماء بالأشعة فوق البنفسجية، ولقد كان ذلك باستخدام صواريخ، أمكن بها اكتشاف مناطق كبيرة بالسماء، تنبعث منها الأشعة فوق البنفسجية بشدة.

(٨،٢،٤) قياس شدة الأشعة فوق البنفسجية، التي تنبعث من بعض النجوم.

(٨،٣) الأقمار الصناعية، ومسابر الكون الاستطلاعية، في خدمة الفلك:

أفادت الخبرة المكتسبة من الصواريخ المزودة بالاجهزة الفلكية، أعظم الفائدة، عند تصميم تلك الأقمار الصناعية، ومسابر الكون الاستطلاعية، التي أطلقت في الفضاء، منذ سنة ١٩٥٨. هذا، ولقد حققت هذه الأقمار، وهذه المسابر، حلم علماء طبيعة الفلك، وذلك بتمكينهم من نقل أجهزتهم الى الفراغ. وبذلك فقد أنعدم امتصاص أجزاء من الطيف الكهرا مغناطيسي، كما أنعدم تفريق الضوء وانكساره، وغيرها من تلك التأثيرات الجوية، التي كانت تحد، فيما مضى، من جودة الرصد ومن مداه. وحتى جاذبية الأرض، التي تتحكم، الى مدى بعيد، في تصميم التلسكوبات الأرضية، لا أثر لها على تصميم التلسكوبات، التي تسبح في الفضاء، ويرجع تحكم الجاذبية في تصميم التلسكوبات الأرضية، الى ضرورة منع أى انحناء في العدسات والمرايات الكبيرة، التي تحتويها هذه التلسكوبات، وذلك نظرا لأن أى انحناء، يغير من أشكالها، له أسوأ الأثر على الخواص البصرية، لهذه العدسات والمرايات. ولقد نتج عن فاعلية العجلة الأرضية، أن أصبح من المتعذر عمليا، تركيب عدسة يزيد قطرها على متر واحد، أو تركيب مرآة جوفاء يزيد أكبر أقطارها على خمسة أمتار، في تلسكوب أرضي، مثلا. ولا وجود لمثل هذه الصعوبات في تلسكوبات الأقمار الصناعية، إذ أن قوى الجاذبية، التي يمكن أن يتسبب عنها انحناء في عدساتها ومراياتها، معدومة أصلا، عندما تسبح هذه الأقمار في مداراتها. وقد يعترض البعض على تفضيل التلسكوبات السابحة في الفضاء، على تلك التي تثبت على الأرض، بأن صعوبات فنية إضافية تنشأ في الحالة الأولى، وذلك بسبب

تلك الاجهزة الالكترونية الكثيرة، التي تلزم لتسيير القمر الصناعي في مداره، وللتحكم في أجهزته، وأخيرا لإرسال النتائج لاسلكيا إلى الأرض، وذلك عند تنفيذ برنامج معين، أو حتى عند تنفيذ برنامج تمليه الظروف المؤقتة، يتغير من حالة الى أخرى. وألحاح على مثل هذا الاعتراض، أن صعوبات فنية من هذا القليل، وأن كانت لا تحل إلا بأنفاق الأموال الطائلة، في أغلب الأحيان، إلا أنه يمكن حلها من الوجهتين العملية والعلمية، وهذا بخلاف الصعوبات التي يسببها وجود الجو، وهو، كما أسلفنا، ستار يحول بين المراصد الأرضية، وبين الكون وما فيه، كما أنه ستار لا يمكن التغلب على تأثيراته السيئة، مهما بذل في سبيل ذلك من جهد ومن مال، إلا إذا أنفقت هذه الأموال، وتركزت هذه الجهود، على نقل المراصد الى الفراغ.

(٩) البحوث التي أجريت حتى الآن، بالأقمار الصناعية، وبمسابر الكون الاستطلاعية:

نشرت المعلومات الأولى، التي حصل العلماء عليها، بواسطة الأقمار الصناعية، وبمسابر الكون الاستطلاعية، نذكر بعضها فيها يلي:

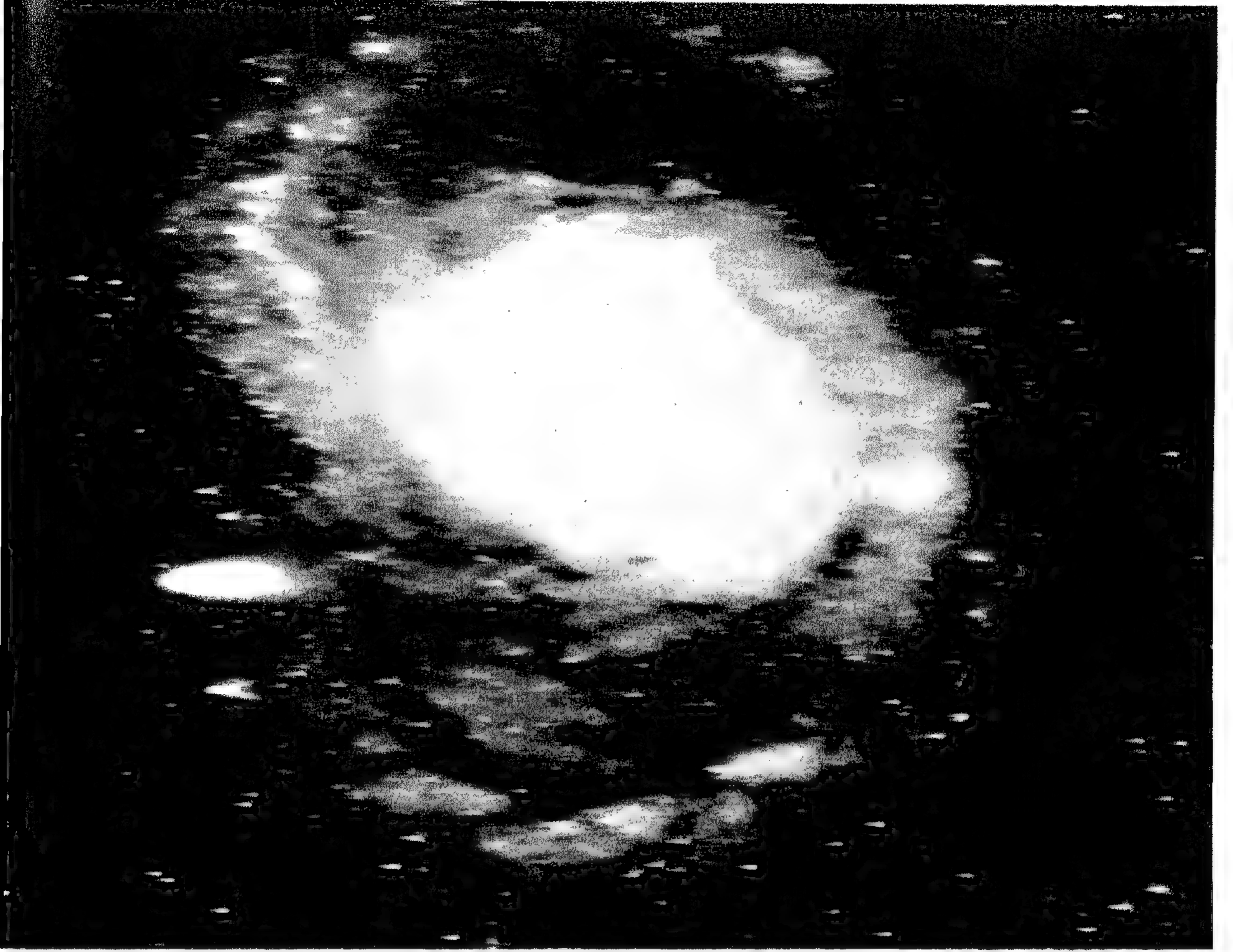
(٩،١) في ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥٩، تمكن مسبر القمر، الروسي لونك III، من إرسال صور لظهر القمر الى الأرض، ونعني هنا بظهر القمر نصفه، الذي لا يرى من على سطح الأرض أبدا.

(٩،٢) في ١٤ من ديسمبر سنة ١٩٦٢، إقرب مسبر الزهراء، الأمريكي مارينر II، من هذا الكوكب، بحيث كانت المسافة بينها ٣٠،٠٠٠ كيلومتر فقط، وهي مسافة جد قصيرة بالنسبة لبعد هذا الكوكب عن الكرة الأرضية.

ولقد أمكن بذلك، الحصول على معلومات قيمة عن جو الزهراء، وذلك فيما يتعلق بدرجة الحرارة، والكثافة، وكذا بالمجال المغناطيسي لهذا الكوكب، وغير ذلك من المعلومات.

(٩،٣) في ٧ من مارس سنة ١٩٦٢، بدأ مرصد امريكي سابح دورانه في الفراغ، حول الأرض، وكان ذلك لاستطلاع طبيعة الشمس من الفراغ. وبهذا كان هذا المرصد السابح، الذي يعرف بالحروف O.S.O. (Orbiting Solar Observatory) أول مرصد





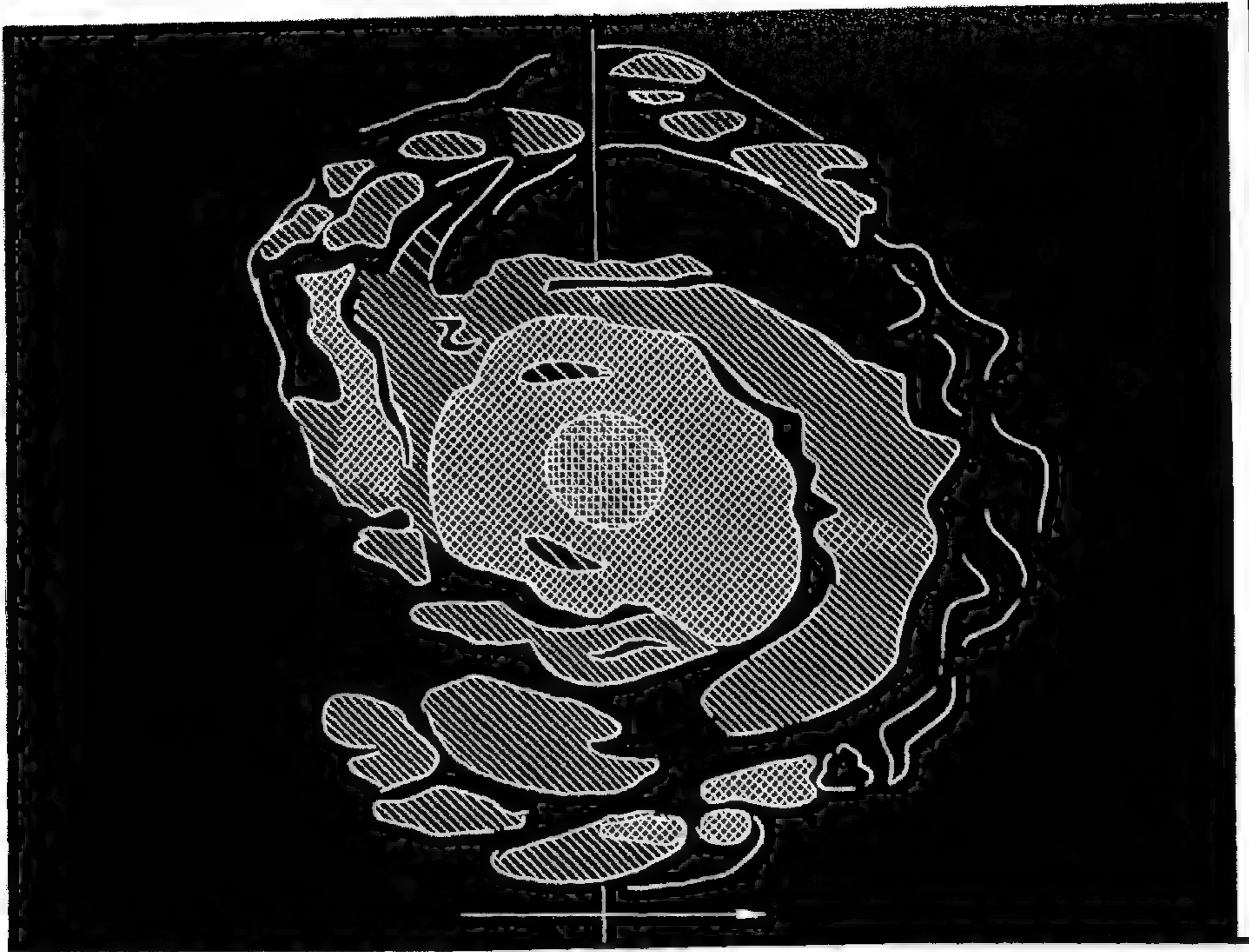
غيمة أندرومدا؛ تصوير: ن. ريختر و وايبrecht N. Richter und O. Weibrecht مرصد كارل شوارتزشلد، فيينا.

لا يرى الراصد من سطح الأرض المسقط الأفقي لغيمة أندرومدا (Andromeda-Nebel) الشهيرة، بل هو يرى هذه المجرة، التي تبعد عنا بما يقرب من ٢,٥ مليون سنة ضوئية، من اتجاه مائل بالنسبة للمستوى الذي تدور هذه المجرة فيه، كما أن الراصد يراها مقلعة وهي في الحقيقة ليست كذلك.

(٩,٣,١) دراسة أشعة رنتجن، فيما بين الطولين  
الموجيين انجستروم واحد و ٤٠٠ أنجستروم.  
(٩,٣,٢) دراسة الطاقة الموجودة في أشعة جاما  
(Gammastrahlung) فيما بين المقدارين  
٠,٢ و ٣ مليون الكترونفولت وكذلك  
ما يزيد منها على ١٠٠ مليون الكترونفولت.

يطلق في الفراغ، للحصول على معلومات فلكية  
بجته. ولقد ظل هذا المرصد يسبح في الفضاء ٧٧  
يوما، رصد الشمس، أثناءها، خلال ألف ساعة  
تقريبا، وظل يرسل ماتسجله أجهزته الدقيقة،  
لاسلكيا إلى الأرض، وقد حدث كل ذلك بدون  
عطل ما أو خلل. ومما تضمنه برنامجها ما يلي:





Boreal Andromeda. Foto: N. Richter e O. Weibrecht, Observatório "Karl Schwarzschild", Tautenburg, Turíngia.

ولذا فقد قام عالما الفلك ريجرو فيبريخت بمركز شوارتزشلد، بالقرب من مدينة يينا (Jena) بألمانيا بتجربة هامة، على صورة فوتوغرافية لهذه المجرة، وذلك لاستنباط شكل هذه الغيمة، عند ما ينظر الإنسان إليها في اتجاه عمودي على المستوى الذي تدور فيه (أي مسقطها الأفقي).

ولقد تمكن هذان العالمان بعد القيام بدراسات ضوئية بصرية معقدة دقيقة، من استنباط شكل مسقط هذه المجرة الأفقي المطلوب. وتتلخص نتيجة هذه التجربة الهامة في أن مسقط غيمة أندرومدا الأفقي يشبه إلى حد كبير نوعين أساسيين من المجرات المائلة، ومن وجوه الشبه بينها، وجود نواة ظاهرة ذات ذراعين رئيسيين، كما أن هذه النواة أذرع ثانوية. وتشبه هذه الأذرع الحلزون اللوغاريتمي شكلاً، في كثير من الأحوال. وعلاوة على ذلك فإن قلب هذه المجرات، الذي يكون النواة، يشبه عدسة مستديرة، أو بيضاوية الشكل بقدر قليل.

وفي أعلى الشكل صورة فوتوغرافية، التقطها ريجرو وفيبريخت بواسطة تلسكوب من صنع شركة يينا (Jena) ذو مرآة قطرها متران. وفي أسفل الشكل كروكي لمسقط هذه المجرة الأفقي. وجدير بالذكر أن عالم الفلك الألماني ه. سيدنتيف كان قد تساءل منذ ٢٥ سنة عن شكل مسقط غيمة أندرومدا الأفقي.

(٩،٣،٤) دراسة البروتونات، والنيوترونات،  
والألكترونات، التي تنبعث من الشمس،  
ومن النيازك الدقيقة، (Mikro-  
(meteoriten)

وغنى عن البيان، أن برنامجاً كهذا، لا يمكن تنفيذه  
من سطح الأرض مطلقاً، ونزيد على ما تقدم،

(٩،٣،٣) تسجيل خطوط ليمان في منطقة فوق  
البنفسجي، من طيف الأيدروجين  
الكهرامغناطيسي، وهذه الخطوط من  
أهم الخطوط الموجودة بطيف الشمس،  
كما أنها من بين الخطوط، التي لا يمكن  
تسجيلها أبداً، من سطح الأرض.



أنه من المعلوم، للخاص والعام، أن أقمارا صناعية أخرى كثيرة، قد أطلقت بالفعل، لأغراض فلكية متعددة، نخص واحدا منها فقط، بالذكر، فيما يلي:

(٩،٣،٥) القمر الصناعي الأمريكي، إكسبلورر ١١ (Explorer 11)، الذي أطلق في أبريل سنة ١٩٦١، مزودا بالأجهزة اللازمة لاثبات وجود أشعة جاما الكونية، ومعلوم أن هذه الأشعة، ماهي إلا موجات كهرومغناطيسية، ذات أطوال في غاية القصر، وأن هذه الأطوال أقصر بقدر كبير، نسبيا، من أطوال موجات الضوء البنفسجي، وأنها أقصر كذلك من أطوال أشعة رونتجن، الموجية، بمقادير أقل.

(١٠) البحوث المستقبلية، بالأقمار الصناعية، وبمسابر الكون الاستطلاعية:

يزمع إطلاق عدد من الأقمار الصناعية، أثناء هذا العام، وكذا في خلال العام المقبل، إن شاء الله، وذلك لأغراض فلكية بحثية، ومن بين هذه المشروعات مايلي:

(١٠،١) القمر الصناعي (Orbiting Astronomical

Observatory) O.A.O.، الأول، الذي أوشك على الانطلاق، حاملا أربعة تلسكوبات بكل منها مرآة قطرها ٢٠ سنتيمترا، الغرض منها، هو دراسة الأشعاعات فوق البنفسجية، الموجودة في قبة السماء. وسوف يحمل هذا القمر تلسكوبا آخر أيضا، ذو مرآة قطرها ٥٠ سنتيمترا، لدراسة الأشعاعات المائلة، التي تنبعث من بضعة مئات من النجوم، وكذلك الأشعاعات فوق البنفسجية، التي تنبعث من مواد كونية أخرى، وكل ذلك فيما بين الطولين الموجيين ١١٠٠ و ٣٠٠٠ أنجستروم. وسوف يدور هذا القمر الصناعي، حول الأرض، على ارتفاع يبلغ ٧٠٠ كيلو مترا من سطحها.

(١٠،٢) القمر الصناعي O.A.O. الثاني، المزمع إطلاقه عام

١٩٦٥، بحيث يكون مداره على نفس ارتفاع مدار القمر O.A.O. الأول، تقريبا، وسوف يكون أهم جهاز في هذا القمر الثاني، تلسكوب ذو مرآة بفتحة قدرها ٩٠ سنتيمترا، كما سوف يحمل هذا القمر أيضا، مسجلا حساسا لمنطقة فوق البنفسجي

(Ultraviolet Spektograph) من الطيف الكهرامغناطيسي.

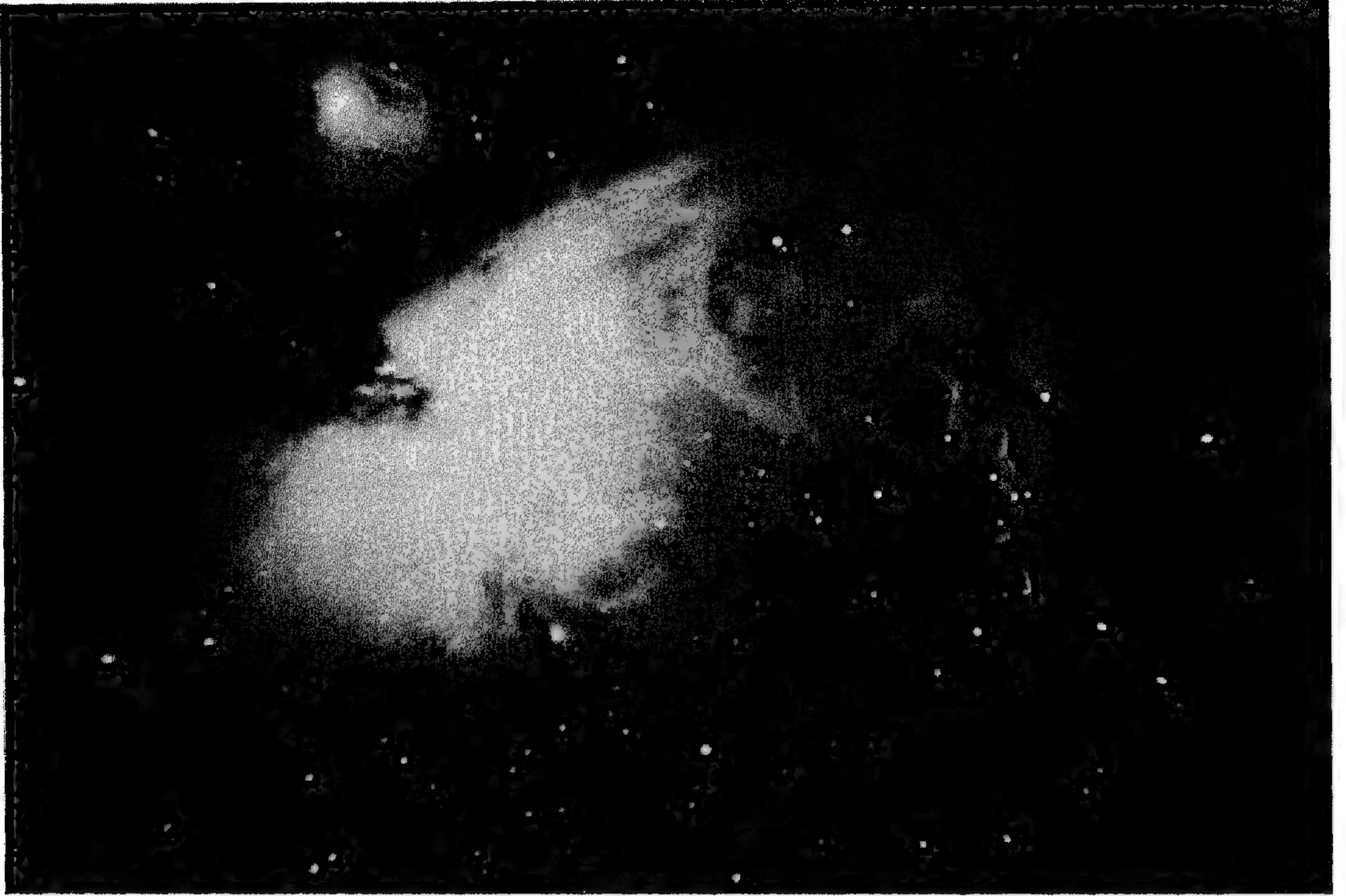
وجدير بالذكر أن قدرة تلسكوب سابح بفتحة قدرها ٩٠ سنتيمترا، تعادل قدرة تلسكوب «مونت بالومار» الأرضي، ذو المرآة، التي يبلغ طول أكبر قطر فيها خمسة أمتار. وعلاوة على ذلك فإن قدرة التلسكوب السابح الأول، تفوق قدرة التلسكوب الأرضي الثاني، من نواح فلكية كثيرة. ولا جدال في أن الأجهزة الإلكترونية اللازمة لهذا التلسكوب السابح، سوف تتطلب إنفاق الكثير من المال، وبذل الكثير من الجهد، غير أن حل الصعوبات الفنية المنتظرة ممكن علميا وعمليا، كما أسلفنا.

(١١) خاتمة:

أصبح إجراء البحوث على الأجرام السماوية، وعلى المواد الموجودة في خارج الكرة الأرضية، رأسا وبدون حاجة إلى الاعتماد الكلي على الأشعاعات، التي تصل إلى سطح الأرض، أمرا في حيز الأمكان، وذلك بفضل ما هو منتظر من تقدم، في هندسة الأقمار الصناعية ومسابر الكون المستطلعة، مع مرور الزمن. وأولى المحاولات، في هذا الصدد، أمر معروف، يتلخص في جمع شيء من النيازك الدقيقة Mikrometeoriten، وجمع عينات من المواد الموجودة في الفضاء بين الكواكب، وذلك باستخدام الصواريخ، والأقمار الصناعية، ومسابر الكون الاستطلاعية، التي تعود إلى الكرة الأرضية ثانية، بعد انتهاء رحلاتها في الفضاء. وسوف تتاح الفرصة، بهذه الوسيلة، لعالم طبيعة الفلك، أن يجري بحوثه في معمله على سطح الأرض، على أجسام ومواد كانت موجودة، فيما مضى، على مسافات بعيدة جدا عن الكرة الأرضية. وعلاوة على ذلك، فسوف تتمكن قريبا، مسابر الكون المستطلعة، التي تعرف بكلمة «رينجر Ranger»،<sup>(١)</sup> من إجراء تجارب معينة، على سطح القمر ذاته. ومن بين مايلزم لتحقيق ذلك، التحكم، عن بعد، في الأجهزة، حال وجودها على سطح القمر، كما سوف يتطلب إجراء هذه التجارب أيضا، أن تقوم هذه الأجهزة تلقائيا، بأرسال ما تسجله، لاسلكيا، إلى الكرة الأرضية. وسوف يصبح في الأمكان كذلك، بعدمضي فترة من الزمن، لإجراء تجارب مماثلة، على الكواكب، أو

(١) وصل مسبر القمر الاستطلاعي الأمريكي «رينجر ٧» إلى القمر فعلا، أثناء إعداد هذا المقال للنشر، كما أرسل إلى الأرض الكثير من الصور ومن المعلومات القيمة.





Helle und dunkle Nebel bei gamma Cygni غيوم متوهجة وأخرى داكنة عند المجرة آلتى تسمى جاما كجنى .

أن هذه الفترة تكفى لكى تعيش أجيال عدة، على سطح الأرض. وبالتالي فأن وصول الإنسان الى مجموعة شمسية أخرى يعتبر، حتى وقتنا هذا، حلماً يحول دون تحقيقه أن أقصى سرعة قد وصل صاروخ إليها، حتى اليوم، لازالت صغيرة جداً بالنسبة لتلك السرعة الخيالية، التى يتطلبها تحقيق هذا الحلم.

وقبل أن نختتم هذا المقال، نقرر هنا بأنه من العسير أن يتنبأ أى إنسان بالتطورات، التى سوف تنتج عن استخدام الأقمار الصناعية ومسابر الكون الاستطلاعية، فى البحوث الفلكية، فعلم هذا عند الله وحده. وكل ما يمكن أن يقال، فى هذا الصدد، هو أن الإمكانيات، التى أصبحت اليوم فى متناول البشر، هى إمكانيات لا حدود لها. وعلاوة على ذلك فسوف ينقلب الكثير مما نعلمه اليوم عن الكون، رأساً على عقب، وأخيراً سوف تستجد حتماً، صعوبات لا يفكر أحد فيها اليوم.

على توابعها، وكل ذلك، قبل أن يتمكن أى إنسان من وضع قدمه على إحداها، وهذا يفرض أن الوصول إلى الكواكب أو إلى توابعها، أمر يمكن تحقيقه.

ومجمل القول أن عصرنا هذا يتميز عن غيره من العصور، بأن الإنسان قد أصبح قادراً فيه على أن يتخطى حاجزاً، كان تخطيه يعتبر أمراً مستحيلاً، فيما مضى. ونعنى بهذا الحاجز اجراء البحوث على الأجرام السماوية ذاتها. على أنه يجب أن نشر هنا، إلى أن هذه الخطوة الموفقة، خطوة محدودة، إذ أنها تقتصر عملياً على الأجرام الموجودة فى حدود مجموعتنا الشمسية. أما سبب ذلك فيرجع إلى أن الأوضاع الهندسية الحالية، لا تسمح بأكثر من ذلك، وسنبين هذه الحقيقة، بأبجاز، فيما يلى: يقع أقرب نجم إلى مجموعتنا الشمسية، على مسافة تقدر بأربع سنين ضوئية. فإذا ما حسينا فترة الزمن اللازمة للوصول إلى هذا النجم، على أساس أقصى سرعة يمكن أن يصل إليها صاروخ، حتى اليوم، لوجدنا



# عبر الحدود

*Glücklich der Nu, da wir im Schlosse weilen,  
wir: du und ich.  
Wohl ist der Leib — die Seele nicht zu teilen;  
wir: du und ich.  
Des Gartens Farbe und der Hauch der Vögel  
wird Lebensquell  
In jener Zeit, da wir zum Garten eilen,  
wir: du und ich.  
Vom Himmel kommt die Sternenschar, zu schauen  
auf dich und mich.  
Wir zeigen ihr den Mond selbst ohn' Verweilen,  
wir: du und ich.  
Ohn „Ich“ und „Du“, so werden in Verzückung  
wir dann vereint.  
Beglückt, und frei von wirrer Rede Zeilen,  
wir: du und ich.  
Vor Neid verschlingen alle Himmelsvögel  
ihr eigenes Herz  
Dort, wo so selig lachend wir verweilen,  
wir: du und ich.  
Das Wunder ist, daß wir, in einem Winkel  
hier hold vereint,  
Zugleich getrennt sind viele tausend Meilen,  
wir: du und ich.*

*Du bist's, der manchmal trägt den Schild,  
bist manchmal Räuber auch,  
Du bist, der unser Speicher ist,  
bist, der den Speicher bricht.  
Nächst hundert Liebeskleider du  
und reißt sie dann entzwei,  
Und plötzlich schiebst du mir die Schuld  
dafür zu vor Gericht!  
Du bist ein Meer, die Welten sind  
von dir ein Tropfen nur,  
Zweihundert Schächte Goldes du —  
die Welt nur Staubgewicht!  
Hast Macht, daß du dem Blinden sagst:  
„Nun tu dein Auge auf!“  
Du schenkst das Wort und sagst: „Seht her,  
wie schön der Stottrrer spricht!“  
Du bist der Wein, du bist der Rausch,  
der Freund du und der Feind,  
Solch einem Feinde opfern wir  
gern tausend Seelen licht!*

من كتاب منتخبات من ديوان المتصوف الكبير مولانا جلال الدين الرومي في ترجمات منظومة بقلم اناماري شميل. نشره دار نشر فيليب ريكلام، شويتجارت بمساعدة يونسكو، سنة ١٩٦٤.

«صدقت الكلمة النبوية الحمديّة «الناس معادن كعادن الذهب والفضة» فهي هو المولوى جلال الدين البلخي قدس الله روحه الزاكي معدن الذهب الابريز الناطق...»

هكذا يقول مترجم مشنوى مولانا جلال الدين الرومي الى اللغة العربية الفصيحة، وهو عبد العزيز صاحب الجواهر، ولله دهره!  
وقد قام كثير من الشعراء والمتصوفين في الشرق والغرب بترجمات وشرح اشعار مولانا جلال الدين، وصار هو اشهر مثل الشعر الصوفي، يعتبره اهل الشرق والغرب شاعر العشق المطلق ومبشر الجلال الالهي...

ونود ان نورد هنا قطعتين من ترجمة جديدة لبعض اشعاره، وشعرين قد ألفت حول مدينة قونيا التي يوجد فيها مزار هذا الشاعر العظيم.

خنك آن دم كه نشينيم در ايوان من وتو  
بدو نفس وبدو صورت بيكي جان من وتو  
داد باغ و دم مرغان بدهد آب حيات  
آن زماني كه در آيم بيستان من وتو  
اختران فلك آيند بنظاره ما  
مه خودرا بنمايم بدیشان من وتو  
من وتو بي من وتو جمع شويم از سر ذوق  
خوش و فارغ زخرافات پريشان من وتو  
طوطيان فلك جمله شكر خوار شوند  
در مقامي كه بخنديم بدانسان من وتو  
اين عجبت كه من وتو بيكي كنج اينجا  
هم درين دم بعراقيم وخراسان من وتو

\*

توى كه بدرقه باشي كهي، كهي رهن  
توى كه خرمن مائي و آفت خرمن  
هزار جامه بدوزي ز عشق وپاره كني  
وآنكهان بنويسي تو جرم آن برمن  
توقلزمي ودو عالم زتست يك قطره  
قراضه ايست دو عالم، توى دو صمد معدن  
تراست حكم كه كوي بكور: «چشم كش»  
سخن تو بخشي وكوي كه كفت آن الكن  
تو باده، توخاري، تو دشمني وتو دوست  
هزار جان مقدس فدای اين دشمن





مولانا جلال الدين الرومي في وسط المتصوفين المشهورين.  
 قسده الرسام الكبير الفلمنكي رمبراند (Rembrandt) لوحة صنعت في عهد السلطان اكبر او ولده جهانكير في الهندستان، ونرى هناك مولانا جلال الدين  
 في الطرف اليمين وفي يده فنجان.  
 عن كتاب شهاب الدين اوزلق: مولويكده رسم، رسمه مولويلر، انقره ١٩٥٧.

*Heidi Pataki*

*Spanne dich vor den Kleinen Wagen,  
 ziehe die Marmorstraße entlang.  
 An der Säule von Konya  
 findest du mich,  
 wenn die Derwische tanzen.*

*Opfere deine Flöte,  
 wirf die Schlangenhaut ab,  
 mit erhobenen Armen.  
 Im rechten Teller liegt Paulus,  
 die linke Hand  
 schenke der Erde.*

*Gott wohnt in beiden.  
 Die Tränenasen sind leer.  
 Lausche, lausche dem Schilf.*

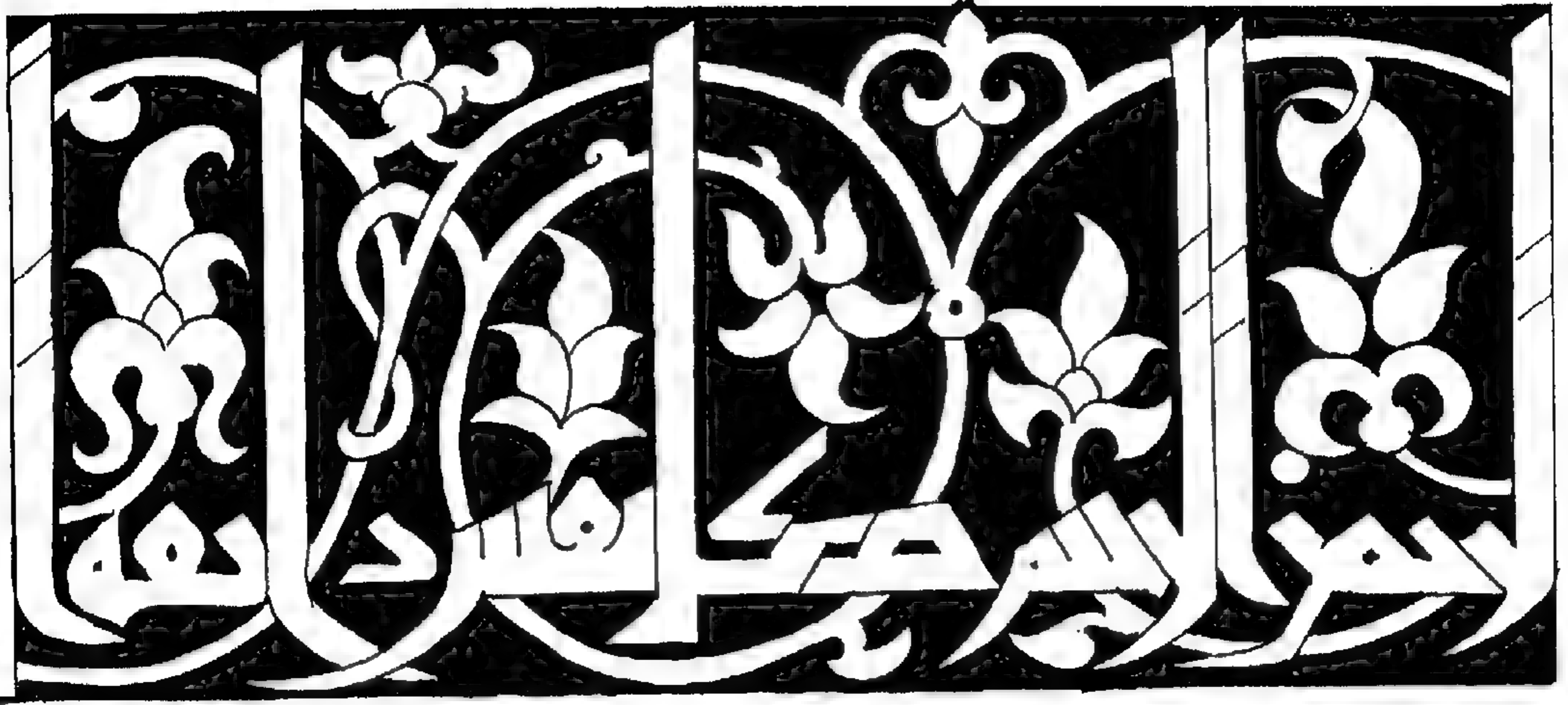
*Cemile Kiratli*

*Die violetten Schafe  
 Am Brunnenrand gedrängt;  
 Ein Mond, der halb im Schläfe  
 Weiß zwischen Wolken hängt;*

*Von feuchtbeschnitten Straßen  
 Ein amethystnes Band —  
 Wie wir die Zeit vergaßen,  
 Wie Mond und Wolke schwand!*

*Aus Sternen wuchs der Reigen,  
 Vom ew'gen Wein berauscht.  
 Der Flöte Klang. Das Schweigen,  
 Das deinem Schweigen lauscht . . .*





بسم الله الرحمن الرحيم، كل نفس ذائقة الموت.

علينا ان نخبر قرائنا الكرام بشديد الحزن ان ثلاثة من المستشرقين الألمان المشهورين قد انتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء في اثناء شهرى آب وايلول ١٩٣٤، وهم ارنست كونل Ernst Kühnel، باول ا. كاليه Paul E. Kahle، وكورت اردمان Kurt Erdmann.

فاضت روحه في برلين. فاضت في اليوم الخامس من الشهر الثامن عام ١٩٦٤. ذلكم هو العالم القدير في تاريخ الفنون الاسلامية: الأستاذ الدكتور «إرنست كونل» Professor Dr. Ernst Kühnel

التقينا به آخر مرة أثناء الخريف الماضي وكان آنذاك نزيباً بأحد المستشفيات، غير أننا لم نشهد على محياه أو نلاحظ على حديثه أثراً من آثار المرض أو الشيخوخة رغم عمره الذي فاق الثمانين عاماً ٠٠ فقد كان هو هو: العملاق الذي يفيض علينا بحكمته وسعة أفقه، والانسان السامع الحاضر النكتة، الذي لا ينضب معين اهتماماته ولا يجف أبداً - أجل. إنها صورته التي ستظل ماثلة في قلوبنا مدى الحياة: صورة الشيخ الجليل وسط عائلة العلماء ..

ولد «إرنست كونل» في السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٨٨٢. وفي سنة ١٩٠٩ التحق بخدمة المتاحف الحكومية في مدينة برلين، حيث انضم منذ عام ١٩١١ إلى قسمها الاسلامي. ولم تأت سنة ١٩٢١ حتى أصبح أميناً ثم مديراً له في عام ١٩٣١. وقد تعهد البروفيسور «كونل» هذا القسم بالتوسيع والاستكمال حتى بلغ حداً نموذجياً. وما أن انفضت الحرب العالمية الأخيرة حتى بادر الأستاذ «كونل» بتكريس جهوده لاعادة تنسيق التحف الاسلامية التي كانت قد بعثتها الحرب. . كما استخدم نفوذه للحفاظ على الوحدة العلمية للقسم الاسلامي بمتحف برلين بعد أن صار مجزأ بين قطاعي المدنية. . ورغم كل ذلك لم يكن «إرنست كونل» مجرد خبير في شئون المتاحف. فقد كان من بين العلماء الألمان الذين أجروا حفرياتهم في مدينة سامره عام ١٩١٢. وفي سنة ١٩٢٩/٢٨ كان أحد أعضاء البعثة العلمية التي قامت بالتنقيب عن الآثار القديمة في المدائن (Ktesiphon) عاصمة الحضارة الساسانية بالعراق. ثم عاد في عام ١٩٣٢/٣١ لمواصلة العمليات التنقيبية في نفس هذه البقعة، حيث كان هذه المرة على رأس وفد من العلماء الألمان والأمريكيين.

وقد انضم «إرنست كونل» إلى سلك التدريس بجامعة برلين كأستاذ فخري منذ عام ١٩٣٥. كما كان أستاذاً زائراً بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقاً) طيلة عدة سنوات. ولعله مما يستحق الذكر أن كان الأستاذ «كونل» يجيد معرفة المتاحف والجامعات الأمريكية كما كان على خبرة مماثلة بمعاهد البحث العلمي في أسبانيا وإيطاليا. وقد طاف بكل من تركيا وإيران وألقى العديد من المحاضرات في أقطار أوربا الوسطى. والحق يقال أنه ليس في استطاعة أحد ممن كان لهم حظ الاستماع إليه أو الدرس على يديه أن ينسى موهبته البارعة في الأخذ بأيدي تلامذته من محيط علمه الغزير إلى دقائق ومعضلات تاريخ الفن الاسلامي.



فلو أننا تطلعنا إلى ذوى المناصب الأولى في معظم متاحف العالم لوجدنا في عدد كبير منهم براهين حية على عظمة أستاذهم: «إرنست كونل». ولا عجب إن أقبل على طلب العلم بن يديه أبناء الشرق الاسلامي والغرب الأوربي على السواء إذ كان — رحمه الله — لا يقتصر على مجرد تلقين المعارف وإنما يعرف كيف يبلغ بها إلى أعماق مستمعية. وعلى من يلتقى نظره على الكتاب الذي أصدره «ريشارد إيتنجهاوزن» Richard Ettinghausen تحية للأستاذ «كونل» في عيد ميلاده الخامس والسبعين ليلمس فيه صدى لما خلفه هذا العالم الجليل من عميق الآثار في العالم أجمع.

وقد اشتملت البحوث العلمية التي قام بها «كونل» على كافة حقول الفن الاسلامي وإن كان قد خص باهتمامه الفنون الدقيقة (المنياتور) وصناعة الخط وتزيين الكتب في الحضارات الاسلامية. وما يستحق الذكر أن كتابه الذي صدر عام ١٩٢٢ تحت عنوان: الرسوم الدقيقة (المنياتور) في الشرق الاسلامي، قد ترجم إلى الفرنسية والتركية. كما بسط «كونل» جبال الرسوم المغولية لعدد كبير من القراء عن طريق مؤلفيه اللذين نشر في عامي ١٩٣٧ و ١٩٥٥ وعالج فيها الرسوم الهندية الدقيقة المحفوظة في متاحف برلين. وقد أولى «كونل» جل اهتمامه منذ عام ١٩١٠ لاكتشاف أسرار صناعة الكتب الاسلامية، حيث نجم عن ذلك واحدا من أروع مؤلفاته وهو يحمل عنوان «صناعة الخط في الاسلام». ومن أجمل الآثار التي خلفها «كونل» دراسته التمهيدية التي عرض فيها الزخارف الخطية في الحضارات الاسلامية، حيث أوضح أشكال الخط الكوفي وما عداه من فنون الخط في الاسلام. ولما كان «كونل» يجيد اللغة العربية فقد كان شغوفاً بفك ألغاز الخطوط العربية المنقوشة في صيغة زخرفية. على أن اهتمامه بفن الزينة في الاسلام لم يقل عن شغفه بصناعة الخط. والدليل على ذلك كتيبه القيم الذي نشره عام ١٩٤٩ تحت عنوان «الارابيسك» Die Arabeske. وقد ترتب على ما قام به «كونل» من عديد البحوث في ميدان الفنون الدقيقة في الاسلام، أن ألف كتاباً جامعاً في هذا الموضوع. وفي أثناء الأعوام الأخيرة وجه «كونل» جل اهتمامه لفنون النسيج حيث أجرى قلمه بالتعديل والتنقيح في مؤلفاته الشهيرة التي كان قد نشرها في صدر حياته العلمية حول موضوع المنسوجات الاسلامية المستخرجة من المقابر المصرية، وذلك بعد إطلاعه على نتائج البحوث الجديدة التي أجريت أخيراً في واشنطن. ولعله من الأمور الطبيعية أو الأشبه بالطبيعية أن يكون قد صدر عن قلم الأستاذ «كونل» عدد طائل من الدراسات العلمية في صناعة نسج السجاد. وبالرغم من ذلك فإن مؤلفاته التي عاجلت فن البناء المعماري في الاسلام تعد على جانب كبير من الأهمية وإن لم تبلغ من حيث العدد سابقاتها. ذلك أن كتابه الصادر في برلين سنة ١٩٤٩ بعنوان: «الجامع» Die Moschee يقدم عرضاً وافياً بين الوضوح لتطور فن بناء الجوامع. والجدير بالذكر أن «كونل» قد كرس القدر الأكبر من دراساته للبحث في فن المعماري الأندلسي. ولما كان على موهبة فذة في عرض الموضوعات بأسلوب واضح جزل وعبرة موجزة فقد نشرت له دراسات عديدة ذات طابع تلخيصي في ميدان الفنون الاسلامية فضلاً عن مختلف المقالات التي دونها في الموسوعات العالمية. ولعل «كونل» يعتبر في عداد العلماء الأتلاء الذين شملت بحوثهم كافة ميادين الفنون الاسلامية وإن أثرت — في الوقت ذاته — في البحث العلمي بمختلف فروعهِ وتشعباته عن طريق الدراسات المتخصصة ذات الأهمية الكبرى. لقد كان — رحمه الله — أستاذاً رائعاً، وصديقاً وفياً، كما أنه طالما فاضت مؤلفاته قاطبةً بذلك الحب الدفين الذي كان يكنه للشعوب الاسلامية وحضارتها العريقة. نعم. سنظل ذكرى هذا العالم الجليل والأستاذ القدير باقية أمد الدهر في صدر كل من حباه القدر بالتعرف عليه . .

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا  
اجاب البكا طوعاً ولم يجب الصبر  
فإن ينقطع منك الرجاء فإنه  
سيبقى عليك الحزن مابق الدهر

من الحماسة

Als nach deinem Verlust die Geduld ich rief, und die Träne,  
Hörte nicht die Geduld, aber die Träne geschwind.  
Wenn von dir nun die Hoffnung ist abgeschnitten, so bleibet  
Doch, solange die Welt bleibet, die Trauer um dich.

(Rückert)



# العلماء

اما الاستاذ باول كاليه Paul E. Kahle فهو الشيخ الكبير في عائلة المستشرقين الغربيين والشرقيين.

وافت المنية المستشرق الألماني الكبير «باول إرنست كاليه» في ١٩٦٤/٩/٢٤ عن قرابة التسعين عاما. وقد ولد في منطقة «هوهنشتاين» ببروسيا الشرقية في الواحد والعشرين من الشهر الأول (يناير) من عام ١٨٧٥. وعندما اشتد عوده تردد على كل من جامعات «ماربورج» و «هاليه» و «وبرلين» لدراسة اللاهوت وعلوم اللغة. وفي عام ١٨٩٨ حصل «كاليه» على دكتوراه الفلسفة، ثم أتبع ذلك بحصوله على إجازة اللاهوت (الانجيلي) في سنة ١٩٠٢ حيث اتجه في نفس العام كقس إنجيلي إلى رومانيا، وبعدها إلى القاهرة. وفي سنة ١٩٠٩ حصل على إجازة التدريس الأكاديمي - ال «هايليتاتسيون» - من جامعة «هاليه»، وظل منذ ذلك التاريخ مدرسا جامعيا إلى أن عين في عام ١٩١٤ أستاذا لكرسي اللغات الشرقية بجامعة «جيسن». وقد شغل «كاليه» نفس المنصب في جامعة بون منذ سنة ١٩٢٣ إلا أنه اضطر لأسباب سياسية إلى الهجرة إلى جامعة أكسفورد في سنة ١٩٣٩. وبعد مضي تسعة أعوام على انفضاض الحرب العالمية الأخيرة عاد «كاليه» إلى التدريس بجامعة «مونستر» كأستاذ زائر.

والجدير بالذكر أن جامعة «جيسن» كانت قد أنعمت في سنة ١٩٢٢ بالدكتوراه الفخرية على البروفيسور «كاليه»، كما كرمته فيما بعد كل من جامعات «أكسفورد» و «أبردين» و «نيويورك» بمنحه هذه الدرجة الأكاديمية الرفيعة. وقد كان هذا العالم الفحل عضوا فخريا في العديد من المنظمات والمنتديات العلمية ومن ذلك أن كان - طابت ذكراه - عضوا «من الخارج» بأكاديمية العلوم الملكية البلجيكية (بروكسل) وعضوا مراسلا بأكاديمية العلوم السكسونية في ألمانيا. وقد أنعمت عليه حكومة ألمانيا الاتحادية في سنة ١٩٥٥ بوسام صليب الاستحقاق الكبير، بمناسبة بلوغه آنذاك الثمانين من عمره. وكانت قد منحته الحكومة البروسية من قبل وسام التاج، فضلا عن العديد من الأوسمة الألمانية وغير الألمانية التي كان يحملها هذا العالم الجليل.

وفيما يلي نورد بعض المقتطفات من الخطاب الذي ألقاه البروفيسور دكتور «أوتو شيبس» في حفل تأبين البروفيسور «كاليه» الذي أقيم بجامعة بون في ١٩٦٤/٩/٢٠:-

إن «باول إرنست كاليه» لن يظل حيا في تاريخ جامعتنا وحسب، وإنما في حقل الاستشراق الألماني والعالمي قاطبة. فقد كان - رحمه الله - عالما ضليعا وباحثا نابها نهما لا يعرف الكلل أو التعب. ذلك أن ذخرت حياته العلمية الفياضة بالانتاج العلمي الغني الذي كان لها بمثابة المحتوى والمضمون. ولكم لاقت أعمال الفقيه الكريم من التقدير أرفع، وكم ذاعت شهرته العلمية ومكانته الفكرية السامية، وهو الأمر الذي نستدل عليه في أبسط صورة إذا ما تطلعنا إلى العديد من دلائل التكريم التي أسبغت على هذا العالم الجليل.

إن الآثار العلمية الخالدة التي خلفها لنا «باول إرنست كاليه» سوف تلعب على الدوام دورا رئيسيا في علم الدراسات الاستشراقية. والآن دعوني باعتباري مساعدا علميا سابقا «باول ا. كاليه» و اليوم خليفة على كرسيه، أن أرسم لكم ببعض الخطوط القليلة مكانة «كاليه» في المجال العلمي. فقد امتد إنتاجه الأدبي حتى شمل ميدانا واسع الأطراف والأنحاء. فنادرا ما خلى فرع من فروع الدراسات الشرقية من معالجة هذا العالم الهام. ولعل ما بهرنا بصورة خاصة - نحن الأصغر منه سنا - تلك النظرة الموسوعية الشاملة وذلك العلم الغزير المتدفق الذي كان يتحلى به هذا الأستاذ الكبير. أضف إلى ذلك أن كان - رحمه الله - رائدا مجددا في بعض الميادين العلمية. ذلك أنه قد جاء من حقل علم اللاهوت وما لبث أن اهتم بصورة خاصة ببحث واستقصاء تاريخ النص العبري للعهد القديم من الكتاب المقدس، حيث صدرت له في هذا المجال عدة مقالات ومؤلفات



على جانب خطير من الأهمية. ولعله من الجدير بالذكر أن «باول إرنست كاليه» قد ساهم مساهمة مثمرة في المناقشات التي دارت حول الآثار التي اكتشفت في المغارة الواقعة على البحر الميت.

وقد ذاع اسم «كاليه» في ميداني الدراسات العربية والاسلامية عن طريق المقالات العلمية الرائدة التي ألفها في هذا المضمار. أما مقالاته التي عالج فيها المقدسات الاسلامية في فلسطين ومنظمات الدراويش في عصرنا وبدو أولاد علي في مصر، فقد حظت على تقدير الدوائر العلمية المختصة. كما يعد نشره لتأريخ ابن إياس من أهم المراجع المتعلقة بتاريخ العصور الوسطى المصرية، وقد أجرى البروفيسور «كاليه» بحثاً مستفيضاً حول كنوز الفاطميين، كما اهتم بكتاب الأحجار البيروني ونشر أعماله الفائقة الأهمية التي عالج فيها تاريخ الزجاج الصيني في الأقطار الاسلامية. أما اهتمامه بألعاب الظل عند العرب ف يرجع إلى المستشرق «جيورج ياكوب»، حيث تمكن «كاليه» في هذا المجال من اكتشاف بعض الأشكال الخاصة التي كانت تستعمل في ألعاب الظل في عهد المماليك خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر. وقد قام فوق ذلك خلال الأعوام العشرة الأخيرة بتحقيق نص مؤلف ألعاب الظل لابن دانيال وإعداده للنشر إلا أنه لم يقدر لهذا العمل الكبير أن يطبع في حياة صاحبه..

وفي حقل الدراسات التركية قام «كاليه» بنشر وترجمة كتاب الإبحار الشراعي «لپيرى رئيس» كما غنى بدراسة وبحث النصوص الاسلامية التي تعرضت للعلوم البحرية، حيث بلغ به الأمر إلى اكتشاف خريطة كولومبوس في سراي باستانبول سنة ١٩٢٨. وهكذا حيثما نقتب ببحوث «كاليه» العلمية كانت تراعى له أسس المشاكل وجذورها فيبادر بمعالجتها ولا يلبث أن يبلغ نتائج هامة. وعلى تربة هذه النتائج الخصبة يبنى علم الاستشراق صرخه في الحاضر والمستقبل، ذلك أن أعمال هذا الفحل خالدة لاتعرف الزوال. ولسوف تظل ذكراه العاطرة في قلوبنا أمد الدهر. إن هذه الحلقة من الورد لتعبر عن التحية الأخيرة التي يقدمها إلى هذا العالم الخبير تلامذته من أساتذة وطلاب قسم الدراسات الشرقية (بجامعة بون). وإن قلوبنا ستظل على الدوام مفعمة بالشكر لما كانه «باول إرنست كاليه» وما وهبنا إياه.

وقال فيه احد تلامذته العرب وهو الدكتور محمد يحيى الهاشمي:

في زيارتي للمرة الأولى لمدينة بون في شتاء عام ١٩٣٤ حضرت العيد الستيني لمولد هذا العالم والمستشرق الكبير باول كاله وفي خريف هذا العام ١٩٦٤ احضر لأسمع الخبر المفجع بفراقه الحياة. وكأن القدر شاء ان اقف في حديقة الجامعة لحظة في يوم الجمعة في الخامس والعشرين من ايلول في الساعة الثالثة بعد الظهر واستعرض حياتي التي جرت في هذه المدينة متذكراً فيها اساتذتي ومن كان له فضل على في التقدم العلمي، وقد كان في طليعة الذين ذكرتهم باول كاله، وقد تساءلت بيني وبين نفسي، هل لا يزال على قيد الحياة؟ ولم تمض الا ساعات قلائل حتى لقي الى خبر وفاته وانتقاله من عالم الدنيا الفانية الى عالم الآخرة الخالدة. ذكرته اذن، ووقفت اجلالا لمقامه عندما كان يلفظ انفاسه الأخيرة ويودع الدنيا الوداع الأخير، تاركاً فيها ذكريات عميقة لا يقضى عليها كره الغداة ومر العشي.

كيف لا اذكر هذا العملاق العلمي وقد عرفته عند ما كان اباً وموجهاً لرسالي العلمية في جامعة بون والتي حزت بها لقب الدكتوراه في الفلسفة. نعم كان باول كاله موجهاً علمياً فذاً من الدرجة الأولى، فقد عرفته باحثاً بنفسه اولاً في العلاقة الموجودة بين الخزف الاسلامي والخزف الصيني، وفي قيامه بترجمة البحث عن الزجاج والمينا في كتاب البيروني الشهير عن «المجاهر في معرفة الجواهر» والذي قمت في دراسة مصادره وينايع حكمه تحت قيادة استاذنا الراحل الكريم. وسواء أكان هذا الاستاذ باحثاً في نفسه او موجهاً ومثيراً للبحث، فقد كان رائدة معرفة الحقيقة كما هي دون اهمال او غلو، واذا استعان بأحد، سواء ممن كانوا أعلى من مرتبته او اقل من ذلك، فكان لا يغمضهم حقهم، ذاكرراً كل شيء حدث معه سواء كان ذلك قليلاً او كثيراً. ولم تكن اثاره في موضوع تاريخ العلوم فحسب، بل كان يشير الى اهمية مثل هذه المصادر حتى في التتبع العلمي الحديث. لقد اهتم معهد المينرالوجيا في الدراسة الكيميائية والبلورية لخزف سامرا، وهي من الدراسات الهامة التي فتحت آفاقاً جديدة في هذه الصناعة اعني في صناعة الخزف.

يجانب ذلك كان يرعى كثيراً من الطلاب الاجانب وخاصة من الشرق الذين كانوا يأمنون جامعة بون واذكر منهم محمد زكي الدين من جامعة عليكره في الهند الذي قدم بحثاً ممتازاً عن الاشعاع عام ١٩٣٥ الى فرع الفيزياء من الجامعة، وقد كان في حيازة هذا الاستاذ مخطوطة عن مطارح الشعاع ليعقوب بن اسحاق الكندي فيلسوف العرب الشهير، فجلب دقة نظري الاستاذ كاله على هذه المخطوطة وصورها لي وهي لاتزال في حوزتي آملة ان انشرها عند سنوح الفرصة.



ذا اردنا ان نتكلم عن النواحي العلمية لهذا الأستاذ الكبير، فلا بد لنا من ان نتكلم عن النواحي الإنسانية، انى اشبه الصلات التي كانت بينه وبين طلابه كالصلات التي كانت بين العلماء الأقدمين الاسلاميين وطلابهم في حلقات دروسهم، كان رحمه الله يتفقد طلابه ويختبر امورهم الخاصة دون ان يكون فضولياً، ويسعى في حل مشاكلهم الخاصة، فكان لا يحثهم على الدرس والمطالعة فحسب، بل على المتعة والراحة. ولاعطاء صورة بارزة عن وضعه الإنساني اريد ان اقص عنه هذا الحادث: كنت في احدى ايام ايار من يوم الأحد اتابع دراستي من اجل اطروحتي، لأن المكتبات وغرف المطالعة في معهد المستشرقين كانت مفتوحة من اجل الطلاب الذين كانوا يودون الدراسة ولا تقفل لاني ايام الآحاد ولا في الأعياد، وقد زارني في اليوم المذكور وشاهد الاعياء مني آخذ مأخذه، فطلب مني ان ارافقه للترهة في الغابات لنتمتع بنسيم الربيع العليل ولنروح عن النفس ولنشاهد الزهور البديعة ونستنشق عبقها العطري. وفي اثناء جلستي بجانبه تحدثنا عن جمال الطبيعة وصفاء اديم السماء، وقد خطر على بالي ان في مقدمة كتاب الاحجار للبيروني نظرية اقتصادية تمت الى نظريات الإقتصادية الحديثة بصلة قوية، فلم يشأن مجاوبني على حديثي وقال انظر الى قفريات الغزال في الغابة. ورجعنا الى بيوتنا، وظننت ان ما حدثته عن هذه النظرية القديمة للبيروني قد ذهب مع الريح، وفي الصباح التالي بينما كنت اشتغل في معهد الاستشراق ناداني الى عنده وواصلني بالمعهد الإقتصادي في جامعة بون وقصصت على اساتذة المعهد المذكور النظرية الإقتصادية التي نوه بها البيروني.

ان دراساته الاسلامية لا تحصى. وقد اماط اللثام عن كثير من الأمور الغامضة وفتح للبحوث التاريخية آفاقاً جديدة، سواء كان ذلك في صناعة الخزف او الزجاج او في كنوز الفاطميين او في غير ذلك من الأمور العديدة. اما معارفه السامية وخاصة العبرية فقد شكلت فصلاً خاصاً ممتعاً لا يمكنني معرفة مدى قيمتها ولكنني سمعت عنها الشيء الكثير من العدد الضخم من الطلاب الذين اشتغلوا بتوجيهه ومن التقدير الهائل من رجال الاختصاص. اننا اذ نأسف على فراق هذا العالم الكبير والمحقق القدير والنقادة العظيم الذي غرس حب النقد في نفوس الناشئة لرؤية الحقيقة الناصعة كما هي نفتتح قلوبنا لنغرس فيها ذكره الدائمة لأنه لم يخلف لنا آثاراً خالدة فحسب، بل خلف اجيالاً من العلماء والباحثين الذين سينقلون شخصيته الى الأجيال القادمة.

فلنقرأ في ذكره ما قاله المزمور التسعون:

يا ربّ ملجأ كنت لنا في دور فدور \*  
من قبل ان تولد الجبال او ابدأت الارض والمسكونة منذ الأزل الى الأبد انت الله \*  
ثُرّجع الانسان الى الغبار وتقول ارجعوا يا بني آدم \*  
لأن الف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل \*  
جرفتهم كسنة يكونون؛ بالغداة كعشب يزول \*  
بالغداة يزهر فيزول؛ عند المساء يجزّ فيبيس \*  
لأننا قد فنيّا بسخطك وبغضبك ارتعبنا \*  
قد جعلت آثامنا أمامك وخفياتنا في ضوء وجهك \*  
لأن كل أيامنا قد انقضت برجزك؛ افنيّا سنينا كقصّة \*  
أيام سنينا هي سبعون سنة، وان كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبلية، لأنها تُقرَض سريعا فنطير \*  
من يعرف قوة غضبك؛ وكخوفك سخطك \*  
احصاء أيامنا هكذا علمنا فنوّي قلب حكمة \*  
إرجع يارب؛ حتى متى؛ وتراف على عبيدك \*  
اشبعنا بالغداة من رحمتك فنبتهج ونفرح كل أيامنا \*  
فرحنا كالأيام التي فيها اذللتنا، كالسنين التي رأينا فيها شراً \*  
ليظهر فعلك لعبيدك وجلالك لبنينهم \*  
ولتكن نعمة الربّ إلّٰهنا علينا وعمل أيدينا ثبت علينا وعمل أيدينا ثبتته \*



انه مما يثير الحزن العميق ان البروفسور الدكتور كورت اردمان Erdmann الذى كان خليفة «ارنست كونل» فى وصفه كمدير المتحف الاسلامى فى برلين الغربية قد توفى بعد وفاة استاذة الكبير بستة اسابيع فى ٢٤ ايلول ١٩٦٤. ومع انه كان مصابا بمرض عضال منذ بضع اشهر فقد كان انتقاله الى رحمة ربه فجأة غير منتظر واننا لنأسف على فراق هذا العالم اشد الاسف. ولد «اردمان» سنة ١٩٠١ فى مدينة هامبورج، وبعد دراسته تأريخ الفنون قام بمنصب معاون فى ادارة المتحف الاسلامى فى برلين عام ١٩٢٧ وظل فى هذه الوظيفة حتى اواخر الحرب العالمية الثانية؛ ثم عين استاذاً لتأريخ الفنون الشرقية فى مسقط رأسه، وكان ايضا لمدة قصيرة استاذاً زائراً فى جامعة بون. وبعد ذلك دعتة الحكومة التركية الى جامعة استانبول فقام بالتدريس هنالك بضع سنوات واستفاد منه الجلم الغفير من الطلاب الاتراك؛ وسافر فى انحاء الاناضول باحثاً عن التأريخ المعمارى السلجوقى وخاصة عن تأريخ تطور الخانات القديمة فى هذه المملكة. وكان بيته فى استانبول مشهوراً بمجموعة فريدة من البسط التركية والسجادات القيمة فقد ذاع صيته كمتخصص كبير فى تأريخ البسط الشرقية، وكان قد ألف كتابه الاول فى هذا الموضوع سنة ١٩٣٥ ولم يزل يتفحص عن تأريخ السجادات المعقودة و البسط حتى انه دون مقالة مهمة فى «تصاوير البسط الشرقية فى لوحات الرسامين الاوروبيين فى اثناء القرون الوسطى» لأن هذه التصاوير تدل على انواع البسط التى كانت موجودة فى اقطار الشرق فى قديم الزمان وعلى اختلاف اساليبها.

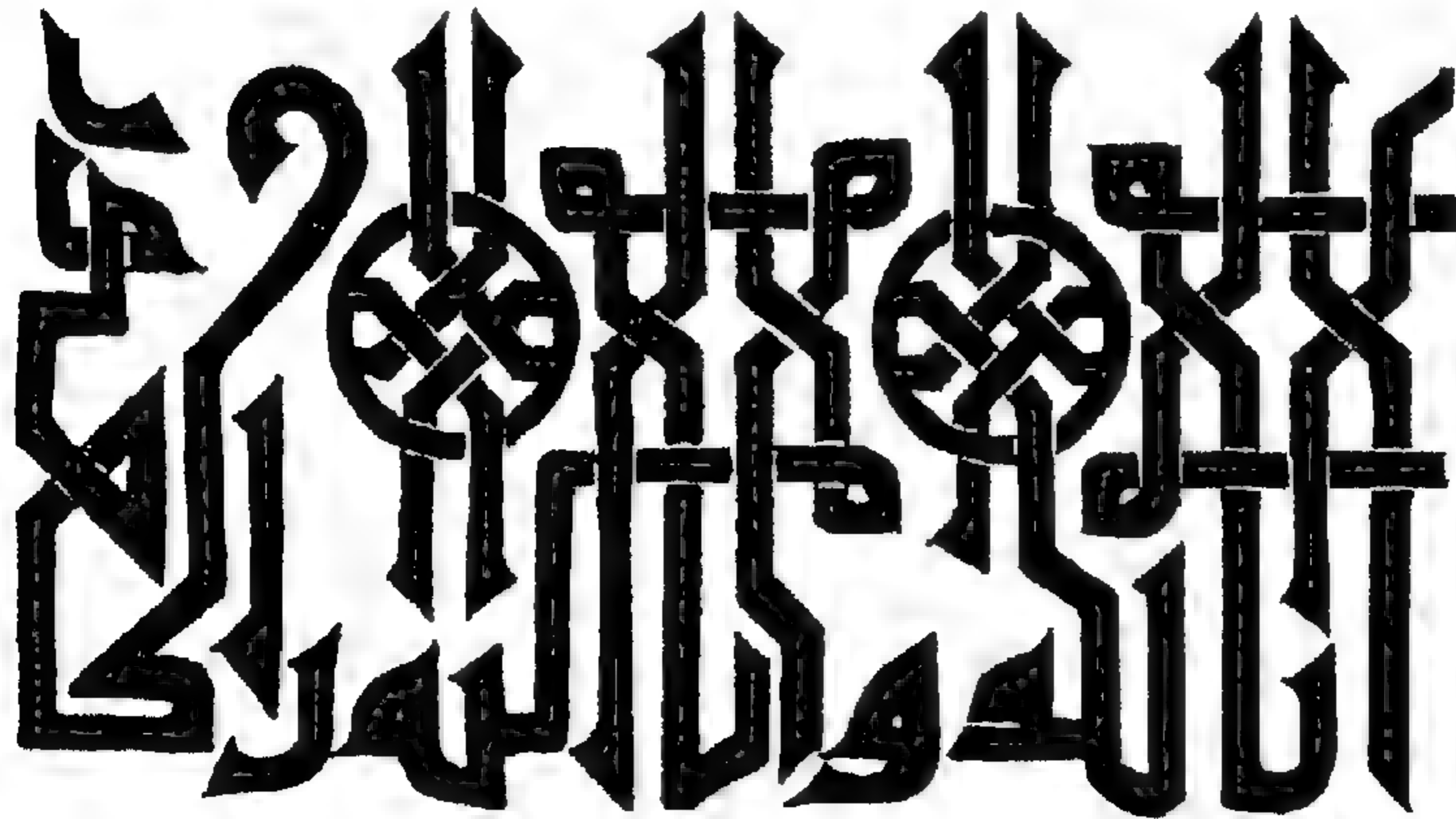
وفى سنة ١٩٥٨ رجع «اردمان» الى وطنه وصار مدير المتحف الاسلامى فى برلين وفى الوقت ذاته مدرسا فى جامعة هامبورج. ومع كثرة اشغاله الرسمية ما زال يؤلف كتباً ومقالات فى الفنون الشرقية وكانت له اليد الطولى فى التحضير المعرض المشهور «٧٠٠٠ سنة من الفنون فى ايران» الذى قامت به الحكومتان الالمانية والايرانية عام ١٩٦٢. وكان لاردمان اختصاص فى الفنون الايرانية القديمة وله بحوث كثيرة فى هذا المضمار اشهرها كتابه «فنون ايران فى عهد الساسانيين» الذى نشره سنة ١٩٤٣؛ وكان - رحمه الله - يشغل فى الأشهر الاخيرة باعداد مؤلف قيم عن الآثار الايرانية الموجودة فى متاحف المانيا، ولم يسمح له القضاء باتمام هذا الكتاب، ولا بتأليف الكتب الاخرى التى كنا ننتظرها من قلمه.

ستبقى ذكرى هذا العالم عالقة باذهاننا كما رأيناه فى برلين قبل ٢٥ سنة للمرة الاولى وكما شاهدناه فى المدينة نفسها فى اوائل هذا العام للمرة الأخيرة: صديقا صادقا مفيدا لكل من يتقدم اليه فى طلب معلومات علمية، يحب الشرق وينظر باشتياق الى سياحة جديدة الى تركيا وايران... ولكنه قد سافر الآن الى الشرق الاكبر... نور الله مضجعه.

*Dies sind unsre Werke, sie deuten auf uns —  
So schaut auf die Werke nach unserem Tod!*

تلك آثارنا تدل علينا  
فانظروا بعدنا الى الآثار

انا لله وانا اليه راجعون





# سائخ

## معرض الفنون العراقية القديمة في كولونيا

اكليل من الذهب يحتوي على ١١ ورقة ذهبية، ٢٦ خرزة ذهبية برميلية الشكل، وعلى ٣٢ خرزة من حجر اللازورد، ٥٨ خرزة عقيق. موطنه اور (النصف الثاني للالف الثالث قم)؛ قلادة تتألف من ١٢ خرزة ذهبية على شكل مثلث مع ١٢ خرزة من حجر اللازورد المثلث الشكل ايضا. موطنه اور (النصف الثاني للالف الثالث قم)؛ اكليل يتألف من ١٦ خرزة علقت في كل منها حلقة ذهب، ١٣٣ خرزة عقيق، ١٣٤ خرزة من اللازورد، على ثلاث خيوط. مصنوع من الذهب، موطنه اور (النصف الثاني للالف الثالث قم).

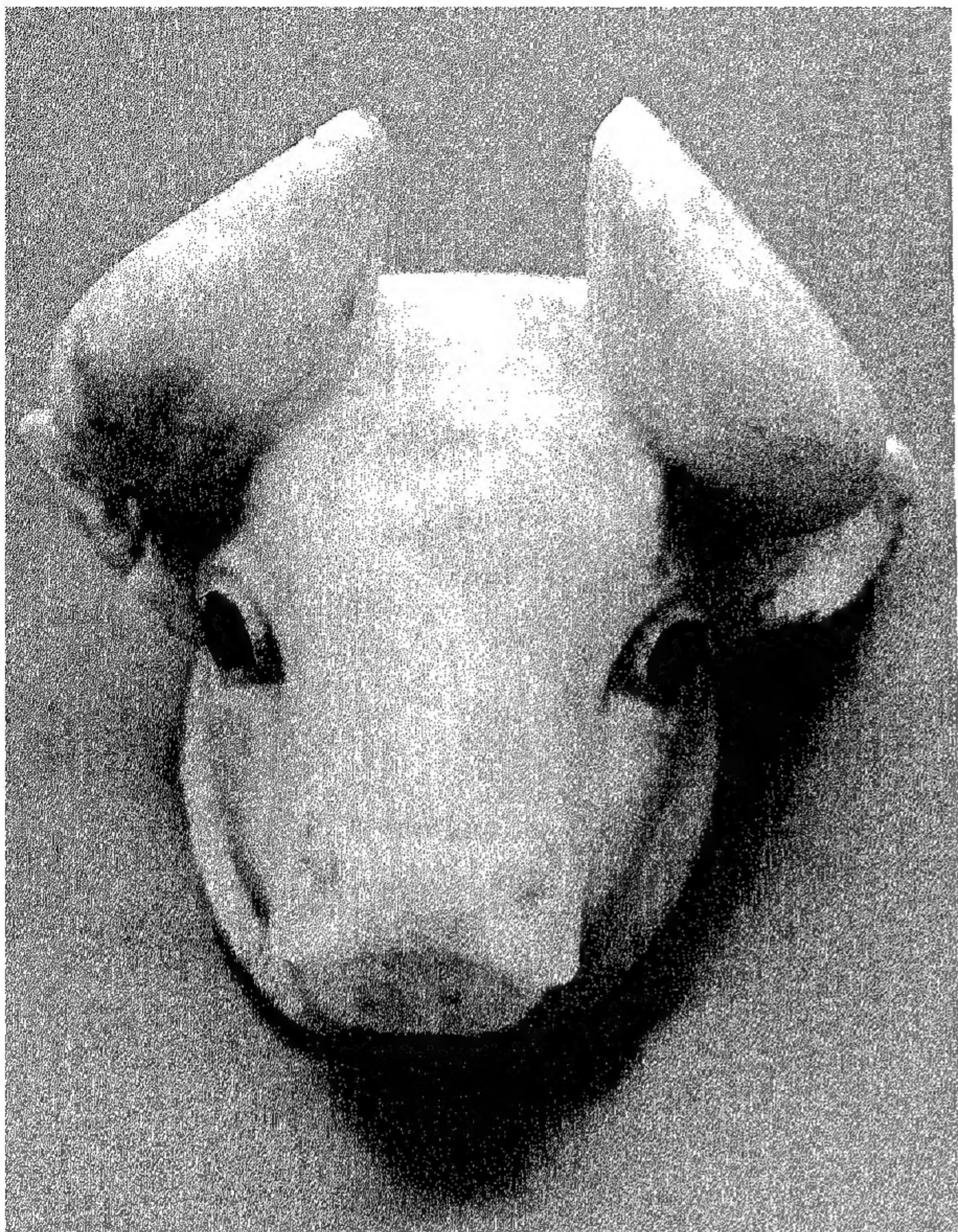
قدم متحف راوتنشتروخ يوست في مدينة كولونيا معرضا من الكنوز الفنية الفخمة من عالم الشرق القديم، وقدم هذا المعرض تحفا رائعة مصطفاة من مناطق دجلة والفرات، من بلاد العراق التي ازدهرت فيها اقدم حضارة انسانية في العالم كله. وجميع هذه التحف تقريبا هي من المتحف العراقي، غادرت ارض وطنها لأول مرة لكي تجدها في مدينة كولونيا موطننا جديدا لها ولو الى حين.

وقال في ذلك جناب سفير الجمهورية العراقية لدى جمهورية المانيا الاتحادية مشيرا الى العلاقات الدبلوماسية بين الخليفة هارون الرشيد والامبراطور الالماني شارلمان قبل ١١٠٠ سنة:

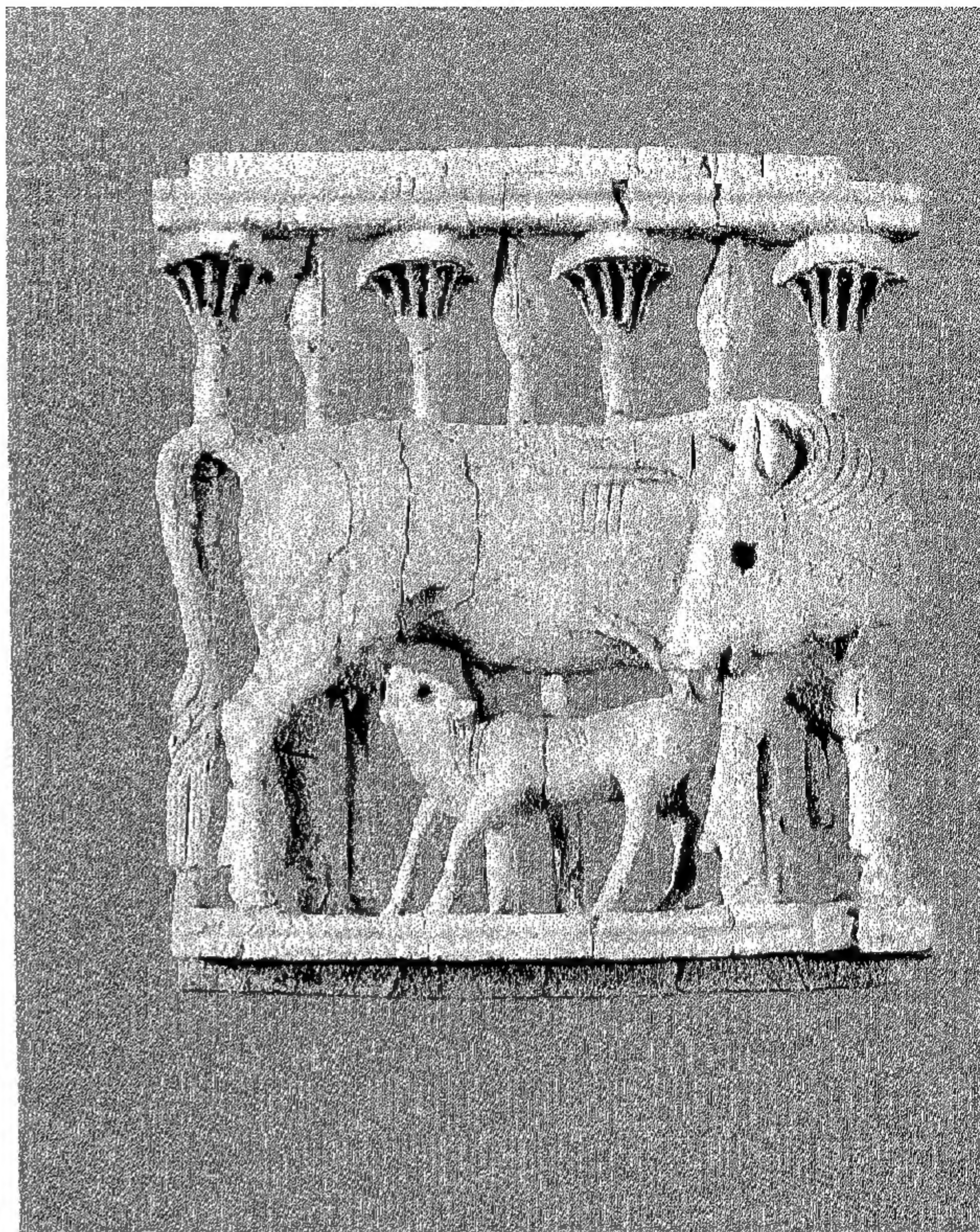
«في عام ٧٩٧ استجابت بغداد لطلب مدينة آخن فيما يتعلق بامكانية تبادل العلاقات الدبلوماسية فعقدت اتفاقا بذلك وأرسلته الى آخن مرفقا بمجموعة من اثنى المواد المصنوعة في بغداد في ذلك الحين. وفي عام ١٩٦٣ استجابت بغداد ايضا لطلب مدينة كولون في ارسال كمية من آثارها القديمة لتعرض فيها، ومرة اخرى جئ بأحسن ما نملك في العراق الى المانيا مما جعل مدن عالمية اخرى تتقدم بطلبات مماثلة.

ان لهذا المعرض غايتين: اولاهما البرهنة بواسطة هذه الآثار المعروضة على ان الناس قبل عدة آلاف من السنين كانوا قادرين على تكيف حياتهم حسب متطلبات محيطهم وحسب الضرورات التي املاها عليهم تفكيرهم. وثانيتهما ان تبادل المعارف





رأس ثور، العيون مطعمة بالقير، عن عصر فجر السلالات، النصف الأول للآلف الثالث قم. المعثر مجهول.



لوحة تمثل بقرة وعجلها في حقل زهور اللوتس من النوع المخرم، من العصر الاشوري الحديث، شلمنصر الثالث؛ مصنوع من العاج؛ موطنه نمرود ٨٠٨-٨٢٤ ق.م.

والخبر المكتسبة من التجارب وهو الذي يوجد الاحترام والتقدير بين الشعوب وهو الذي يزيد من التفاهم ومن المشاركة في الاحساسات فيما بينهم.»

كانت المانيا وقد بدأت في مشاركة العراق في ابحاث الآثار واجراء الحفريات للتنقيب عن الحضارة العراقية القديمة منذ ٧٧ عاما. وظل هذا التعاون قائما ولم ينقطع سوى مرتين بسبب نشوب الحربين العالميتين الاولى والثانية. ويكفي بأن نذكر اسماء البروفسور كولدي Koldewey الذي بدأ في سنة ١٨٨٧ الحفر للبحث عن آثار بابل القديمة؛ واما البروفسور اندري Andrae فقام بين عامي ١٩٠٤ و ١٩١٤ باعمال للبحث عن آثار اشور التي كانت تقع على نهر الدجلة جنوبي الموصل. وفي سنة ١٩٢٨ وجه العلماء الالمان اهتمامهم الى جنوب العراق للبحث عن آثار حضارة السوماريين، وظلوا يعملون في هذه المنطقة حتى عام ١٩٣٩، ثم عادوا الى مواصلة عملهم بها مرة اخرى منذ سنة ١٩٥٤ (راجع مقالة السيدة كاله في النسخة الثالثة لهذه المجلة).

وتستحق كلتا الحكومتين العراقية والالمانية والسلطات المسئولة والعلماء والمثقفين الشكر العميق على جهودهم ونجاحهم في اقامة هذا المعرض العظيم في مدينة كولونيا.



# طلائع الكتب

*J. H. Schultze, Der Ostsudan. Entwicklungsland zwischen Wüste und Regenwald. Mit 16 Abbildungen und 17 Figuren. English contents. (Abh. des 1. Geographischen Instituts der Freien Universität Berlin). Dietrich Reimer Verlag in Berlin, 1963.*

Die Grundzüge der Entwicklung eines festumrissenen Raumes — hier der „Republik vom Sudan“ — nachzuzeichnen, hat exemplarische Bedeutung. Hier wird die Vielfalt der Entwicklungsprozesse in physischer, wirtschaftlicher, sozialer, politischer und kulturell-zivilisatorischer Art untersucht. Mit Recht erschien Prof. Dr. Schultze gerade der Sudan als „reizvolles Objekt“. Denn hier hat sich seit der Eroberung durch die Ägypter 1820 und seit der Verwüstung durch die Mahdiya in den achtziger und neunziger Jahren die Entwicklung von Kulturlandschaft, Wirtschaft und Staat in der Erfüllung eines fast zum Vakuum gewordenen Gebietes vollzogen . . . „Beeindruckend ist die Fülle der Entwicklungsabläufe in diesem Gebiet mit einer Bevölkerung, die sich aus rund 450 verschiedenen ethnischen Gruppen, aus Mohammedanern, Heiden und Christen, aus heute 18 Millionen Menschen heterogenster Lebensstile zusammensetzt“. (S. 15).

Das Erfreuliche an der imponierenden Untersuchung ist, daß sie mit viel kritischem Sinn und dennoch unkonventionell durchgeführt wurde (s. z.B. den 3. Abschnitt über die Vorstellungen vom Sudan und seinen Möglichkeiten, den 5. „Charakteristische Wirtschaftsgebiete“, den 6. „Ausblick“). So kann das Buch mit seinem umfangreichen Literaturverzeichnis als grundlegend für den Ostsudan gelten.

*Ludwig Ferdinand Clauss, Die Weltstunde des Islam. Neues forum, Schweinfurt, 1963.*

F. L. Clauss ist seit Jahrzehnten den am arabischen Leben interessierten Kreisen bekannt; er gehört zu den wenigen, denen es gelungen ist, „als Beduine unter Beduinen“ zu leben, und er schildert in dem vorliegenden Buch seine Eindrücke aus einer erneuten Begegnung mit seinen arabischen Freunden im Stamm der Howaitat wie auch in syrischen und jordanischen Städten. Aus den persönlichen Begegnungen werden dann die großen Probleme der modernen Araber verständlich gemacht: die Gefahr, daß die arabische Welt zugunsten einer westlichen Einheitskultur entarabisiert wird und sich der europäischen Zivilisation rühmt, statt ihre eigenständige Rolle zu betonen, die so wichtig für den Lauf der Weltgeschichte gewesen ist. Die besondere Liebe des Verfassers gilt der Wüste, aus deren Wesen heraus er den Sinn des Arabischseins und die großen einfachen Wahrheiten des Islams zu verstehen sucht — Wüste, die durch moderne Erschließungsmethoden ihren eigentlichen Charakter zu verlieren droht, so daß der Beduine heimatlos wird, statt seine Kraft für die Auseinandersetzung mit der neuen Lage aus der Wüstenheimat zu ziehen. Manches könnte einfacher gesagt werden, und sicher werden nicht alle Leser mit den „Wüstentheorien“ einverstanden sein; aber das Buch ist die Frucht einer tiefen Liebe zu den Arabern und echter Sorge um das Geschick der arabischen Nationen. Deshalb ist seine Veröffentlichung warm zu begrüßen.

---

Wo stehen wir heute. Ein Symposium über die entscheidenden کتاب عن كتاب «هل نعاى أزمة حضارية» من كتاب Fragen der Gegenwart، نشره H. Walter Bähr، دار نشر برتلسمان، ١٩٦٢، C. Bertelsmann، ونشكر دار النشر لتصريحها لنا بترجمة هذه المقالة.

تصاویر الحيوانات الخرافية:

ص ١٨: قطعة من تصوير إيراني من مجموعة بايستغرميرزا (المتوفى سنة ١٤٣٣)، استانبول، طوب قابوسراى ٣٩٥٢.

ص ٣٤ و ٣٥: صورة ذى القرن البرى وذى القرن البحرى. عن كتاب نشر في فرانكفورت سنة ١٥٤٦.

ص ٤٠: «كردن» من مخطوطة لكتاب «نعت الحيوان»، موطنه بغداد، النصف الاول للقرن الثالث عشر، وهي محفوظة في المتحف البريتاني في لندن.

ص ٤١: انا زجاجى مزین بالميناء، موطنه سوريا، القرن الرابع عشر، وهو محفوظ في واشنطن، Freer Gallery of Arts.

الكتابة ص ٨٨: «... الرحمن الرحيم كل نفس ذائقة الموت» مأخوذة عن ضريح في مدينة غزني، أفغانستان؛ (القرن الثاني عشر).

الكتابة ص ٩٣: «انا لله وانا اليه راجعون» مأخوذة عن المدرسة الشفائية في مدينة سيواس، تركيا؛ (القرن الثالث عشر).





مكتبة الدير في فوراو Vorau، منطقة ستيريا في النمسا، القرن الثامن عشر.

ان دار الكتب للعالم جنة، وقال فيها الحريري:  
فلما أبت من غربتي — الى منبت شعبي — حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدين — وملتقى القاطنين منهم والمتفرجين ...

Doch nach Jahren, als ich nun wandersatt — heimkehrte zu meiner Vaterstadt — besuchte ich ihre Bibliothek, den Weisheitsschatz, — den Sammel- und Tummelplatz — gebildeter Männer, auserkorner, — fremder und eingeborner ....

وقال ياقوت في معجم البلدان واصفا لمدينة مرو:  
... فيها عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة... منهم الغريزية... وكان فيها عشر ألف مجلدا او ما يقاربها ... والضميرية في خانكاه هناك وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وأنساني حبها كل بلد وأهلياني عن الاهل والولد ...



# FIKRUN WA FANN

